

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقُرْظَاوِيِّ

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٦٥

خطب الشيخ القرضاوي

٢

إعداد

د. خالد السعد



من الدستور الإلهي للبشرية

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَلَدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِلْمُنْقِيْنَ إِمَامًا *﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٤].

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سَدُّوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» متفق عليه.

عن عمرو بن عبسة، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه،
والصلاة والسلام على معلّم النَّاس الخير، وهادي البشريّة إلى الرُّشد،
وقائد الخلق للحقّ، ومُخرج النَّاس من الظلمات إلى النُّور بإذن ربّهم
إلى صراط العزيز الحميد، سيّدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، ومن اتّبعهم
بإحسان إلى يوم الدين.

(أمّا بعد)

فهذا هو الجزء الثاني من «خطبي» التي جمعها وعلّق عليها الأخ
الباحث الفاضل الشيخ خالد خليفة السعد، نفع الله به، وجزاه عني وعن
العلم والإسلام خيراً.

وقد تضمّن هذا الجزء عشرين خطبة مثل الجزء الأوّل، تنوّعت
موضوعاتها ومناسباتها وأزمّنتها، أكثرها خطب جمعة، وبعضها خطب عيد.

وممّا سرّني: أن يضمّ هذا الجزء خطباً كنت ألقيتها في مسجد «أبي
بكر الصديق» منذ إنشائه من نحو ربع قرن في قطر، كنت أظنّها قد
ضاعت فيما ضاع، وكانت عن «صفات عباد الرحمن» كما بيّنتها الآيات
الكريمة من أواخر سورة الفرقان، فأحمد الله تعالى أن وجدتها.

هذا، وقد راجعت جميع هذه الخطب، وتعليق الأخ خالد عليها، وقد أحسن وأفاد بتعليقاته، وخرّجت من الأحاديث ما توقّف فيه، وربّما عدّلتُ بعض العبارات، أو أضفتُ إليها أحياناً قليلة؛ خشية أن يكون الشريط لم يُسمع جيّداً أو تأكلت فيه بعض الجمل والكلمات.

ولا يسعني إلا أن أشكر للأخ خالد جهده، وللأخ الحاج وهبة حسن وهبة حرصه على حسن إخراج هذا الكتاب وغيره من كُتبي، فجزاه الله خيراً، وأثابه في الدُّنيا والآخرة عن جهوده الطيّبة والمُسْتَمِرّة والمتطوّرة في نشر الكتاب الإسلامي، ووفقنا جميعاً لما يحبُّ ويرضى، والحمد لله أوّلاً وآخرًا.

الفقير إليه تعالى
يوسف القرضاوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن
اتَّبَعَ هُداة.

(أما بعد)

فهذا هو الجزء الثاني من «خطب الشيخ القرضاوي»، التي هي
قطعة من نفسه، معبرة عن فكره ومشاعره، موصولة بكتاب الله وسنة
رسوله وتراث هذه الأمة العظيم وأبطالها الغر الميامين في شتى أدوار
التاريخ، كما أنها موصولة بواقع العالم عامّة، وواقع العالم الإسلامي
اليوم خاصّة.

لقد ألهب الشيخ - ولا يزال - بخطبه عواطف المسلمين حيثما كانوا،
وأناّر عقولهم، وغرس في نفوس الأجيال قيم الإسلام وتعاليمه، وصحّح
مفاهيم مغلوطة كثيرة علّقت بعقيدتهم، وكادت أن تفسد عليهم دينهم،
حتّى غدت خطبه - جوار كتاباته ومحاضراته - زادًا وغذاء ووقودًا
للصحوة الإسلامية المعاصرة.

حفظ الله شيخنا الحبيب، وأبقاه بيننا أعوامًا مديدة، وسنين طويلة،
موفور الصحة والعافية، قويّ العزم والإرادة، راسخ العلم واليقين.



وأسأله سبحانه أن ينفع بهذه الخطب قارئها وسامعها، ويثيب جامعها
وناشرها، إنه سميع مجيب.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خالد السعد

* * *





صفات عباد الرحمن التواضع

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، خصّنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبي أرسل، وجعلنا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ونؤمن بالله، وأتمّ علينا النعمة بأعظم دين شرّعه الله لعباده: دين الإسلام ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حقّ جهاده، وتركنا على المحجّة البيضاء، على الطريقة الواضحة الغراء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً

مبينًا، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله وصحابته، وأحينا اللهم على سنته، وأمِّتنا على ملته، واحشرنا في زمرة، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

يقول الله تعالى في كتابه وهو أصدق القائلين: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا *﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٦].

صدق الله العظيم.

هذه لوحة قرآنية رُسمت فيها شخصية «عباد الرحمن»، وضح الله فيها المعالم والتقاسيم لهذه الفئة المختارة من الناس، جعلهم الله نموذجًا يُحتذى، وأسوة بها يُقتدى.



عباد الرحمن: هم العباد المنسوبون إلى الله وحده.

إذا كان هناك عباد للشيطان أو للطاغوت أو للشهوات أو للدينار والدرهم «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ». زاد في رواية: وَعَبْدُ الْقُطَيْفَةِ - إِنَّ أُعْطِيَ رِضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»^(١).

إذا كان هناك عبيد الكاس والطاس، إذا كان هناك عبيد المُسْكِرَاتِ والمُخَدَّرَاتِ، إذا كان هناك عبيد المرأة والغريزة، فإن هناك «عبادًا للرحمن».

هؤلاء العباد الذين أيس الشيطان نفسه أن يتسلل إليهم، أو يجد منفذاً لإغرائهم والسيطرة عليهم ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَاغْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

هؤلاء هم العباد المنسوبون إلى ذات الله تعالى المقدسة: عباد الرحمن، وقد رضي الله أن ينسبهم إلى ذاته باسم «الرحمن» الذي يشعر بأنهم أهلٌ لرحمة الله تعالى، وأنهم في دائرة هذه الرحمة، وأن الرحمة تحيطهم عن يمين وعن شمال، ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم، فهم عباد الرحمن.

وقبل ذلك - في هذه السورة - قال الله تعالى عن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠].

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٦، ٢٨٨٧)، عن أبي هريرة.

و«القطيفة» و«الخميصة»: أنواع من الثياب العربية. و«انتكس» أي: انقلب على رأسه خيبة وخساراً، و«شيك» أي: دخلت في جسمه شوكة، و«الانتقاش»: نزاعها بالمنقاش، وهذا مثلٌ معناه: إذا أصيب فلا انجبر.

فإذا كان هؤلاء يجهلون: ما الرحمن، فإنّ هناك أناسًا يعرفون الرحمن، ويقدرّونه حقّ قدره، ويؤدّون له حقّه، وهم عباده المخلصون والمخلصون، أخلصوا دينهم لله، وأخلصهم الله لدينه.

خصائص وصفات عباد الرحمن:

أتريد أن تكون من عباد الرحمن؟ أتريد أن تنتسب إلى الله تعالى؟ أتريد أن تكون واحدًا من هؤلاء؟ أتريد أن تكون عضوًا في هذه الجماعة؟ وأن تكون عبدًا من عباد الرحمن وحده؟

إذن فاعرف مقوماتهم وخصائصهم وصفاتهم، اعرف من هم «عباد الرحمن»؛ حتّى تجتهد أن تكون واحدًا منهم؛ فالمسألة ليست بالكلام، القضية ليست دعوى، فما أكثر الدعوى وما أعزّ المعنى.

ما أكثر من يقول: أنا من عباد الرحمن، ولكن أفعاله تنطق وتدلّ عليه وتقول له: أنت من عباد الشيطان، ولست من عباد الرحمن.

عباد الرحمن لهم خصال وصفات وسمات، ذكرها الله في هذه الآيات، وما أجدرنا أن نعيش في رحاب هذه الآيات جُمعًا وجُمعًا.

أول سمات عباد الرحمن: أنّهم يمشون على الأرض هونًا.

انظروا كيف بدأ الله أوصاف عباد الرحمن بهذه الصفة: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، ألمشي هذا الاعتبار كلّهُ؟! كيفيّة المشي، صفة المشي، لها قيمة عند الله؟!

نعم؛ لأنّها تُعبّر عن الشخصية، تعبّر عمّا يستكنّ فيها من مشاعر وأخلاق؛ فالمُتَكَبِّرون الجَبَّارون لهم مشية، والمؤمنون المتواضعون لهم مشية، كلّ يمشي مُعبّرًا عمّا في ذاته.

وعباد الرحمن يمشون على الأرض هوناً، يمشون متواضعين هينين لينين، يمشون بسكينة ووقار، لا بتجبر ولا استكبار، لا يستعلون على أحد، لا ينتفشون ولا ينتفخون، لا يمشي أحدهم، وكأنه يقول: «يا أرض انهدي، ما عليك قدي».

لا، إنه يمشي مشية من يعلم أنه من الأرض خرج، وإلى الأرض يعود ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

النهى عن المشي المرح والاختيال والفخر:

وفي وصايا الله: الوصايا الحكيمة في سورة الإسراء، كان النهي عن المشي المرح والأشر والبطر، عن مشي الاختيال والفخر، كان النهي عنها إحدى هذه الوصايا: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾: مهما دببت برجليك. ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾: مهما تطاولت بعنقك، وشمخت برأسك، فامش إذن متواضعاً حتى يحببك الله، وحتى يحببك الناس، فالله لا يحب المختال الفخور.

ولهذا نجد القرآن في آية ثالثة يحكي لنا عن وصية لقمان لابنه وهو يعظه، فكان من وصاياه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ * وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿[لقمان: ١٨، ١٩].

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تكلم الناس وأنت معرض عنهم، مشيح عنهم بوجهك، ولا تجعلهم يكلّمونك وأنت معرض عنهم، بل أقبل عليهم، وكلّمهم ووجهك منبسط إليهم.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. المختال: الذي يظهر أثر الكبر في أفعاله، والفخور: الذي يظهر أثر الكبر في أقواله، فهو يقول: أنا فلان، وابن فلان، ومن أسرة فلان.

الله لا يحبُّ المختال ولا يحبُّ الفخور، إنما يحبُّ المتواضع الذي يعرف قدر نفسه، ولا يحتقر أحدًا من الناس.

يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا:

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾. ليس معنى الهون: أنهم يمشون متماوتين متمارضين، كما يفعل بعض من ينتسب إلى التقوى والصلاح، فهو يتماوت ويتصنع.

لا، ما كان هكذا رسول الله ﷺ، ولا كان أصحابه.

كان النبي ﷺ - كما روى عنه علي بن أبي طالب - إذا مشى تكفأ تكفؤًا كأنما ينحط من صَبَب^(١).

وهي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة، كما قال ابن القيم رحمه الله^(٢).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تطوى له، وإننا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث^(٣).

(١) أي: كأنه ينزل من مرتفع إلى منحدر. والحديث رواه أحمد (٧٤٦)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره.

والترمذي في المناقب (٣٦٣٧)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان في المناقب (٦٣١١)، وقال الأرنؤوط: صحيح. والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦٠٥/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١٦١/١)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٣) رواه أحمد (٨٩٤٣)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والترمذي في المناقب (٣٦٤٨)، وقال:

حديث غريب. وابن حبان في التاريخ (٦٣٠٩).

هكذا، لم يكن ﷺ متماوتًا ولا بطيئًا، وليس معنى «السَّرعَة» هنا: السَّرعَة التي تذهب بالوقار، بل الوسط، لا بالسريع المفرط، ولا بالبطيء المفرط. هذا هو مشي المؤمنين، مشي فيه قوَّة، وفيه في نفس الوقت تواضع. وهكذا كان عمر رضي الله عنه، رأى شابًا يتماوت في مشيته، فقال: أنت مريض؟ قال: ما أنا بمريض. قال: فلا تمش هكذا. وعلاه بدرته^(١).

أمره أن يمشي مشي الأقوياء المتواضعين. ورأت إحدى الصحابيَّات شَبَّانًا يمشون متهاكين متماوتين، فسألت عنهم: من هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء نُسَّاك عُباد. قالت: والله لقد كان عمر إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع، وكان هو النَّاسك حقًّا^(٢)! كلُّ أفعاله تدلُّ على القوَّة، ليس بالمتماوت.

فليس معنى المشي الهون: أنهم يمشون متماوتين، لا، ما يريد الإسلام هذا الإنسان المتماوت المتمارض.

رأى عمر بعض النَّاس يتخشَّع في صلاته، ويتصنَّع ويُطأطئ رقبته، فعلاه بالدَّرة وقال: يا هذا، ارفع رأسك، لا تُثِمَّت علينا ديننا أَمَاتَك اللهُ؛ إِنَّ الخشوع في القلوب، ليس الخشوع في الرقاب^(٣)!

(١) مدارج السالكين لابن القيم (٥١٧/١)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨٨/٤٤)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٥١٧/١).

فهذا الذي نريده بالمشي الهون.

﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾، أي: يمشون لينين متواضعين مع القوة أيضًا. والسرعة المتوسطة على حسب مقدرتهم وسنّهم واستطاعتهم.

التحذير كله أن يمشي الإنسان في الأرض مرحًا، وأن يمشي الإنسان في الأرض مختلًا، فقد حذر النبي ﷺ من ذلك أشد التحذير وقال: «من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته، لقي الله تعالى وهو عليه غضبان»^(١).

وقال: «بينما رجلٌ ممَّن كان قبلكم يتبخر، يمشي في بُرْدِيهِ، قد أعجبه نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»^(٢).

يمشي متبخرًا في بُرْدِيهِ، مُعْجَبًا بنفسه، شامخًا بأنفه، ثانيًا لعطفه، مُصْعِرًا لخدّه، فخسف الله به الأرض، كما خسف بقارون حينما خرج على قومه في زينته، مختلًا فخورًا، فخسف الله ﷻ بِهِ، وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿[القصص: ٨١]

علام يتكبر الإنسان؟

علام إذن يستكبر الناس؟ علام يتجبرون؟ علام يستعلون على غيرهم؟

(١) رواه أحمد (٥٩٩٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٩)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٥٤٣)، عن عبد الله بن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٧٨٩)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٨٨)، عن أبي هريرة.

لو نظروا إلى أنفسهم لوجدوا - كما قال الإمام الغزالي - أن أباهم الماء المهين وجدّهم التراب^(١).

وكما قال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧، ٨].

رأى مطرّف بن عبد الله بن الشّخير، المَهْلَب يمشي مُتَبَخِّرًا، فغمزه ونهاه عن هذه المشية، وقال: إنّ هذه مشية يبغضها الله تعالى. وكان المَهْلَب قائدًا من القوّاد الكبار فقال له: أمّا تعرفني؟

قال له: نعم، أعرفك وأعرف أولك وآخرك، أولك نُطفة مَذِرَة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العَذِرَة^(٢)!

أولك نُطفة، ماء مَهِين، كما ورد عن بعض السلف: عَجِبْتُ لِمَنْ جَرَى فِي مَجْرَى الْبُولِ مَرَّتَيْنِ كَيْفَ يَتَكَبَّرُ^(٣)؟!

لأنّه وهو نُطفة خارج من أبيه جرى في مجرى البول، وهو أيضًا حينما وُلد جرى في مجرى البول من أمّه.

وقال الحسن: عَجِبْتُ لِمَنْ يَغْسِلُ الْخُرْءَ بِيَدِهِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ كَيْفَ يَتَكَبَّرُ عَلَى جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ^(٤)؟!

لماذا يتكبر الإنسان؟ علام يتكبر؟ وعلام يختال؟ وعلام يفتخر على غيره ما دام أوله نُطفة وآخره جيفة؟! آخره الموت الذي يسوّي بين

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣٦١)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٤/١٢٠).

(٣) المصدر السابق (٢٤/٣٢٨)، والقاتل الأحنف بن قيس.

(٤) إحياء علوم الدين (٣/٣٣٨).

الكبير والحقير، والغني والفقير، الكل ينتهي عند هذه الغاية، فعلام يتكبر المتكبرون؟

الأرض التي يمشي عليها الإنسان مرحًا، هذه الأرض تُرى ماذا وارت من الكبار؟ ماذا وارت من الأثرياء؟ ماذا وارت من الأمراء؟ ماذا وارت من الملوك؟

يقول الشاعر الصالح:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعًا فكم تحتها قومٌ همو منك أرفع
وإن كنت في عزٍّ وجاهٍ ومنعةٍ فكم مات من قومٍ همو منك أمتع^(١)

ثم إنَّ أبا العلاء المعري له قصيدة رائعة يقول فيها:

صاح هذي قبورنا تملأ الربح فأين القبور من عهدٍ عادٍ؟!
خفف الوطأ، ما أظنُّ أديم الـ أرضٍ إلا من هذه الأجساد!
سرَّ إن استطعت في الهواء رويدًا لا اختيالاً على رفات العباد!
فقيح بنا وإن قَدُم العهدُ هوانُ الآباء والأجداد^(٢)

ما يدريك لعلَّ الأرض التي تمشي عليها مقبرة قديمة ذابت وبلّيت فيها عظام قوم، كانوا من كُبراء النَّاس.

نحن على حداثة عهدنا رأينا مقابر واسعة في قطر فُتحت وامتلات وأغلقت، وفُتحت أخرى وتمتلئ وتُغلق.

(١) من شعر الكريزي. انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٦١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الحماسة المغربية (٨٨٠/٢)، تحقيق محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩١م، وسقط الزند ص ٧، نشر دار صادر للطباعة والنشر.

فأين قبور من كان قبلنا؟ من يدري أن الأرض التي نمشي عليها هي مقابر قديمة؟ من يدري لعل الأرض التي تختال عليها برجليك أو بسيارتك تنهب الأرض نهباً، إنما هي مقابر لعظماء من الناس من قديم؟

المختال حقير عند الناس:

لا تمش في الأرض مَرَحًا، اعرف قدرك أيُّها الإنسان، تواضع لله.

فمن تواضع لله رفعه، فهو في نفسه حقير، وعند الناس كبير.

ومن تكبر وضعه الله، فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير.

إذا كان الإنسان يختال ويفتخر ويتعظم ليكون عظيمًا عند الناس، فالعكس هو الصحيح، إنَّ هذا يحقره عند الناس، ويجعله بغيضًا إلى الناس كما هو بغيض إلى الله تعالى.

تواضع رسول الله ﷺ:

ولهذا كان على الإنسان المؤمن أن يتواضع، وكما قالت عائشة رضي الله عنها: أفضل عبادة للمؤمنين التواضع^(١). كما كان رسول الله ﷺ أكثر الناس تواضعًا، على ما له من مقام عند الله وعند الناس.

كان يمشي خلف أصحابه كواحد منهم، وكان يجلس بينهم لا يتميز عليهم، حتَّى إنَّ الرجل الغريب ليأتي فيقول: أيُّكم مُحَمَّدٌ^(٢)؟ أيُّكم ابن عبد المطلب؟

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٨٨٤)، والنسائي في الكبرى في المواعظ (١١٨٥٢).

(٢) رواه البخاري في العلم (٦٣)، عن أنس قال: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله، ثم قال لهم: أيُّكم محمد؟... الحديث.

لأنه لا يتميز بشيء عن أصحابه.

وكان في بيته في مهنة أهله، يُرَقَّع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويطحن مع الجارية والغلام، بيديه الكريمتين ﷺ^(١).

على الإنسان المؤمن أن يتعلّم التواضع، وأن يمشي في الأرض هوناً، هذه أول صفات «عباد الرحمن»؛ فالتواضع يظهر أثره في المشي.

وتزيد المرأة المسلمة في صفة المشي أنها تمشي على استحياء، كما وصف الله تلك المرأة ابنة الشيخ الكبير فقال: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

إنَّ القبول عند الله وعند الناس ليس بالخيلاء ولا بالافتخار؛ فالله لا ينظر إلى من جرَّ إزاره خيلاء، لا ينظر إلى من استكبر على عباد الله، وبحسب امرئ من الشر أن يستكبر على أخيه المسلم.

إنَّما ينظر الله إلى المتواضعين، الذين تواضعوا له، وتواضعوا لعباده، حتَّى إنَّ الله تعالى مدح الذلة على المؤمنين بقوله في وصف عباده المخلصين: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباد الرحمن ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرُّم: ١٨].

استغفروا ربكم إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٤)، وقال مخرّجوه: صحيح. وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٦٧٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٦٧١).

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿ [الملك: ١، ٢].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، السراج المنير، والبشير النذير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

في هذا الأسبوع حضرت المؤتمر العالمي الثاني للدعوة الإسلامية والدعاة المسلمين في المدينة المنورة، في رحاب حرم رسول الله ﷺ، وبدعوة من الجامعة الإسلامية هناك، واتخذ المؤتمر توصيات هامة كثيرة.

ومن هذه التوصيات توصية أقولها لكم الآن وهي:

نداء إلى جميع الحكومات والمؤسسات والشركات والأفراد المسلمين، أن يستغنوا عن العمالة الأجنبية بالعمالة الإسلامية، وأن يستخدموا المسلمين قبل غيرهم؛ فإنّ العمالة الأجنبية الوافدة قد كثرت في بلاد المسلمين، وخاصّة في بلاد الخليج.

وهذا خطر على الطابع الإسلامي لهذه البلاد، وخطر على البيوت الإسلامية أن يدخلها غير المسلمين وغير المسلمات، وبخاصّة المُرَبِّيَّات والمشرفات على تربية الأبناء والبنات، وقد قال النبي ﷺ:

«لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(١)؛ فالذي يدخل بيتك ويعاشرك ويصاحبك ويأكل طعامك، ويطلع على عوراتك، ويعرف أمورك، ينبغي أن يكون مسلماً، بل ينبغي أن يكون من أصلح المسلمين كلما استطعنا ذلك.

فهذا النداء إلى الناس أن يتحروا في هذه النقطة، وأن يبادروا إلى اختيار المسلمين قبل كل شيء، والمسلمات قبل كل شيء، فهذا نداء وهذه توصية أحببت أن أبلغها إليكم؛ لكثرة ما أرى من دخول غير المسلمين وغير العرب إلى هذه البلاد وإلى غيرها.

فليتحر كل مسلم وكل مسلمة يسمع هذا، وخاصة في البيوت، والإشراف والتربية، فلا ينبغي أن نعطي أولادنا وأطفالنا لغير المسلمين ولغير المسلمات يلقنونهما ما لا نعرف، أو ما نعرف أنه ضد الدين.

النبي ﷺ يقول: «كل مولود يولد على الفطرة، حتى يُعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»^(٢).

والمربية تصبح بمنزلة الأبوين، فلهذا ينبغي أن نعي هذا الخطر، وأن ندركه، وأن نحاول العمل بهذه التوصية.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه سميع قريب.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دُنياً التي

(١) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٣٢)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٥٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٠١٨)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٨٥)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، عن أبي هريرة.



صفات عباد الرحمن الْجِلْمُ

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كُنَّا تَحَدَّثْنَا عَنْ صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي
أَوَاخِرِ سُورَةِ الْفُرْقَانِ، وَتَحَدَّثْنَا عَنِ الصِّفَةِ الْأُولَى مِنْ صِفَاتِهِمْ وَهِيَ أَنَّهُمْ:
﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ الصِّفَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ صِفَاتِهِمْ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

صِفَتُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ: التَّوَاضُّعُ، أَنَّهُمْ هَيْنُونَ لَيْنُونَ، مُتَوَاضِعُونَ غَيْرِ
مُسْتَعْلِينَ وَلَا مُسْتَكْبِرِينَ، «وَمَا تَوَاضَعُ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(١).

حال عباد الرحمن مع الناس:

وَالصِّفَةُ الثَّانِيَةُ: حَالُهُمْ مَعَ النَّاسِ وَخَاصَّةً مَعَ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالسُّفْهِ!
﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

(١) رواه مسلم في البرِّ والصَّلة (٢٥٨٨)، وأحمد (٩٠٠٨)، عن أبي هريرة.

قالوا قولاً يَسْلَمُونَ فيه من الإثم، وَيَسْلَمُونَ فيه من اللوم، وَيَسْلَمُونَ فيه من سوء العاقبة، لا يَرُدُّونَ على السيئة بالسيئة وإن كان هذا من حقهم، وإن كانوا يقدرون على أن يكيلوا الصاع صاعين، وأن يردوا اللطمة لطمتين، ولكنهم لا يشغلون أنفسهم بالرد على الجهال والسفهاء. لا، إنهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

قالوا قولاً سديداً يليق بهم، ويليق بحالهم مع الله، يليق بحالهم مع الآخرة، يليق بما نصبوا أنفسهم له من نصره الدين، وإقامة الحق في الأرض.

﴿قَالُوا سَلَامًا﴾: قالوا لهم: سلام عليكم، كما حكى الله تعالى عن جماعة من المؤمنين: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

لنا طريق ولكم طريق، ولا نحب أن نتنازل عن طريقنا لنمشي في طريقكم.

هذا هو شأن عباد الرحمن ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. والجهل هنا ليس هو «الجهل ضد العلم»، ولكنه أكثر ما يكون «الجهل ضد الحلم».

الجاهل السفیه قد يحمل شهادة عالية، وقد يتسّم أرفع المناصب، ولكنه جاهل في نفسه، سيئ الخلق، قد يكون له لسان، وقد يكون له قلم يكتب به في كبريات الصحف، ولكنه سفیه جاهل، يُمكن لسانه وقلمه من أعراض الشرفاء من الناس.

هؤلاء إذا خاطبوا عباد الرحمن ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾. قالوا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا
 نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾، هؤلاء هم الجاهلون، كما قال الشاعر الجاهلي:
 أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(١)
 «الجاهل» في نظر القرآن هو: كل من عصى الله تعالى، كل من غلب
 الهوى على الحق، كل من غلب الشهوة على العقل.

يوسف عليه السلام لما راوده النسوة عن نفسه قال: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ
 أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

وموسى عليه السلام حينما أمر قومه أن يذبحوا بقرة ﴿قَالُوا أَنْتَخَذْنَاهُ زُورًا قَالِ
 أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

أي أن يهزأ في موضع الجد، وأن يتكلم بسخرية في موضع الحق،
 هذا شأن الجاهلين.

فكل من عصى الله - كما قال السلف - فهو جاهل، وكل سيئ الخلق
 فهو جاهل.

عباد الرحمن لا يشغلون أنفسهم بمعركة دائمة مع الجاهلين.

الجاهلون ملء الأرض، لو شغل الإنسان نفسه بهم، فلن تستقيم له
 الحياة، ولن يستطيع أن يؤدي عمله، ولن تستريح له نفس، أو يطمئن له
 قلب، سيتعب وسيشغل نفسه بالباطل، ولهذا ينزهون أنفسهم عن الرد
 على هؤلاء، وإن كان لهم الحق في أن يردوا السيئة بمثلهما، ولكنهم
 يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا حقًا، فكل إناء بالذي فيه ينضح.

(١) من شعر عمرو بن كلثوم، انظر: جمهرة أشعار العرب ص ٣٠٠، تحقيق علي محمد البجاد،
 نشر نهضة مصر.

قالوا: إِنَّ الْمَسِيحَ ﷺ مَرَّ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالُوا فِيهِ شَرًّا، وَقَالَ فِيهِمْ خَيْرًا. فَقَالُوا لَهُ: يَقُولُونَ فِيكَ شَرًّا وَتَقُولُ فِيهِمْ خَيْرًا! قَالَ لَهُمْ: كُلُّ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ^(١).

من كان عنده الخير أنفق الخير، ومن لم يكن في جعبته إلا الشر والخبث أنفق الشر والخبث، وهذا ما قاله الشاعر العربي قديماً:

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مَنَا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَال بِالْدَمِّ أَبْطَحُ
فَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّفَاوْتُ بَيْنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ^(٢)

عباد الرحمن إذا خاطبهم الجاهلون ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾، نَزَّهُوا أَلْسِنَتَهُمْ أَنْ تُلَوِّثَ بِاللُّغُو مِنَ الْكَلَامِ؛ فِلْسَانُ الْمُؤْمِنِ جَدِيرٌ أَنْ يَمْلَأَهُ وَيُرْطِبَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، بِالتَّسْبِيحِ، بِالتَّحْمِيدِ، بِالتَّهْلِيلِ، بِالتَّكْبِيرِ، بِالِاسْتِغْفَارِ، بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا.

أَمَّا بِالرَّدِّ عَلَى الْجَهَّالِ، وَمَا أَكْثَرَهُمْ! فَيَنْزِعُ لِسَانَهُ عَنْهُ، وَيَحْرَصُ عَلَى وَقْتِهِ، عَلَى عَمَرِهِ أَنْ يَضِيعَ فِي هَذَا الْبَاطِلِ.

عباد الرحمن يعمرّون أوقاتهم بالخير:

العمر ثمين، والوقت نفيس، وهو كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ولهذا كان على عباد الرحمن أَنْ يَعْمُرُوا أَوْقَاتَهُمْ بِالْخَيْرِ، وَأَنْ يُعْرَضُوا فِيهَا عَنِ اللُّغُو.

ومن هنا كان من أوصاف المؤمنين الأولى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿ [المؤمنون: ٢، ٣].

(١) إحياء علوم الدين (١٧٩/٣).

(٢) من شعر ابن الصفي حيص بيص، انظر: حياة الحيوان الكبرى (١٩١/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

ينزّهون ألسنتهم، يحفظون أوقاتهم وأعمارهم، يحفظون صحائف حسناتهم، يريدون أن تمتلئ بالحسنات والخيرات، بدل أن يكتب عليهم شيء من السيئات، أو شيء لا لهم ولا عليهم.

يريدون أن يكونوا أصحاب الفضل يوم القيامة؛ فقد جاء في الحديث الذي رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: «إذا جمع الله تعالى الخلائق نادى مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس هم يسير». أعداد قليلة، ليسوا جمعًا غفيرًا «فينطلقون سراعًا إلى الجنة. فتلقاهم الملائكة فيقولون: إنّا نراكم سراعًا إلى الجنة، فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا إذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسىء إلينا غفرنا، وإذا جهل علينا حلمنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فنعلم أجر العاملين»^(١).

عباد الرحمن من أهل مرتبة الفضل:

عباد الرحمن يريدون أن يكونوا من أهل الفضل هؤلاء.

هناك مرتبتان: مرتبة العدل، ومرتبة الفضل.

مرتبة العدل: أن تقابل السيئة بمثلها.

ومرتبة الفضل: أن ترتفع عن ذلك؛ فتقابل السيئة بالحسنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

إذا كانت هناك طريقتان: طريقة حسنة وطريقة أحسن منها، فادفع بأحسن الطرق، وبأحسن الوسائل، بالكلمة الطيبة، بالفعل الجميل،

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٧٣١)، وقال: هذا متن غريب، وفي إسناده ضعف. عن عبد الله بن عمرو.

بالإحسان، بتقديم خدمة حتى لمن أساء إليك: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، كأنه صديق قوي الصداقة؛ وذلك لأنَّ الإنسان أسير الإحسان، إذا أحسنت إلى إنسان، فإنَّ إحسانك إليه يشدُّه إليك ويقربه منك، كما قال القائل:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبُهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ^(١)

جاء رجل إلى ترجمان القرآن وحَبْر الأُمَّة: عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فسبَّه وتطاول عليه. فنظر ابن عباس إلى مولاه عكرمة وقال: يا عكرمة، انظر هل للرجل من حاجة فتقضيها له؟ فنكَّس الرجل رأسه واستحى وانصرف^(٢).

وتطاول رجلٌ على عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهما، فكان عليه قميصه فأعطاه إيَّاه، وأمر له بألف درهم^(٣).

هكذا كان الأفاضل الشرفاء الأبرار من النَّاس يقابلون السيئة بالحسنة.

سُئِلَ أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٤]: ما معناها؟ قال: هو الرجل يشتمه أخوه؛ فيقول له: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك^(٤)!

(١) هو أبو الفتح البستي في قصيدة عنوان الحِكم ص ٣٦، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) إحياء علوم الدين (١٧٨/٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) حلية الأولياء (٢٥٢/٨) نشر دار السعادة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، والدر المنثور (١١٣/٦)، نشر دار الفكر، بيروت.

انظروا إلى هذه النفس الكبيرة، يقول له: يا ظالم، أو يا فاسق، أو يا مرائي، أو يا كذا، فيرد عليه هذا الرد: إن كنت صادقاً وأنا ظالم أو مُراء أو فاسق فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك كذبك.

الإنسان المؤمن يحلم ولا يغضب:

وبهذا تنطفئ نار الغضب. والغضب جمرة من النار يلقيها الشيطان في جوف ابن آدم، فعليه أن يطفئها بالحلم بكفّ النفس واللسان. ومن هنا كانت وصيّة النبي ﷺ لكثير ممّن استوصوه من الصحابة: «لا تغضب».

سأله رجل وصيّة وقال له: أقلل، يا رسول الله. يعني: أريد كلاماً قليلاً، لا أستطيع أن أحفظ الكلام الكثير. فقال له: «لا تغضب»^(١).

فأعاد عليه السؤال، وأعاد عليه النبي ﷺ الجواب.

ومعنى «لا تغضب»: لا تُطع الغضب، أي: إذا غضبت فكفّ نفسك، ألجمها بلجام التقوى، لا تُطع شيطان الغضب فتتصرف تصرف السفهاء. ومعناها أيضاً: لا تضع نفسك مواضع الغضب، ابعد عن أسباب الغضب ما استطعت.

هذا هو شأن الإنسان المؤمن، لا يغضب ولا يعرض نفسه للغضب، وإذا غضب أمسك لسانه ويده، فلا يتكلّم إلّا بخير، ولا يبسط يده إلّا إلى خير. سبّ رجلٌ رجلاً عند النبي ﷺ فقال المسبوب لسابّه كلما شتمه: عليك السلام، عملاً بهذه الآية: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦)، عن أبي هريرة.

فقال النَّبِيُّ ﷺ: «أما إِنَّ مَلَكًا بينكما يذُبُّ عنك، كُلَّمَا يَشْتَمُكَ هذا. قال له: بل أنت وأنت أحقُّ به. وإذا قال له: عليك السلام. قال: لا، بل لك أنت، أنت أحقُّ به»^(١).

أي أَنَّ الله يبعث من الملائكة من يذود عن هذا المظلوم الذي كفَّ لسانه وغضبه، ولم يردَّ على الجهل بمثله.

جاء في «صحيح البخاري»: أَنَّ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة - أحد جفاة الأعراب وكان سيِّدًا في قومه - فنزل على ابن أخيه الحرَّ بن قيس، وكان من نفر الذين يدينهم عمر، وكان القرَّاء أصحاب مجالس عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومشاورته كهولاً كانوا أو شبَّاناً، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، فاستأذن الحرُّ لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هَيَّ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتَّى همَّ به، فقال له الحرُّ: يا أمير المؤمنين، إِنَّ الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾، أي: ما عفا لك وتيسر من أخلاق النَّاس، عامل كلَّ إنسان على قدر طاقته، ولا تتطلب الكمال في النَّاس. ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾، ما تعرفه الفطر والعقول السليمة. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾: لا تشغل نفسك بهم.

(١) رواه أحمد (٢٣٧٤٥)، وقال مخرَّجوه: حسن لغيره. وحسن إسناده ابن كثير في تفسيره (١٢٢/٦)، عن النُّعْمَانِ بْنِ مَقْرَنٍ الْمَزْنِيِّ.

وكان عمر رضي الله عنه وقَّافًا عند كتاب الله تعالى، فما كاد يتلو هذه الآية، حتَّى هدا كلُّ ما في نفسه، وأعرض عنه ^(١).

وهكذا ينبغي أن يكون الإنسان المؤمن: يُعرض عن الجاهلين، لا يشغل نفسه بهم، إنَّه مشغول بما هو أعظم من ذلك، ليذكر الله تعالى، وليذكر الآخرة، وليذكر الحساب والجزاء.

أغلظ رجل لعمر بن عبد العزيز - وهو خليفة وأمير المؤمنين - في القول، ففكر عمر وأطرق مليًا، ثم قال له: أردت أن يستفزني الشيطان بسيف السلطان، فأنا لك اليوم ما تناله مني غدًا، لا والله ^(٢).

أراد أن يستفزَّه الشيطان لما له من سلطة ونفوذ، فيعاقب الرجل بما عنده من قدرة وسلطان، وإذا عاقبه اليوم فقد ينال منه غدًا؛ لأنَّ هناك قصاصًا يوم القيامة، حتَّى يقتص للشاء الجماء - التي لا قرن لها - من الشاة القرناء، إذا نطحت صاحبها.

هكذا كانت أُمَّتُنا: أُمَّة حِلْم، وأُمَّة عِلْم.

عباد الرحمن لا يشغلون أنفسهم بالتوافه:

كانوا لا يشغلون أنفسهم بالتوافه، ولا يشغلون أنفسهم بمعارك جانبية. عباد الرحمن يقولون: «سلامًا» إذا خاطبهم الجاهلون؛ لأنَّهم مشغولون بما هو أعظم، مشغولون بدينهم، مشغولون بآخرتهم، مشغولون بأمر أُمَّتِهم، وليسوا مشغولين بالانتصار للنفس.

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٦٤٢).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٩٧١).

الَّذِينَ يَنْتَصِرُونَ لأنفسهم، الَّذِينَ يدورون حول ذواتهم، الَّذِينَ جعلوا من أنفسهم أصنامًا يُطاف بها، هؤلاء هم الَّذِينَ يعيشون في معارك دائمة. من أجل كلمة يُقيم أحدهم حربًا، من أجل لفظة يقولها هذا أو ذاك يمتلئ قلبه حقداً، ويدير الحياة من وراء ذلك على هذا الأساس، يتخذ من هذا خصماً، ومن هذا عدواً من أجل كلمة قيلت، ولعلها قيلت في ثورة غضب.

عباد الرحمن ليسوا كذلك، إذا غضبوا فإنما يغضبون لله، يغضبون لذات الله، يغضبون لحق العقيدة، يغضبون لحق الشريعة، يغضبون لحق الأمة. وهكذا كان رسول الله ﷺ، لا يغضب لنفسه، ولا يغضب للعالم.

خدمه أنس بن مالك عشر سنين، وقال في ذلك: خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفًا قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا، وهلاً فعلت كذا^(١).

هذا الخلق العظيم، وهذه النفس السمحة، وهذا الطبع الكريم، كان في شؤونه الشخصية، ولكنه كان يغضب إذا انتهكت حرمة الله تعالى، كان - كما قال علي: «لا يغضب للعالم، فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له»^(٢).

كان يغضب لله ولا يغضب لشخصه، وهذا هو شأن عباد الرحمن، لا يغضبون لأنفسهم في الشؤون الشخصية، في شؤون الأخذ والعطاء، والبيع

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٩).

(٢) رواه الترمذي في الشمائل (٢٢٦)، عن هند بن أبي هالة. المكتبة التجارية، ط ١، ١٤١٣هـ -

والشراء، والتعامل والتحاسب، والصحة والجوار، ولا يشغلون أنفسهم بمعارك جزئية، إنما يشغلون أنفسهم بمعركة الإسلام والوجود الإسلامي.

وهذا ما ينبغي أن يعرفه المسلمون في عصرنا.

من أراد أن يكون من عباد الرحمن، فليدع هذه المعارك التي يفتعلها الناس بعضهم مع بعض.

الدنيا والله أهون من أن يتعارك عليها الناس، إنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، وهي أهون من أن يتقاتل عليها الناس.

لماذا ينتصر الناس لأنفسهم؟ من أنت أيها الإنسان؟ أيها التراب الذي يمشي على التراب، ويصير إلى التراب.

لا تغضب لنفسك، ولكن اغضب لربك.

لا تغضب لدنياك، ولكن اغضب لدينك.

فأين منا من يغضبون لربهم؟ وأين منا من يغضبون لدينهم؟ وأين منا من يتنازلون عن حقوقهم لإخوانهم؟ أين الأذلة على المؤمنين، الأعزة على الكافرين؟

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يجعلنا من عباد الرحمن ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

معركة المسلمين في أفغانستان مع الشيوعية:

من معارك الإسلام اليوم: معركة المسلمين في أفغانستان.

قدّر الله لأمتنا الإسلامية في هذا العصر أنْ تخوض معارك شتّى: معارك مع اليهودية العالميّة، ومعارك مع الصليبيّة الغربيّة والشرقيّة، ومعارك مع الشيوعيّة الدوليّة، معارك في كلّ مكان.

ومن أعظم هذه المعارك: معركة إخواننا في أفغانستان، معركتهم مع الشيوعيّة الحمراء، مع الإلحاد الأحمر، الذي ينكر وجود الله تعالى، وينكر الآخرة، وينكر النبوات والرسالات، وينكر القيم الأخلاقيّة، وينكر الإسلام خاصّة.

الإلحاد الشيوعي يحارب الأديان جميعاً، ولكنّه يخضّ الإسلام بمزيد من الحرب والنقمة لعداوات تاريخيّة.

هذا الإلحاد الشيوعي الأحمر لم يكتفِ بالتسلُّل إلى بلاد المسلمين، وغزوها من الداخل عن طريق التضليل الماركسي والغزو الفكري، الذي اصطاد ضحاياه من أبناء المسلمين الذين جهلوا دينهم، وجهلوا حقيقة رسالتهم.

لم يكفه هذا حتّى أراد أنْ يغزو المسلمين بالسلاح، وبدأ هناك في أفغانستان.

أفغانستان تمثل خط الدفاع للمسلمين جميعًا:

وأقول لكم: إنَّ أفغانستان تمثل خطَّ الدفاع بالنسبة للمسلمين جميعًا، لو انهار هذا الخطُّ سيزحفون على ما بعدها ويهدّدون هذه البلاد كلّها.

ولذلك فإنَّ المجاهدين في أفغانستان لا يدافعون عن أرض الإسلام في أفغانستان فقط، ولكنَّهم يدافعون عن شرف الإسلام، وعن شرف الأُمَّة الإسلاميّة كلّها، يدافعون عن كرامة هذا الدين، وهم يقاتلون وليس لهم نصير إلَّا الله تعالى.

لقد بدؤوا معاركهم بما معهم من مال قليل وسلاح ضئيل، ببندقيات قديمة، ثمَّ بدؤوا يأخذون أسلحتهم من أعدائهم، غنائم يغنمونها، فكانت عندهم بعد ذلك دبابات وغيرها.

يجب علينا أن نمدَّ يد العون مجاهدي أفغانستان:

هؤلاء يحتاجون إلى العون، إلى أن نعينهم بما نقدر عليه، إذا كانوا يجودون بالدم، فلا أقلَّ من أن نجود بشيء من المال، والله تعالى يقول: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، قدَّم الجهاد بالأموال على الجهاد بالأنفس؛ لأنَّه لا جهاد إلَّا بالمال، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوقَفْ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١].

ومن فضل الله أنَّه اشترى أنفسًا هو خالقها، وأموالًا هو رازقها، ثمَّ أعطى الثمن غاليًا: جنة عرضها السماوات والأرض.

ويقول النبي ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»^(١).

الجهاد بهذه الثلاث:

الجهاد بالنفس، والجهاد بالمال، والجهاد باللسان، وفي عصرنا بالقلم - أيضًا، كلُّ هذه الألوان من الجهاد.

ويقول ﷺ فيما جاء في «الصحيحين»: «من جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَفَ غازيًا في أهله بخيرٍ فقد غزا»^(٢)، «من مات ولم يغزُ ولم يحدث به نفسه، مات على شُعبة من النِّفاق»^(٣).

ولكن إذا لم تستطع أن تغزو، ولم تُتح لك الفرصة لتغزو، تستطيع أن تغزو بصورة أخرى: أن تجهَّز غازيًا في سبيل الله، أو تساهم في تجهيزه، أو تخلف أهله بخير.

مليون ومائتا ألف شهيد في أفغانستان!

لأنَّ هؤلاء من يقاتلون؟!

إنَّهم يقاتلون القوَّة الثانية في العالم، إنهم يقاومون إحدى الدولتين العظميين في هذا العالم، إنهم يقاومون «الاتحاد السوفيتي» بأسلحته وخبراته

(١) رواه أحمد (١٢٢٤٦)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود (٢٥٠٤)، والنسائي (٣٠٩٦)، كلاهما في الجهاد، وابن حبان في السير (٤٧٠٨)، والحاكم في الجهاد (٩١/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، عن أنس.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥)، عن زيد بن خالد.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٠)، وأحمد (٨٨٦٥)، عن أبي هريرة.

وما عنده، وهو لا يبالي أن يضربهم بالقنابل العنقودية، وقنابل النابالم، وبكل سلاح محرّم دوليًا؛ لأنّه لا يخاف الله، ولا يستحي من الناس.

ولهذا كان علينا واجب نحو إخوتنا هؤلاء: أن نمدّ لهم يد العون، أن نكون وراءهم بقلوبنا وألسنتنا وأموالنا حتّى ينصرهم الله، ونصرهم نصرٌ لنا، نصرٌ للإسلام، نصرٌ لـ «لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله»؛ ليظل الأذان مرتفعًا في تلك البلاد التي فُتحت منذ عهد الصحابة، لتظل المئذنة تُرسل: الله أكبر الله أكبر، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح.

هؤلاء الذين يقفون على رؤوس الجبال والثلج يغطيهم عن يمينهم وعن شمالهم، ويعيشون بكسرة من الخبز، أو حبّات من التمر، أو كأس من الشاي، لا يطلبون فخراً، ولا يطلبون بهرجاً، إنّما يريدون القليل، والأقلّ من القليل.

إنّ هؤلاء - كما قال عبد ربّ الرسول سياف رئيس اتحاد المجاهدين في أفغانستان - حقاً علينا.

فجودوا لهم - أيّها الإخوة - وادفعوا ما استطعتم؛ فالقليل على القليل كثير، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿وَمَا نَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْراً وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

نسأل الله تعالى أن يتقبل منّا، وأن يقبلنا، وأن يغفر لنا ما مضى، وأن يصلح لنا ما بقي.

اللهم انصر أمّة الإسلام، اللهم ارحم أمّة الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود، اللهم انصرنا على

الشُّيُوعِيِّينَ، اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى الصَّلِيبِيِّينَ الْمُسْتَعْمِرِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى
الكُفْرَةِ الْمَلْحِدِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الدِّينِ، اللَّهُمَّ إِنَّا
نَجْعَلُكَ فِي نَحْوِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ
تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.



صفات عباد الرحمن قيام الليل

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا نعيش مع عباد الرحمن، مع هذه اللوحة القرآنية التي رسمها الله تعالى لعباده؛ ليصور لنا فيها نموذجًا من النماذج الراضية المرضية عند الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ۝﴾ [الفرقان: ٦٣، ٦٤].

حدَّثنا الله تعالى عن حالهم في أنفسهم، وحالهم «التواضع» لا الفخر ولا الكبرياء: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ۝﴾.

وحدَّثنا عن حالهم مع النَّاسِ، وهي حال من لا يشغل نفسه بالسفهاء، ولا يخاطب الجاهلين إِلَّا سَلَامًا: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝﴾.

وهو هنا يحدثنا عن حالهم مع ربِّهم، وتتجلى حالهم هذه في جُنع الليل، إذا أرخى الليل سدوله، إذا أوى النَّاسُ إلى فُرُشهم ولُحُفهم، كان



إِنَّهُمْ فِي لَيْلِهِمْ بَيْنَ سَجُودٍ وَقِيَامٍ، وَهَذِهِ أَظْهَرَ حَالِ الصَّلَاةِ: السَّجُودَ وَالْقِيَامَ «أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثَرُوا الدَّعَاءَ»^(١).

وَصِفُوا بالسجود حيث يضعون جبهاتهم على الأرض لله تعالى، هذه الجباه التي علت وارتفعت فلا تنحني لمخلوق، إنما تنحني لله ﷻ، راکعة ساجدة، خاشية خائفة، طامعة في رحمة الله ﷻ.

﴿يَتْلُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾: فهم بين سجود وقيام، يقومون يتلون كتاب الله، يقرؤون كلام الله، يسألونه الرحمة، ويستعيذون به من النار.

إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لَيْسَ طَلَبًا لِمَرْضَاةِ أَحَدٍ، وَلَا ابْتِغَاءَ مَحَمْدَةٍ أَوْ شُهْرَةٍ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِلَّهِ: ﴿يَتَّبِعُونَ لِرَبِّهِمْ﴾.

إِنَّهُمْ يَبْتَغُونَ لِلَّهِ، يَبْتَغُونَ وَجْهَهُ، يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ، وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ،
وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ حِينَما وَصَفَ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ فَقَالَ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ أَنَا وَأَنَا
الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الزمر: ١٧]. هذا هو العلم، العلم بما أَعَدَّ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ نَعِيمٍ، وَمَا أَعَدَّ لِلْآخِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.

﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾: كان لبعض السلف غلام، خادم عندهم، فكان يقوم الليل، فقال له مولاه (سيده): إِنَّ قِيَامَكَ بِاللَّيْلِ يُوَثِّرُ عَلَى عَمَلِكَ فِي النَّهَارِ.

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٢)، وأحمد (٩٤٦١)، عن أبي هريرة.

قال: وماذا أعمل؟ إني إذا تذكّرت الجنة طال شوقي، وإذا تذكّرت النار طال خوفي، فكيف لي أن أنام بين خوف يزعجني، وشوق يقلقني؟! هؤلاء هم الذين ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، رغم أن المَضَجَّعَ هنيء، والفراشَ لين، فإنهم يدعون ذلك كله لله.

عجب ربنا تعالى من رجلين:

روى الإمام أحمد، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «عجب ربنا تعالى من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحيه إلى صلاته، فيقول الله جل وعلا: انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حيه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي، وشفقة ممّا عندي.

ورجل غزا في سبيل الله، وانهزم أصحابه، وعلم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتّى يُهْرِيقَ دمه، فيقول الله: انظروا إلى عبدي رجع، رجاء فيما عندي وشفقة ممّا عندي؛ حتّى يُهْرِيقَ دمه»^(١).

الخوف والطمع، أو الرغبة والشفقة، الرغبة فيما عند الله من المثوبة، والشفقة ممّا عنده من العقوبة، هو الذي جعله يترك الفراش اللين والمضجع الطيب إلى الله تعالى.

الرجل الآخر: الذي غزا لله، وحينما رأى أصحابه انهزموا، وعلم ما له في الرجوع وما عليه من الفرار، رجع وقاتل حتّى أهرق دمه، يعجب الله منه ويباهي به ملائكته.

(١) رواه أحمد (٣٩٤٩)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن إلا أن الدارقطني صحّح وقفه. وأبو يعلى (٥٣٦١)، وابن حبان في الصلاة (٢٥٥٨)، وقال الشيخ شعيب: إسناده قوي. والطبراني (١٧٩/١٠)، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٣٨).

كلاهما مجاهد، كلاهما مكابد، هذا جاهد النفس حتى أهرق دمه في مرضاة الله، وهذا كابد الليل وقام يرضي الله ﷻ.

عباد الرحمن قَوَّامٌ مستغفرون بالأسحار:

الله تعالى وصف المتقين بقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٨]، قلَّ هجوعهم، وقلَّ نومهم بالليل، وفي آخر الليل يستغفرون، يشعرون بالتقصير رغم قيامهم ومكابدتهم ليل وطوله، وبأنهم مُفَرِّطُونَ في جنب الله، مُقَصِّرُونَ في حق الله، فيطلبون المغفرة من الله تعالى.

كان بعض السلف يقوم من الليل حتى إذا جاء السحر قال: يا رب، إنَّ مثلي يستحي أن يسألك الجنة، فأسألك برحمتك أن تجيرني من النار^(١).

يرى أنه ليس أهلاً لأن يطلب الجنة، فحسبه أن يسأل النجاة من النار!

هؤلاء هم الذين حدا بهم الخوف والطمع - الخوف ممَّا عند الله، والطمع فيما عند الله - إلى أن يَصُفُّوا أقدامهم لله راكعين ساجدين، يناجونه قائلين:

سَهْرُ الْعُيُونِ لغير وجهك باطلٌ وبكاؤهنَّ لغير فَقْدِكَ ضائعٌ^(٢)!

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٢٤٠)، والقائل صلة بن أشيم.

(٢) البيت للشاعر العباسي خالد الكاتب، انظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٢/١٣٦)، تحقيق

د. كامل سلمان الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

تُوفِّي سيّد الصوفيّة في عصره، وشيخ المُربّيّن الرُّوحِيّين: الجُنَيْد رَحِمَهُ اللهُ، فَرَاهُ بعض أصحابه في المنام، فسأله عن حاله، فقال له: ذهبت الإشارات، وطاحت العبارات، وضاعت العلوم، وفنيت الرسوم، ولم ينفعنا إلّا رُكِيَعَاتٍ كُنَّا نقوم بها في جوف الليل^(١)!

وصف الشاعر ابن الرُّومي هؤلاء القَوّام المستغفرين بالأسحار، في قصيدة له وصفًا مبدعًا حينما قال:

تَجَافَى جُنُوبُهُمْ	عن وَطِيءِ الْمَضَاجِعِ
كُلُّهُمْ بَيْنَ خَائِفٍ	مُسْتَجِيرٍ وَطَامِعٍ
تَرَكَوا لَذَّةَ الْكَرَى	لِلْعَيُونِ الْهَوَاجِعِ
وَرَعَوْا أَنْجُمَ الدُّجَى	طَالِعًا بَعْدَ طَالِعِ
لَوْ تَرَاهُمْ إِذَا هُمُ	خَطَرُوا بِالْأَصَابِعِ
وَإِذَا هُمْ تَأَوَّهُوا	عِنْدَ مَرِّ الْقَوَارِعِ
وَإِذَا بَاشَرُوا الثَّرَى	بِالْخُذُودِ الضُّوَارِعِ
وَاسْتَهَلَّتْ عَيُونُهُمْ	فَائِضَاتِ الْمَدَامِعِ
وَدَعَوْا: يَا مَلِيكَنَا	يَا جَمِيلَ الصَّنَائِعِ
اعْفُ عَنَّا ذُنُوبَنَا	لِلْوَجْهِ الْخَوَاشِعِ
اعْفُ عَنَّا ذُنُوبَنَا	لِلْعَيُونِ الدَّوَامِعِ
أَنْتَ - إِنْ لَمْ يَكُنْ	لَنَا شَافِعٌ - خَيْرُ شَافِعِ
فَأُجِيبُوا إِجَابَةً	لَمْ تَقَعْ فِي الْمَسَامِعِ
لَيْسَ مَا تَضْنَعُونَهُ	أَوْلِيَاءِي بِضَائِعِ

(١) مدارج السالكين (٤١/٢).

تاجروني بطاعتي تربحوا في البضائع
وابذلوا لي نفوسكم إنها في ودائعي^(١)!

الليل للناس فيه أحوال ومنازل:

هؤلاء هم قَوَّام الليل، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، والليل للناس فيه أحوال ومنازل:

هناك من يقضي الليل في طاعة الله، وهناك آخرون يقضونه في نوم إلى الصباح، وهناك من يسهرون الليل، ولكن فيم يسهرون الجفون؟ وفي أي حال يعيشون؟!

إنَّ هناك من يسهر في اللهو والمجون، هناك من يسهر في لهو وعبث حتَّى قُرب الفجر، فإذا قُرب الفجر نام، ولم يقم إلَّا في الضحى أو في الظهر.

هناك من يبيت ليله لَيْلاً أحمر في شهوات ومنكرات، يَعْْبُ من الشهوات، ويقارف المنكرات، لا يخشى خالقاً، ولا يستحي من مخلوق.

هناك من يقضي الليل في إجرام، يبيِّت المكاييد والشرور والأذى للناس.

وهناك من لا همَّ له إلَّا الأكل والشرب والنَّوم، فنهاره شراب وطعام، وليله رقود ومنام، على نحو ما قال القائل:

إِنَّمَا الدُّنْيَا طَعَامٌ وشَرَابٌ ومَنَامٌ
فإذا فاتك هذا فعلى الدُّنْيَا السَّلَامُ^(٢)!

(١) ديوان ابن الرومي (١٤٨٢/٤، ١٤٨٣)، نشر دار الكتب المصرية.

(٢) الشاعر هو أبو نواس. انظر: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، للوطواط ص ٨٧، تحقيق إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

هذه أنواع من الليل لأصناف من النَّاس، وأمّا ليل هؤلاء: فهم ﴿يَبْتَئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾.

وصف قيام رسول الله ﷺ:

كان رسول الله ﷺ كما وصفته عائشة: يقوم من الليل حتّى تنفطر قدماه. أي: تتشقق، وفي بعض الروايات: حتّى تتورّم قدماه. فقالت له: لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا»^(١).

دخل عليها يومًا عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح فسألاها: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ؟

فسكتت، ثمّ قالت: لمّا كان ليلة من الليالي قال: «يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربّي».

قلت: والله إنني أحبُّ قربك، وأحبُّ ما يسرك. قالت: فقام فتطهر، ثمّ قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتّى بلّ حجره، قالت: وكان جالسًا، فلم يزل يبكي ﷺ حتّى بلّ لحيته. قالت: ثمّ بكى حتّى بلّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، وتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ لقد نزلت عليّ الليلة آية، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]»^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧) ومسلم في صفة القيامة (٢٨٢٠).

(٢) رواه ابن جرّان في الرقائق (٦٢٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو الشيخ في أخلاق النبي (٥٤٤).

هكذا كان ليله ﷺ ، وهكذا كان أصحابه.

كانوا يشمرون عن ساعدهم، كانوا يحاولون أن يقوموا الليل كله، وكان منهم من لا يكتفي بقيام نصف الليل أو ثلثيه، ويريد أن يقوم الليل كله، والنبي ﷺ يحاول أن يردّهم إلى الاعتدال حتّى يدوموا عليه، ف«أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلَّ»^(١).

أصحاب الأشواق العالية لا يقتصرون على الفرائض:

كانت أشواقهم عالية، كانت هممهم رفيعة، فلم يكونوا يقتصرون على الفرائض، بل كانوا يحبُّون أن يتنفلوا وأن يستزيدوا، وأن يُكثروا من رصيدهم عند الله تعالى، هكذا كان سلف هذه الأمة.

باع الحسن بن صالح - من فقهاء السلف - جارية كانت عنده لقوم، فلمّا كان الثلث الأخير من الليل قامت تنادي فيهم: الصلاة، الصلاة.

فقالوا لها: أأصبحنا؟ أطلع الفجر؟

قالت لهم: وما تصلون إلّا الفجر؟! قالوا: بلى ما نُصَلّي إلّا المكتوبة. فرجعت إلى سيّدها الأوّل وقالت له: بعطني لقوم ليس لهم حظّ من الليل، بالله عليك إلّا ردّدتني^(٢)!

هكذا كانوا، أحرارًا وعبيدًا، حرائر وإماء، رجالًا ونساء، كانوا يقومون الليل كله.

مرّ أبو حنيفة - وكان يقوم بعض الليل - على قوم، فقال بعضهم وأشار إليه: هذا هو الرجل الذي يحيي الليل كله.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٣)، عن عائشة.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب ص ١٤٧، نشر دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

فقال: والله إنني لأستحي من الله أن أوصف بما لا أفعل، فكان بعد ذلك يحيي الليل كله^(١).

وكان منهم من يقوم جزءاً منه، وهذا هو الأوفق للسنة والأرفق للبدن. قال النبي ﷺ: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود؛ كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»^(٢). أي: ينام الجزء الأخير من الليل حتى يقوم بنشاط.

فكانوا حريصين على جوف الليل، كما جاء في الحديث: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل»^(٣).

وقد ورد أن الله ﷻ ينزل إلى عباده ويتجلى عليهم في الثلث الأخير من الليل ويناديهم: هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فيعطى سؤاله؟ هل من كذا، هل من كذا؛ حتى يطلع الفجر^(٤). إنها ساعات الأسحار، ساعات التجلي: «أقرب ما يكون الربُّ من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممَّن يذكر الله في تلك الساعة فكن»^(٥).

(١) إحياء علوم الدين (٢٨/١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٣١)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه مسلم في الصيام (١١٦٣)، وأحمد (٨٠٢٦)، عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، عن أبي هريرة.

(٥) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٧٩)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن خزيمة في الصلاة (١١٤٧)، والحاكم في الوتر (٣٠٩/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٤٨)، عن عمرو بن عبسة.

ومن لم يستطع أن يكون له حظ من الليل، لا نصف ولا ثلث، ولا سدس، فليحرص على أن يصلي العشاء في جماعة والصبح في جماعة؛ فإن النبي ﷺ قال: «من صَلَّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صَلَّى الصبح في جماعة فكأنما صَلَّى الليل كله»^(١).

ومن لم يفعل ذلك، من كان أدنى من هذه المنازل، فليحرص على الصلوات في أوقاتها، ولا يضيع الصلاة حتى تشرق عليه الشمس وهو نائم.

على الناس أن يقوموا في الصباح الباكر:

ذَكَرَ عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح. قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه»^(٢). قال الحسن: إن بوله والله لثقل^(٣).

وما أكثر الذين جعلوا من آذانهم مبادل للشيطان!

لقد فسد على الناس نظام حياتهم، كان الناس من قبل ينامون مبكرين، ويستيقظون مبكرين، فلما جاءت الأجهزة الحديثة - أجهزة الإعلام والأفلام والمسلسلات - التي تُسهر الناس إلى ما بعد نصف الليل، أصبح من العسير على الناس أن يقوموا في الصباح الباكر.

ينبغي أن تكون الصلاة هي المُنظَّم لحياة المسلمين، ولمواعيد يقظتهم ونومهم؛ ليستقبلوا الصباح الباكر من يد الله طهوراً قبل أن تلوّثه أنفاس العصاة، ففي الحديث: «اللهم بَارِكْ لَأُمَّتِي في بكورها»^(٤).

(١) رواه مسلم في المساجد (٦٥٦)، وأحمد (٤٩١)، عن عثمان بن عفان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٧٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٧٤)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (٩٥١٦)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وقال الهيثمي (٣٥٧٦): رجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه أحمد (١٥٤٤٣)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذي =

ورد عن النبي ﷺ فيما رواه البخاري: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسٍ ^(١) أَحَدَكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عَقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عَقْدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانٍ» ^(٢) لا زالت عقد الشيطان على رأسه، ولذلك قال النبي ﷺ: «فَحُلُّوا عُقْدَ الشَّيْطَانِ وَلَوْ بِرُكْعَتَيْنِ» ^(٣).

هكذا يريد منا رسول الله ﷺ: ألا نستسلم للشيطان.

المعين على قيام الليل:

إِنَّ الَّذِي يَعِينُ النَّاسَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ - كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ رحمته الله ^(٤) - أَنْ يَتَخَفَّفُوا مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: لَا تَأْكُلُوا كَثِيرًا، فَتَشْرَبُوا كَثِيرًا، فَتَرْقُدُوا كَثِيرًا، فَتَتَحَسَّرُوا عِنْدَ الْمَوْتِ كَثِيرًا. وَمِمَّا يَعِينُ أَيْضًا عَلَى ذَلِكَ: أَلَّا يَجْهَدَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ بِالنَّهَارِ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِاللَّيْلِ، وَأَنْ يَسْتَعِينُ كَذَلِكَ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ بِالْقِيلُولَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْأَثَرِ ^(٥).

= فِي الْبَيُوعِ (١٢١٢)، وَقَالَ: حَسَن. وَابْنُ مَاجَهَ فِي التَّجَارَاتِ (٢٢٣٦)، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ (٢٣٤٥)، عَنْ صَخْرِ الْغَامِدي.

(١) قَافِيَةُ الرَّأْسِ: مُؤَخَّرُهُ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ (٣٢٦٩)، وَمُسْلِمٌ فِي صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ (٧٧٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(٣) رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي الصَّلَاةِ (١١٣٢).

(٤) إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ (٣٥٦/١).

(٥) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحَرِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ، وَبِالْقِيلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (١٦٩٣)، وَابْنُ خُزَيْمَةَ (١٩٣٩)، وَالْحَاكِمُ (٤٢٥/١) ثَلَاثَتُهُمْ فِي الصِّيَامِ، وَضَعَفَهُ النَّوَوِيُّ فِي الْمَجْمُوعِ (٤٨/٤).

دخل الحسن البصري السوق، فوجد أهله في شغلٍ شاغلٍ بدنياهم، وعجب من لغطهم ولغوهم؛ فقال: ما أظنُّ ليل هؤلاء إلاَّ ليل سوء؛ فإنَّهم لا يَقبلون^(١).

ثم على الإنسان بعد ذلك أن يتعد عن الحرام، وأن يجتنب الذنوب، قال سفيان الثوري: حُرِّمت قيام الليل خمسة أشهر بذنوب أذنبته، قيل: وما ذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي: هذا مُراء يرائي الناس^(٢).

وقال رجلٌ للحسن: يا أبا سعيد، إنِّي أبیت معافى وأحِبُّ قيام الليل، وأعدُّ طهوري فما بالي لا أقوم؟ قال: لعلَّ لك ذنوباً قيدتك^(٣).

وعلى الإنسان المسلم الذي يريد أن يتشبه بهؤلاء: فتشَبَّهوا إن لم تكونوا مثَلهم إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكَرَامِ فَلَاحٌ^(٤) عليه أن يتذكَّر الآخرة، يتذكَّر الموت وما بعده.

كان بعضهم يقول لنفسه إذا أراد النَّوم:
يا طویل الرُّقَادِ والغُفلاتِ كثرةُ النومِ تُورثُ الحَسراتِ
إنَّ في القبرِ إنْ نزلتِ إليه لِرُقَادًا يطولُ بعد المَماتِ^(٥)
عليه أن يتذكَّر الجنة والنَّار.

(١) رواه أحمد في الزهد (١٥٣٥).

(٢) قوت القلوب (٧٥/١)، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) من شعر الشاعر العباسي السهروردي المقتول. انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٣٩٧/٢١)، نشر دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٥) أوردهما الغزالي في الإحياء (٣٥٧/١).

قال طاوس: إِنَّ ذِكْرَ جَهَنَّمَ طَيْرَ النَّوْمِ مِنْ أَعْيُنِ الْعَابِدِينَ^(١).

قيام الليل دأب الصالحين:

على الإنسان أن يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، يقول ﷺ: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَيِّئَاتِ، وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ»^(٢).

قيام الليل يبدأ من بعد صلاة العشاء إلى الفجر.

تستطيع أن يكون لك حُظٌّ في هذا الوقت، وإذا لم تكن تستطيع أن تقوم قبل الفجر، فصلِّ بعد العشاء.

صلِّ ما استطعتَ من ركعتين، إلى أربع، إلى ستٍّ، إلى عشر، إلى اثنتي عشرة ركعة، واختتم بالوتر؛ فإنَّ آخر صلاة الليل مشهودة.

أَلَّا يُضَيِّعَ حَظَّهُ مِنَ اللَّيْلِ:

على المسلم أن يستفيد من الليل، من هذا الوقت الذي يتجلى الله ﷻ فيه لعباده، وأَلَّا يُضَيِّعَ حَظَّهُ مِنَ اللَّيْلِ، فإذا لم يكن له حُظٌّ من الليل، فكما قال بعض السلف: إذا لم يكن لك حُظٌّ من الليل، فلا تعصِ ربَّك في النَّهار، وهذا أدنى المنازل، أقلُّ ما يُطلب منك أن تُؤدِّي الفرائض.

الله وصف «عباد الرحمن» بأنهم: ﴿يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾،

(١) إحياء علوم الدين (٣٥٧/١).

(٢) رواه الترمذي في الدعوات عقب حديث بلال (٣٥٤٩)، وقال: هذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال. وابن خزيمة في الصلاة (١١٣٥)، والطبراني (٩٢/٨)، والحاكم في الوتر (٣٠٨/١)، وصحَّحه على شرط البخاري. عن أبي أمامة الباهلي.

ولم يصفهم بأنهم يحافظون على الفرائض، فهذه منزلة دون منزلتهم، وهم أعلى من ذلك وأرفع.

ذكر النبي ﷺ الجنة فقال: «في الجنة غُرْفَةٌ يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا». فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسَ نِيَامًا»^(١).

وقال عبد الله بن سَلام: أَوَّلُ مَا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ (أي: أسرعوا ومضوا إليه)، فَكَنتُ فِيمَنْ جَاءَهُ، فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ وَجْهَهُ، وَاسْتَبْنَيْتُهُ، عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا سَمِعْتُ مِنْ كَلَامِهِ أَنْ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ نِيَامًا، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(٢).

نسأل الله أن يجعلنا من هؤلاء، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ادعوا الله يستجب لكم.

* * *

(١) رواه الطبراني (٤٣/١٣)، والحاكم في الوتر (٣٢١/١) وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥٣٢): رواه أحمد والطبراني في الكبير وإسناده حسن. ورواه أيضًا أحمد (٦٦١٥)، وقال مخرَّجوه: حسن لغيره. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٢٣٧٨٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٨٥)، وصحَّحه، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٣٤)، والحاكم في الهجرة (١٣/٣)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

يقول النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ اسْتَيْقِظَ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَيْقِظَ أَهْلَهُ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، كُتِبَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»^(١).

وقال: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقِظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقِظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبِي نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ»^(٢).

ولا شكَّ أَنَّ هَذَا النُّضْحَ - وَهُوَ الرُّشُّ الْخَفِيفُ - مِنْ بَابِ الْمُمَازَحَةِ، وَهُوَ إِنَّمَا يَكُونُ بِنَاءً عَلَى اتِّفَاقٍ بَيْنَهُمَا، فَهَمَا مَتَفَاهِمَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَحِبُّ أَحَدُهُمَا أَنْ يَنْفَرِدَ بِالْخَيْرِ دُونَ الْآخَرِ.

نَعَمْ الزَّوْجَانِ يَعْينُ كُلُّهُمَا صَاحِبُهُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ:

إِنَّهَا الْأُسْرَةُ الْمُسْلِمَةُ، الْأُسْرَةُ الَّتِي تَعِيشُ فِي ظِلَالِ الرَّحْمَنِ، فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى، يَعْينُ كُلُّهُمَا صَاحِبُهُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتِهِ، وَنِعَمَ الزَّوْجَةُ تَعِينُ زَوْجَهَا عَلَى أَمْرِ دِينِهِ، وَنِعَمَ الرَّجُلُ يَعْينُ زَوْجَتَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ. أَيْنَ هَذَا مِمَّا نَرَاهُ الْيَوْمَ مِنْ أَسْرِ مَفْكَةٍ لَا يَكَادُ يَعْرِفُ أَحَدُهُمُ الْآخَرَ، وَإِذَا تَعَارَفُوا فَإِنَّمَا يَتَعَارَفُونَ عَلَى أَشْيَاءٍ غَيْرِ مَا يَرْضَى اللَّهُ تَعَالَى؟

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٤٥١)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٣٥)، والنسائي في الكبرى في قيام الليل (١٣١٢)، وابن حبان في الصلاة (٢٥٦٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٧٤٠٩)، وقال مخرجه: إسناده قوي. وأبو داود في الصلاة (١٣٠٨)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٣٦)، وابن حبان في قيام الليل (٢٥٦٧)، عن أبي هريرة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْأَ أَنْفُسَكُمُ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له^(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ إنا نسألك العفوَّ والعافيةَ في الدِّينِ والدُّنيا والآخرة.

اللهمَّ إنا نسألك العفوَّ والعافيةَ في ديننا ودُنْيانا، وأهلينا وأموالنا.

اللهمَّ استرْ عوراتنا، وآمن رُوعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا.

اللهمَّ اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.

اللهمَّ أعِنَّا على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عبادتِكَ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وصلِّ اللهمَّ على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه: أنَّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي، يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه»، وأشار بيده يقللها. رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

٤

صفات عباد الرحمن الخوف من النار

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نعيش مع عباد الرحمن، مع أخلاق هؤلاء الربانيين، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، يقول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٦].

وصف الله هؤلاء العباد:

وصف حالهم في أنفسهم بأنهم: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

ووصف حالهم مع غيرهم بأنهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

ووصف حالهم معه سبحانه فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾.

حيث يغفل الغافلون، وينام النائمون، ويغطون في سُبات عميق، هؤلاء: ﴿يَبْثُوكَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾. ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجُونَ﴾ وبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿[الذَّارِيَات: ١٧، ١٨].

ما الذي دفعهم إلى هذا؟

إنَّه الخوف والطمع، إنَّه الرغب والرهب، إنَّه الخوف والرجاء؛ خوفهم من الله، تذكُّرهم للآخرة، إنَّها كانت دائماً تجاههم، وإنَّ جهنم كانت نصب أعينهم.

لم ينسوا قضيتهم المصيرية الأولى: إنَّهم إلى الله صائرون، إنَّهم مهما عاشوا في هذه الدُّنيا فإنَّهم ميِّتون، وإنَّهم بعد الموت مبعوثون، وإنَّهم بعد البعث محاسبون، فإمَّا إلى جنَّة، وإمَّا إلى نار، ولهذا؛ كانت جهنم دائماً أمامهم. لهذا وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّا نَرَاهُكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

والغرام: هو الملازم الدائم المقيم، كلُّ شيء يزول عنك فليس بغرام، إنَّما الغرام: ما لزمك وأقام معك^(١).

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: وأيُّ مقام أسوأ، وأيُّ مستقر أقبح من جهنم، الدار التي أعدَّها الله للعصاة والمكذِّبين من عباده؟

يا أيُّها النَّاس، اتَّقُوا هذه النَّار، اتَّقُوا جهنم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

(١) قال في مختار الصحاح: «الغرام»: الشر الدائم والعذاب، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَرَاهُكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ قال أبو عبيدة: أي: هلاكاً ولزماً لهم. مادة: (غ. ر. م).

لو كان الموت نهاية المطاف لكان الأمر هيناً، ولكن الموت «أشدُّ ما قبله، وأهون ما بعده».

مواقف ما بعد الموت:

هناك بعد الموت بعث، وهناك بعد البعث حشر، وهناك بعد الحشر موقف، وهناك بعد الموقف حساب وميزان وصحف تتطاير، ولا تدري تأخذها باليمين أم بالشمال؟ ولا تدري إلى أين يميل لسان الميزان: إلى جانب الحسنات أو إلى جانب السيئات؟ أثقل ميزانك فتكون ممن عيشته راضية؟ أم يخف ميزانك فتكون أمك هاوية؟ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ نَارٍ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ١٠، ١١].

هناك الموت وسكرته، هناك القبر وضمته، هناك الموقف وزحمته، هناك الميزان ودقته، هناك الحساب وسرعته، هناك الربُّ وغضبه، وهناك الجنة ونعيمها، وهناك النار ولهيبها.

نصب أعين عباد الرحمن:

عباد الرحمن وضعوا نصب أعينهم «جهنم»، وكأنها تريد أن تلفحهم، كأنها تفتح فاها لتلتهمهم، ولذلك دعاؤهم: ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾؛ لأنَّ كلَّ النَّاسِ وارد عليها، مارٌّ بها، الصراط فوقها، منصوب عليها، يا ترى أتنجو أم تسقط؟ أتسلم أم تهلك؟ أتمرُّ عليها مرًّا سريعًا أم تختطفك الكلاب حتى تهوي إلى جهنم؟

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاً ﴿[مريم: ٧١، ٧٢].

كان أحد الشباب الصالح - ابن أبي ميسرة - يبكي إذا أوى إلى فراشه

ويقول: ليت أمي لم تلدني. فقالت له أمه: يا بُني، إنَّ الله أحسن إليك حين هداك إلى الإسلام. قال: ولكنَّ الله قد أخبرنا أنَّنا واردون على النَّار، ولم يخبرنا أنَّنا صادرون عنها^(١).

كلُّنا وارد على النَّار، تُرى من ينجو ومن لا ينجو؟

مشكلة الناس أنَّ الآخرة بعيدة عن تفكيرهم:

إنَّ المشكلة أيُّها الإخوة، مشكلة النَّاس كلِّ النَّاس: أنَّ الآخرة بعيدة عن تفكيرهم، النَّاس لا يفكِّرون إلَّا في حاضرهم، في يومهم، في مصالحهم القريبة، في لذاتهم العاجلة، أمَّا الغد وما بعد الغد، فكلُّ يبعده عن نفسه، عن فكره، عن ذهنه، عن تصوُّره، عن خياله، مع أنَّ الأمر قريب قريب، وكلُّ آتٍ قريب.

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ^(٢)!

قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧].

إنَّ مشكلات الحياة تتعقد حينما نرى النَّاس كالذئاب، حينما نرى النَّاس كالسباع في الغابة يأكل القوي الضعيف، حينما نرى النَّاس كالأسماك في البحر يلتهم الكبير الصغير، ما العلة؟

العلة أنَّ الآخرة بعيدة عنهم، أنَّ النَّاس لا يفكِّرون إلَّا في دنياهم، هذا هو الإله المعبود.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤١/٤).

(٢) كان أبو بكر إذا أخذته الحمى ينشد هذا البيت. رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، عن عائشة. والبيت لحكيم النهشلي، كما في العقد الفريد (٦/ ٤٦)، لابن عبد ربه، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

الدنيا وما فيها أصبحت الشغل الشاغل، أصبحت أكبر همهم، ومبلغ علمهم، ومحور تفكيرهم، ومدار اهتمامهم. ولكن عباد الرحمن صنف آخر.

إنهم يذكرون الآخرة ويذكرون جهنم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

روى البخاري، عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(١).

رسول الله ﷺ يسأل الله تعالى أن يقيه عذاب النار، وهو الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!

وكان يعلم أصحابه - كما روى ابن عباس - هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»^(٢).

وهكذا كان يقولها دُبر كل صلاة في آخر التشهد، وهذا ما يسُنُّ لنا أن نفعله، حتى رأى ابن حزم وجوب هذا الدعاء في آخر كل صلاة.

نار جهنم فضلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً:

لا بد أن يظلَّ المسلم ذاكراً للنار، وما أدراكم ما النار؟

إنَّ النبي ﷺ يقول: «نار بني آدم التي يوقدون جزءً من سبعين جزءاً من نار جهنم».

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٠).

(٢) رواه مسلم في المساجد (٥٩٠)، وأحمد (٢١٦٨).

قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية (نار الدنيا ليست هيئة فمن يصبر على حرّها)؟

قال: «فإنّها فضّلت عليها بتسعة وستّين جزءاً»^(١).

وكما روي عن داود عليه السلام: إلهي لا صبر لي على حرّ شمسك، فكيف أصبر على حرّ نارك؟^(٢)!

وكما قال القائل:

جِسْمِي عَلَى الشَّمْسِ لَيْسَ يَقْوَى وَلَا عَلَى أَهْوَنِ الْحَرَارَةِ!
فَكَيْفَ يَقْوَى عَلَى جَحِيمٍ وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ؟^(٣)!

إنّ الله وصف أولي الألباب - الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض، والذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم - بأنّهم يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ ﴿ [آل عمران: ١٩١، ١٩٢].

﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾: أهنته وأذلّته؛ فالنّار ليست عذاباً حسيّاً فقط، ولكنها عذاب معنويّ أيضاً: الخزي، الذّل، الهوان.

حينما يُقال لهم: ﴿أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. أيّ خزي وأيّ هوان أشدّ من هذا؟!

(١) متّفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٦٥)، ومسلم في صفة الجنّة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد في الزهد (٣٦٨).

(٣) ذكره من غير نسبة بلفظ مقارب الشارعي في مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (٤٣٨/١)، نشر الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ.



النَّار دار الخزي، دار الهوان، دار الحجاب عن الله، فقد وصف الله
المكذِّبين بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

كان بعض الصالحين يتعلَّق بأستار الكعبة ويقول: يا رب، أما كان
لك من عقوبة إلَّا النَّار؟ كيف لنا الصبر عليها؟

روي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقول: «لا تنسوا العَظِيمَتَيْنِ: الجَنَّة والنَّار»^(١).

أيُّ عظيم أعظم من هاتين العظيمتين؟ أين يكون مصيرك؟ دار النِّعيم
أم دار العذاب؟

وقال ﷺ: «ما رأيتُ مثل النَّار نام هاربها، ولا مثل الجَنَّة نام
طالبها»^(٢).

عش في الدُّنيا ما شئت، عش سبعين سنة، أو مائة سنة، أو مائتي
سنة، أو ألف سنة، ثمَّ ماذا؟ ستموت، ثمَّ ماذا بعد الموت؟

إما إلى جَنَّة، وإما إلى نار، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «والَّذي نفسي بيده،
ما بعد الدُّنيا من دار إلَّا الجَنَّة أو النَّار»^(٣).

وقال ﷺ يومًا لأصحابه: «والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت
لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا». قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال:
«رأيت الجَنَّة والنَّار»^(٤).

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (١٠٢)، عن ابن عمر.

(٢) رواه الترمذي في صفة جهنم (٢٦٠١) وقال: هذا حديث إنَّما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد
الله، وهو ضعيف عند أكثر أهل الحديث. والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٣)، وحسنه
الألباني في الصحيحة (٩٥٣)، عن أنس.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في قِصَر الأمل (١٩٠)، عن رجل من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ.

(٤) رواه مسلم في الصلاة (٤٢٦)، وأحمد (١١٩٩٧)، عن أنس.

فاختر أي الدارين؟

الموت بابٌ، وكلُّ النَّاسِ داخلُهُ
الدارُ جنَّاتٌ عدنٍ إنَّ عَمِلْتُ بما
يُرْضِي الإلهَ، وإن خالفت فالنَّارُ
هما مَحَلَّانِ ما للمرءِ غيرهما
يا ليت شعري بعد البابِ ما الدارُ؟
فاختر لنفسك أي الدارِ تختارُ^(١)!

إنَّ على النَّاسِ أن يكونوا بين الخوف والرجاء، لا ينبغي أن يغلبهم
الرجاء حتَّى يأمنوا مكر الله، ولا ينبغي أن يغلبهم الخوف حتَّى يئسوا
من رَوْحِ الله.

ولكن إذا كثرت الذنوب، إذا تزاхمت المعاصي، إذا امتلأت
الصحف بالخطايا، فعلى الإنسان أن يُغَلِّب الخوف على الرجاء، أن
يتذكَّر ذنوبه ولا ينساها، أن يحاسب نفسه قبل أن يُحاسب، أن يزن
أعماله قبل أن توزن عليه، أن يسأل نفسه قبل أن يصير السؤال إلى غيره.
عليه أن يتذكر النَّارَ فيحاسب نفسه: ماذا قدمت؟ وماذا عملت؟ وفيم
قصَّرت؟ وفيم فرَّطت؟ عسى أن يُصَحِّح، عسى أن يتدارك ما فات،
عسى أن يتلافى ما فرَّط، عسى أن يجعل يومه خيرًا من أمسه، وغده
خيرًا من يومه.

هذا هو شأن المؤمنين: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ
يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

(١) البيتان الأولان ذكرهما الثعالبي في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص ٦٩٥، وقال
قبلهما: من الأبيات السائرات على وجه الأرض قول القائل. نشر دار المعارف، القاهرة، ط ١،
١٩٦٥م. والأبيات الثلاثة ذكرها الماوردي في أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٢٦، نشر
مكتبة الحياة، ١٩٨٦م. وعزا البيتين الأخيرين لصالح بن عبد القدوس، ردًا على من أرسل له
رسالة فيها البيت الأول.

حينما نزل على رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] جمع أقاربه ودعاهم، فعمّ وخصّ، فقال: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا مَعْشَرَ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا مَعْشَرَ بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا أَنْ لَكُمْ رَحِمًا وَسَأُبْلُهَا بِبِلَاهَا»^(١).

بماذا يُنقذ الإنسان نفسه من النار؟

كلُّ إنسان عليه أن يُنقذ نفسه من النار، وإنّما ينقذ نفسه من النار: بعمل الصالحات، واجتناب السيئات.

أنقذ نفسك من النار بأداء الفرائض واجتناب المحارم: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ»^(٢).

أنقذ نفسك من النار بأداء الحقوق: حقّ الله، وحقوق الناس.

أنقذ نفسك من النار بالتوبة إلى الله إذا أذنبت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحریم: ٨].

كان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول: كم من جسدٍ صحيح، ولسان فصيح، ووجه صبيح، غداً بين أطباق النار يصيح^(٣)!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم في الإيمان (٢٠٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٨٠٩٥)، وقال مخرّجوه: حديث جيد. والترمذي في الزهد (٢٣٠٥)، وقال: غريب.

وأبو يعلى (٦٢٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٠)، عن أبي هريرة.

(٣) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٥٣٤/٤).

وعندما تصيح غداً لا تنفعك الصيحة، ولا تنفعك الاستغاثة، إنما ينفع ذلك اليوم.

غداً حساب ولا عمل، واليوم عمل ولا حساب، فاعمل اليوم للغد؛ لتتقذ نفسك من النار.

سؤال الله الجنة والاستعاذة به النار:

كان من أدعية النبي ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ»^(١).

وكان يعلم أصحابه هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «قولوا: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»^(٢).

وكان يقول: «من سأل الله الجنة ثلاث مرّات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ومن استجار من النار ثلاث مرّات، قالت النار: اللهم أجره من النار»^(٣).

فاسألوا الله دائماً الجنة، واستعيذوا بالله تعالى من النار؛ فإن الله أعدها للكافرين، ولكن يلحق بهم عصاة المؤمنين.

(١) رواه أحمد (٢٥٠١٩)، وقال مخرّجه: إسناده صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٤٦)، وابن حبان في الرقائق (٨٦٩)، عن عائشة.

(٢) سبق تخريجه ص ٦٣.

(٣) رواه الترمذي في صفة الجنة (٢٥٧٢) وقال: وروى عن أبي إسحاق، عن بريد بن أبي مريم، عن أنس، موقوفاً أيضاً. والنسائي في الاستعاذة (٥٥٢١)، وابن ماجه في الزهد (٤٣٤٠)، وابن حبان في الأدعية (١٠٣٤)، وقال الأرناؤوط: صحيح. والحاكم في الدعاء (٥٣٤/١)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٥٠٢)، عن أنس.

وصف عذاب النار:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ حَذَّرَ وَأَنْذَرَ، ووعظ وذكّر، وأنزل في كتابه آيات بينات، وصف لنا فيها هذه الدار المخوفة ووصف لنا عذابها، وما أعدّ فيها، فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٧].

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّنْ يَحُمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٤].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَ الْضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَا تَكُونُونَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ * فَالتَّائُونَ مِنْهَا الْبُطُونُ * فَشَرِبُونَهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَرِبُونَهُ شَرِبَ الْهَلِيمِ * هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٦].

﴿خَذُوهُ فَعْلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢].

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قِطْرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

وصف الله لنا النار حتى تكون واضحة المعالم أمام أعيننا، وحتى لا تكون لنا حجة، ولا يكون لنا عذر ولا تعلقة^(١).

(١) انظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، فقد أطل الحديث فيه عن النار، وما أعد الله فيها لأعدائه من الخزي والنكال والبوار، وقسمه ثلاثين باباً.

حَذَرْنَا اللَّهَ النَّارَ، وَحَذَرْنَا رَسُولَهُ النَّارَ؛ حَتَّى نَعْمَلَ عَلَى النِّجَاةِ مِنْهَا،
أَمَّا أَنْ نَعِيشَ فِي غَفْلَةٍ لَاهِيْنَ، وَفِي غَمْرَةٍ سَاهِيْنَ، لَا نَدْرِي مَاذَا يُرَادُ بِنَا
وَلَا مَاذَا يُعَدُّ لَنَا، فَهَذَا شَأْنُ الْغَافِلِيْنَ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ أَحَظَّ مِنَ الْأَنْعَامِ
وَأَضْلَّ سَبِيلًا.

وصف قوم جعلهم الله حطب جهنم:

استمعوا معي إلى قول الله تعالى في وصف قوم جعلهم حطب جهنم
ووقود النار، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ
لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ
كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

لماذا كان هؤلاء أضلّ من الأنعام؟

كانوا أضلّ من الأنعام؛ لأنّ الأنعام لم تُؤْت من العقول والمواهب
ما أُوتِيَ هؤلاء، الأنعام، لم ينزل عليها كتاب، ولم يُبعث لها رسول،
الأنعام لم تُستخلف في الأرض، ولم يكرّمها الله بالعقل كما كرّم الإنسان.

ثم إنّ الأنعام تؤدي رسالتها في الركوب والحلب والحرث والسقي،
ولكن رسالة الإنسان أن يعبد الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
[الذّاريات: ٥٦]، فإذا لم يؤد هذه الرسالة رغم ما آتاه الله من الطاقات،
والإمكانات والمواهب، فقد صار أضلّ من الأنعام سبيلاً، وصار أحظّ
من الأنعام منزلة، ولهذا جعل الله هؤلاء حطب جهنم، سرّ هذا كله:
الغفلة: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

أعين قلوبهم قد عميت، أعمتها الشهوات، وأعمتها الشبهات، فعاشوا
لا يدرون أمامًا من خلف، ولا يمينًا من شمال.

هؤلاء الذين عميت بصائرهم، وصُمّت عن الحق آذانهم، وضلّت عن الحق عقولهم، فكانوا أضلّ من الأنعام سبيلاً.

يا أيّها الإخوة المؤمنون:

كونوا كعباد الرحمن، ضعوا نصب أعينكم «الآخرة» تحلّ المشاكل، تهنّ عليكم الدُّنيا، ويصبح كلّ أمر عسير يسيراً أمامكم، تُؤدّي الحقوق إلى أهلها.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: مَنْ خاف الله لم يَشْفِ غيظه، ومن اتَّقى الله لن يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان الأمر غير ما ترون^(١). أي: لكان كلّ إنسان يفعل ما يشتهي وما يحلو له، ولكن هناك قيامة، وهناك حساب، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للجارية: «لولا القِصاصُ لضربتكَ بهذا السَّوَاك»^(٢).

ولكن هناك قصاص، وهناك عدل إلهي مطلق يقتص للشاة الجماء من القرناء.

الدنيا ليست دار الخلود:

إنّنا في هذه الدُّنيا لسنا مُخلّدين، ولكننا فيها ضيوف راحلون، كلّنا فيها مسافر، ينتظر الطائرة التي تُقلّه، أو القطار الذي يحمله إلى داره، إلى دار المقامة.

نحن في مَقل، نحن في محطة استراحة، وبعد ذلك يذهب كلّ إلى

(١) رواه أبو داود في الزهد (٩٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥٧/٨).

(٢) رواه أبو يعلى (٦٩٠١، ٦٩٢٨، ٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤٠٩، ١٨٤١٠، ١٨٤١١): إسناده جيد. عن أم سلمة.

حال سبيله، ويذهب كلُّ إلى داره الأصلية: تُرى ماذا تكون داره: أهى الجنة أم هي النار؟

مرَّ الحسن البصري على شابٍّ مستغرق في الضحك، فقال له: يا هذا علام استغراقك في الضحك؟ أعرفت هل تأخذ كتابك بيمينك أم بشمالك؟ قال: لا. قال: أمررت بالصراط ونجوت منه؟ قال: لا. قال: أعرفت أنك هاوٍ إلى النار أو ناجٍ منها؟ قال: لا. قال: فعلام ضحكك؟ فبكى الشاب^(١). علام يضحك النَّاسُ، ويستغرقون في الضحك وفي اللهو، وفي الغفلة، والأمر خطير؟

ليس معنى هذا أن يظلَّ النَّاسُ باكين، ولكن ليذكر النَّاسُ الآخرة الحين بعد الحين، ساعة وساعة.

اذكروا الآخرة، لا تطرحوها وراء ظهوركم، لا تجعلوها نسيًا منسيًا، لا تتخذوها وراءكم ظهرًا، اذكروها حتَّى تستقيم حياتكم، وحتَّى تقوم أعمالكم، وحتَّى تُسدّد خطاكم في الطريق إلى الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهمَّ إنا نسألك الجنة، ونستعيز بك من النار.

اللهمَّ إنا نسألك الجنة، وما قرَّب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول وعمل.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ادعوا ربَّكم يستجب لكم.

(١) ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين ص ١٩٧، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا بد من التوازن بين الرجاء والخوف:

المفروض من المسلم أن يتوازن الرجاء والخوف في قلبه، أن يرجو رحمة الله، وأن يخشى عذابه، كما ذكرنا في الخطبة الماضية قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩].

وكما قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

وكما وصف بعض الأنبياء المصطفين الأخيار:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. الرغبة: الرجاء فيما عند الله من رحمة. والرهبة: الخوف مما عند الله من عذاب.

الله تعالى وصف نفسه بقوله: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ * [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر: ٣].

ووصف لنا الآخرة فقال: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، ففيها العذاب، وفيها المغفرة والرضوان.

فلا بد أن يسير الخطآن متعادلين متوازيين: الحذر والرجاء، الرغبة والرهبة، الخوف والطمع، لا يغلب الرجاء حتى يصل الرجاء إلى الأمن: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ولا يغلب الخوف حتّى يصل الخوف إلى اليأس ف ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. وإنما يرجو ويخاف.

ولهذا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لو نادى المنادي يوم القيامة: كلُّ النَّاسِ في الجنّةِ إلّا واحداً، لخفت أن أكون ذلك الواحد، ولو نادى المنادي: كلُّ النَّاسِ في النَّارِ إلّا واحداً لرجوت أن أكون ذلك الواحد^(١).

فالرجاء والخوف متوازنان عنده، وهذا هو المطلوب من الإنسان المسلم. ولكن من كثرت خطاياهم وتفاقت ذنوبه ينبغي أن يغلب الخوف، ولكنّه خوف مشوب بالرجاء، حتّى إذا جاء الموت كان كذلك الرجل الذي دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتضر؛ فقال: «كيف تجدك؟». قال: أرجو الله يا رسول الله، وإنّي أخاف ذنوبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن، إلّا أعطاه الله ما يرجو وأمنّه ممّا يخاف»^(٢).

إذا اجتمع الرجاء والخوف ساعة الاحتضار، فهذا علامة القبول عند الله تعالى، نسأل الله أن يجعلنا من الراجين الخائفين، وأن يجعلنا من عباد الرحمن.

اللهمّ إنا نسألك رضاك والجنّة، ونعوذ بك من سخطك والنّار.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥٣/١).

(٢) رواه الترمذي في الجنائز (٩٨٣)، وقال: غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٩٠١)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٦١)، وجوّد النووي إسناده في خلاصة الأحكام (٩٠٢/٢)، عن أنس.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.

اللهم ثب علينا توبة نصوحًا.

اللهم أعنا على شهوات أنفسنا، وأصلح فساد قلوبنا.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصر المسلمين حيثما كانوا.

اللهم أيدهم بروح من عندك، وأمددهم بمدد من جندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاهم في كنفك الذي لا يضام.

﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].

﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وصل اللهم على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

صفات عباد الرحمن الاعتدال في الإنفاق

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا نَعِيشُ فِي رَحَابِ الْقُرْآنِ مَعَ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَالَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ. وَصَفَ حَالَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَوَصَفَ حَالَهُمْ مَعَ النَّاسِ، وَوَصَفَ حَالَهُمْ مَعَهُ سُبْحَانَهُ.

ثُمَّ وَصَفَ حَالَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

فَلَيْسَ الْمَفْتَرِضُ فِي عِبَادِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا مَالَ لَهُمْ.

لَا، لَيْسَ الْفَقْرُ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْعِبَادِيَّةِ لِلرَّحْمَنِ، فَقَدْ يَكُونُونَ أَغْنِيَاءَ. وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ رُؤَادَ الْمَسَاجِدِ، رُؤَادَ الْبُيُوتِ الَّتِي أذنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، فَقَالَ: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿[التور: ٣٦، ٣٧] فهم بلغة العصر «رجال أعمال» لهم تجارة ولهم بيع، ولكن ذلك لا يشغلهم عن واجبهم نحو ربهم.

وخاطب الله المؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ٩].

ومعنى هذا: أن لهم أموالاً وأولاداً، وليسوا رُهباناً ولا دراويش، ولكنهم مأمورون ألا تلهيهم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله، ذكره بالقلب، وذكره باللسان، فعباد الرحمن لا بأس أن يكون لهم أموال.

المال في نظر الإسلام نعمة:

والمال في نظر الإسلام نعمة يجب أن تُشكر، وهو في نظر الإسلام أمانة يجب أن تُرعى، وهو في نظر الإسلام ضرورة من الضروريات الخمس، يجب أن تُحفظ.

والمسلم في ماله مُستخلف، هو في الحقيقة مال الله وهو أمينٌ عليه، خليفة عليه نائب عن ربّه في حسن تنميته وإنفاقه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧].

وإذا كان المال مال الله، والإنسان مستخلفاً فيه كأمين الصندوق، فيجب عليه أن يراعي تعليمات صاحب المال وتوجيهاته: ماذا يريد منه؟ وماذا يرضاه؟ وماذا يُسخطه؟ وماذا يأمر به؟ وماذا ينهى عنه؟

لا يجوز لموظف في شركة أو مؤسسة أن يخالف عن أمر صاحب المؤسسة ويتصرف كما يشاء، فالمسلم موظفٌ في مال الله، أمينٌ عليه.

ولله تعالى تعليمات في شكل المال:

تعليمات تتعلق باكتسابه، أن يكتسب من حله، ومن وجوهه المشروعة، وتعليمات تتعلق بتثميته وتنميته، وتعليمات تتعلق بإنفاقه واستهلاكه وتوزيعه.

والآية التي معنا ركزت على معنى معين مهم، هو: كيف ينفق المال؟

قد يجمع المال من حله، قد يكتسبه الإنسان من وجوهه المشروعة، ولكنه بعد ذلك يبخل به عن حقه يشح به أن يبذله فيما يحب الله تعالى ويرضى، أو يتلفه ويبعثره ذات اليمين وذات الشمال.

والأمة قد تُصاب في أغنيائها من وجهين:

إمّا أن تُصاب من ناحية ذلك الغني الشحيح الذي لا يعرف لله حقًا، ولا يعرف في ماله للناس حقًا، يبخل به عن كل واجب.

وإمّا أن تُصاب من ناحية ذلك المتلاف المبذر الذي لا يبالي أين ذهب المال؟ يبذله هنا وهناك، لا يقف عند حدّ، ولا يقف عند شرع.

ولكن المال ينبغي أن يُنفق في وجوهه المشروعة بلا إسراف ولا تقتير، هذا هو خلق الإسلام: القصد والاعتدال.

لذلك جاء في آية أخرى من وصايا القرآن، من وصايا الله لعباده في سورة الإسراء: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ * أَشْبَاهَهُمْ فِي الشَّرِّ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْجُحُودِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ * وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أْبَتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا * إِذَا أَتَاكَ الْقَرِيبُ أَوْ الْمَسْكِينُ أَوْ ابْنُ السَّبِيلِ يَرْجُو مِنْكَ شَيْئًا وَلَا تَمْلِكْهُ وَتَبْتَغِي رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ وَرِزْقًا يَسُوقُهُ إِلَيْكَ * فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا * عِذْهُم وَعِدًا جَمِيلًا إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَأَفَاءَ عَلَيْكَ مِنْ فَضْلِهِ * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ * كُنَايَةً عَنِ الْبَخْلِ بِمَا هُوَ وَاجِبٌ * وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ * فَتَتَوَسَّعَ وَتُسْرِفَ * فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا * [الإسراء: ٢٦ - ٢٩].

فإنك إذا أسرفت قعدت محسورًا، وإذا بخلت وقترت قعدت ملومًا، وأنت ملومٌ محسور على كلِّ حال إذا لم تتبع أمر الله ونهيه، هذا هو القصد والاعتدال، هذا هو دستور الإسلام.

ما عَالَ من اقتصد:

كان النَّبِيُّ ﷺ يسأل الله ويقول: «اللهمَّ أسألك خشيتَكَ في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الإخلاص في الغضب والرضا، وأسألك القَصْدَ في الفقر والغنى»^(١).

والقصد: الاقتصاد والاعتدال. روى الإمام البزار من حديث حذيفة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «ما أَحَسَّنَ القصد في الغنى، وأَحَسَّنَ القصد في الفقر، وأَحَسَّنَ القصد في العبادة»^(٢)، حتَّى العبادة القصد والاعتدال فيها مطلوب.

وروى الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ رَفْقُهُ فِي مَعِيشَتِهِ»^(٣).

هذا دلالة على فقْهه، وعلى نور بصيرته، إِنَّه يقتصد، ولا يبذّر ولا يسرف، ولا يبخل ولا يقتّر، فهو وسط من أُمَّة وسط، و«خير الأمور أوسطها».

(١) رواه أحمد (١٨٣٢٥)، وقال مخرّجوه: صحيح. والنسائي في السهو (١٣٠٥)، عن عمار بن ياسر.

(٢) رواه البزار (٢٩٤٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٥٠): رواه البزار من رواية سعيد بن حكيم، عن مسلم بن حبيب، ومسلم هذا لم أجد من ذكره إلا ابن حبان في ترجمة سعيد الراوي عنه، وبقيّة رجاله ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٨٤).

(٣) رواه أحمد (٢١٦٩٥)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني في مسند الشاميين (١٤٨٢) وضعفه الألباني في الجامع الصغير (١٢٠٨٧)، عن أبي الدرداء.

وروى الإمام أحمد كذلك من حديث ابن مسعود، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَا عَالَ مِنْ اقْتَصَد»^(١)، أي: ما افتقر من اقتصد؛ وذلك لِأَنَّ الَّذِي يَقْتَصِد وَيَعْتَدِل فِي إِنْفَاقِهِ، يَدَّخِر بَعْضَ الشَّيْءِ مِنْ شَبَابِهِ لِهَرَمِهِ، وَمِنْ صَحَّتِهِ لِسَقَمِهِ، وَمِنْ غِنَاهُ لِفَقْرِهِ، وَمِنْ اقْتَصَدَ شَيْئًا لِلْمُسْتَقْبَلِ فَقَلَّمَا يَفْتَقِر.

من صفات المتقين أَنَّهُمْ يُنْفِقُونَ:

الإسلام يطلب الإنفاق، ومن صفات المتقين أَنَّهُمْ يَنْفِقُونَ، ولكن الله حينما وصف المتقين في مطلع سورة البقرة قال: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، أي: ينفقون بعض ما رزقهم الله، وليس كل ما رزقهم الله.

والله حين أوجب على النَّاسِ الزكاة، أوجبها في بعض المال: ربع العشر، وفي بعض المال: نصف العشر، وفي بعض المال: العشر، ولم يُكْثِرْ عَلَى النَّاسِ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يشدد عليكم ﴿تَبْخُلُوا وَيُخْرِجَ أَضْغَانَكُمْ﴾ [محمد: ٣٧].

ولذلك لم يسألنا إِلَّا العفو: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، أي: ما فضل عن الحاجة.

ومن هنا جاء في الحديث: «لا صدقة إِلَّا عن ظهر غني»^(٢).

لم يطلب الإسلام منك أن تنفق ممَّا تحتاج إليه، مَنْ فعل هذا إثارةً فهذه فضيلة وليست فريضة، كالذين مدحهم الله تعالى في كتابه بقوله:

(١) رواه أحمد (٤٢٦٩)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني في الكبير (١٠٨/١٠)، والأوسط

(٥٠٩٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٨٤٨): رواه أحمد، والطبراني في الكبير

والأوسط، وفي أسانيدهم إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف.

(٢) علقه البخاري قبل الحديث (٢٧٥٠)، ووصله أحمد (٧١٥٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح

على شرط مسلم. عن أبي هريرة.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، والأبرار الذين أثنى عليهم فقال: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. يحبون الطعام، ويتوقون إليه، وهم في حاجة إليه، ولكنهم يبذلونه لله: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩، ١٠].

المسلم ينفق ماله بغير إسرافٍ ولا تقتير، لا يبخل على نفسه؛ فإنها أول ما ينبغي النفقة فيه.

بعض الناس يحوز المال فيقتتر على نفسه وأهله، المال في يده وهو محروم منه! وهذا هو الذي قيل فيه: بشر مال البخيل بحادث أو وارث: إمّا حادثة تأكل أخضره ويابسها، وإمّا وارث يتمتع به من بعده، وربّما يلعنه ويذمه، فما انتفع منه بشيء!

كَكَلْبِ الصَّيْدِ يُمْسِكُ وَهُوَ طَائِرٌ فَرِيَسَتُهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ^(١)!

جاء رجل إلى النبي ﷺ فلم تعجبه هيئته، فسأله: «ألك مال؟». قال: نعم. قال: «أي المال عندك؟» قال: من كلّ المال آتاني الله (أي: عنده الإبل والبقر والغنم والزروع والثمار). قال: «فَلْتَرِ نِعْمَ اللَّهُ وَكَرَامَتَهُ عَلَيْكَ»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، والحديث ليس باللسان فقط، ولكن بالحال أيضًا.

(١) من شعر أبي العباس أحمد بن مروان. انظر: المستطرف في كل فن مستظرف ص ٨٢، ٨٣، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.

(٢) رواه أحمد (١٥٨٨٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في اللباس (٤٠٦٣)، والترمذي في البرّ والصّلة (٢٠٠٦) وقال: حسن صحيح. والنسائي في الزينة (٥٢٢٤)، وصحّحه الألباني في غاية المرام (٧٥)، عن مالك بن نضلة.

لا داعي أن تجوِّع نفسك، وأن تقتّر على نفسك وأهلك والمال في يدك، أنفق باعتدال على نفسك وأهلك، وفي الحديث: «أفضل دينار يُنفقه الرجل: دينار يُنفقه على عياله، ودينار يُنفقه على فرسه في سبيل الله، ودينار يُنفقه على أصحابه في سبيل الله»^(١).

وقال النَّبِيُّ ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «وإنَّكَ لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إِلَّا أُجِرَتْ عليها، حتَّى ما تجعل في في امرأتِكَ»^(٢).

للجيران حقوق والأقربون أولى بالمعروف:

فالنفقة على النَّفس وعلى البيت هي أوَّل ما ينبغي أن يفعله الإنسان، ثمَّ بعد ذلك ينفق على من حوله من الأقارب والجيران، فهؤلاء لهم حقوق، والنَّبِيُّ ﷺ يقول: «ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم»^(٣).

ليس من الإسلام في شيء أن تأكل مِلء بطنك، وتضحك مِلء سينك، وبجوارك إنسان يئنُّ من الجوع، ولا يجد من يُقدِّم له ما يقيم أوده، وما يطفئ حُرْقته، ليس هذا من الإسلام ولا من الإنسانيَّة في شيء، ولذلك برئ منه النَّبِيُّ ﷺ.

إذا كان لك قريبٌ فينبغي أن يكون لقريبك هذا عند عُشره وفقره حظٌّ من مالك: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦].

(١) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٤)، وأحمد (٢٢٤٥٣)، عن ثوبان.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٦)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨).

(٣) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمى في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس.

والأقربون أولى بالمعروف، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالتَّامَّةِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، فبدأ بالوالدين والأقربين.

والنبي ﷺ يقول: «الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرَّحِمِ ثنتان: صدقة، وصِلة»^(١)، أي: فيها أجران: أجر الصدقة، وأجر صِلة الرحم.

وأفضل ما تكون الصدقة على القريب، إذا كان بينك وبينه شيء من الخصومة والجفوة، كما في الحديث الصحيح: «أفضل الصدقة: الصدقة على ذي الرَّحِمِ الكاشح»^(٢)، أي: الذي يُضمر في كُشحه لك خصومة أو عداوة؛ لأنك في هذه الحالة لا تُعطيه مجاملة ولا مودة بمودة، ولا إحساناً بإحسان، بل تعطيه لله تعالى، ولحقّ القرابة بينك وبينه.

مع هذا كله هناك حقّ الزكاة، الحقّ المالي الثابت الدوري المحدد في نظر الإسلام.

الزكاة ثلاثة دعائم الإسلام بعد التوحيد والشهادة للنبي ﷺ بالرسالة، وإقامة الصلاة، فلا بدّ أن تبذل من مالك، وقد جاء في بعض الأحاديث: «برئ من الشحّ من أدّى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في النّابة»^(٣).

(١) رواه أحمد (١٦٢٣٣)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والترمذي (٦٥٨)، وحسنه، والنسائي (٢٥٨٢)، وابن ماجه (١٨٤٤)، ثلاثهم في الزكاة، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨)، عن سلمان بن عامر الضّبي.

(٢) رواه أحمد (٢٣٥٣٠)، وقال مخرّجوه: صحيح. والطبراني في الكبير (١٣٨/٤)، والأوسط (٣٢٧٩)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (١١١٠)، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٨٦/٢٣)، عن أنس، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكّة المكرمة.

بيراً الإنسان من الشحّ: إذا أدّى الزكاة الواجبة عليه، وقرى الضيف الذي يحلُّ به، وأعطى في النوائب التي تنزل بالمسلمين: زلازل، جهاد، مجاعة إلخ.

بهذا بيراً الإنسان من الشحّ ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

نماذج من إنفاق السلف:

وهناك أناس يعطون فوق هذا كله، كان الإمام الليث بن سعد - وكان يُقارن بالإمام مالك - من أغنياء المسلمين، وقالوا: إنّ دخله السنوي كان ثمانين ألف دينار، وما وجبت عليه زكاة قط؛ لأنّه ما كان ينتظر بالمال حتّى يحول عليه الحول، بل يتصدق بكلّ ما يجمعه، فالمال من الله وإلى عباد الله، جاءت امرأة تسأله شيئاً من عسل، فأمر لها بزق (جرّة كبيرة). فقال له بعض جلسائه: تسألك أكلة عسل فتعطيها زقاً! فقال: إنّها تسأل على قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر نعمة الله علينا^(١)!

وكذلك كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، كان من كبار الأثرياء، ومن كبار الأسخياء أيضاً، وكان من خصاله وفضائله المشهورة أنّه لا يردُّ سائلاً يؤمّه في حاجة قط، ولمّا لامه بعض هؤلاء الذين يبخلون النَّاس، قال: إنّ الله عودّني عادة وعودت عباده عادة، عودّني أن يعطيني وعودت عباده أن أعطيهم، وأخشى إذا قطعت عادتي عنهم، أن يقطع عادته عني^(٢)!

(١) إحياء علوم الدين (٣/٢٥٠).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (١٠٨٨٤).

هكذا كان القوم، لم يكونوا يقترون بل كانوا ينفقون، والإنفاق في الخير لا إسراف فيه.

كان بعضهم قد جاء بضرة من فضة في سبيل الله فقيل له: يا فلان، لا خير في إسراف. قال: ولا إسراف في الخير.

والصحابه رضوان الله عليهم كانوا يتسابقون في البذل عند الحاجة إلى تمويل العسكر المسلم في الغزوات، كان هذا يدفع الآلاف، وهذا يدفع عشرات الآلاف، وهذا يدفع مئات الآلاف، وهذا يجهز جيشاً بأسره^(١).

وفي إحدى الغزوات: جاء عمر رضي الله عنه بشر مال إلى النبي ﷺ، وكان يظن أن أحداً لم يعط مثل هذا من قبل، فإذا بأبي بكر رضي الله عنه يأتي بكل ما عنده، فسأله النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟». قال: أبقيت لهم الله ورسوله^(٢). لم يدع لهم شيئاً.

وهذا يجوز إذا كان الإنسان قوي الثقة بالله، قوي التوكل على الله، ويعلم من أهله وأسرته مقدار توكلهم وصبرهم أيضاً.

أما إن كانوا لا يصبرون وليس عندهم مثل هذا اليقين والإيمان، فلا ينبغي أن يبذل ماله كله؛ لأنهم لا يصبرون صبره.

فأبو بكر علم أنه وأهله قادرون على الصبر فلذلك أعطى ماله كله لله.

(١) راجع في هذا: حياة الصحابة للكاندهلوي (٣٨٩/٢) وما بعدها، باب: إنفاق الصحابة في سبيل الله، تحقيق بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٧٨)، والترمذي في المناقب (٣٦٧٥)، وقال: حديث حسن صحيح. والبزار (٢٧٠)، وقواه، والحاكم في الزكاة (٤١٤/١)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عمر.

إن هؤلاء كانوا على ثقة أن الله تعالى لا يضيع عليهم شيئاً «ما نقص مالٌ من صدقة»^(١)، أو «ما نقصت صدقة من مال»^(٢)، على هذا حلف رسول الله ﷺ، فالمال لا تنقصه الصدقة بل تزيده، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَفْقَرُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يَخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ ۖ إِذَا أَنْفَقْتُمْ ۖ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ ۖ الْخَصْلَةُ الْقَبِيحَةُ الْبَالِغَةُ الْقَبْحِ وَهِيَ الْبَخْلُ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ ۖ أَي: فِي الْآخِرَةِ ۖ وَفَضْلًا ۖ أَي: سَعَةً فِي الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

وأكثر النَّاس يُصَدِّقُونَ وعد الشيطان، ولا يُصَدِّقُونَ وعد الرحمن! أو يصدقونه ولكن لا يضعونه موضع التنفيذ، بل يغفلون عنه.

عباد الرحمن ﴿إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ لم يقتروا على أنفسهم، لم يقتروا على أهلهم، لم يقتروا على أقاربهم، لم يقتروا على جيرانهم، لم يقتروا في النواصب والنوازل التي تنزل بالمسلمين، وقبل ذلك كله: لم يُقْتَرُوا ولم ييخلوا بحق الله الأول عليهم وهو «أداء الزكاة».

الإنفاق في المعصية إسراف:

وهم أيضاً لا يسرفون إذا أنفقوا، والإسراف: إمّا النفقة في معصية الله تعالى، كما جاء عن السلف: لو أنَّ امرأً أنفق ماله كله في الحق، والخير لم يكن مُبَدَّرًا، ولو أنفق مُدًّا في باطل وشر كان مُبَدَّرًا^(٣).

(١) رواه أحمد (١٦٧٤)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والبخاري (١٠٣٣)، وأبو يعلى (٨٤٩)، والطبراني في الأوسط (٢٢٧٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٥٧٧): رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري، وفيه رجل لم يُسم، وله عند البخاري طريق عن أبي سلمة عن أبيه، وقال: إنَّ الرواية هذه أصح. وقال الألباني في صحيح الترغيب (٨١٤): صحيح لغيره. عن عبد الرحمن بن عوف.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٨)، والترمذي (٢٠٢٩)، كلاهما في البر والصلة، عن أبي هريرة.

(٣) تفسير الطبري (٤٢٩/١٧)، والقائل مجاهد.

من أنفق ماله في خمر، في مُخَدَّرات، أو في ترفٍ مُحَرَّم كأواني الذهب والفضة، وتماثيلهما، في أيِّ شيء من الحرام، فهذا إسرافٌ وتبذيرٌ ولا شكَّ.

وإمَّا إنفاق المال وتبديده في المباحات، فالمسلم إذا أنفق لا يتوسَّع أكثر من طاقته، (يمدُّ رجليه على قدر لحافه)، يوازن بين دخله وخرجه، بين إيراده ومصروفه، فلا يتوسَّع ثمَّ يورط نفسه في الدين، والدين هم بالليل ومذلة بالنهار، ولعلَّ الأجل يوافيه قبل أن يوفِّي ما عليه، ويكون مرهونًا بدينه، فلماذا يورط نفسه في هذا؟

وقد كان النَّبي ﷺ يستعِذ بالله تعالى من ضَلَع الدين وغلبة الرجال^(١).

النَّاس يستهينون بالديون، ويتوسَّعون في الشراء بالتقسيط والآجال، ويضيِّقون على أنفسهم، وأولى بالمسلم أن يوازن بين أحواله، إلَّا إذا اقتضته حاجة إلى أن يستدين، فليستدن ولينظم أموره حتَّى يقضي دينه، ولينصم على أداء الدين، والله تعالى إذا عرف صدق نيته أمدّه بمعونته ومساعدته، ففي حديث البخاري: «من أخذ أموال النَّاس يريد أداءها أدَّى الله عنه، ومن أخذ أموال النَّاس يريد إتلافها أتلفه الله»^(٢)، أي: أهلكه وأهلك ماله.

هذا هو شأن الإنسان المسلم: إذا أنفق لا يسرف، لا يضيِّع المال، فقد نهى النَّبي ﷺ عن إضاعة المال^(٣)، عن إضاعة هذه النعمة، عن تضييع هذه الأمانة.

(١) رواه البخاري في الدعوات (٢٨٩٣)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الاستقراض (٢٣٨٧)، عن أبي هريرة.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٣)، ومسلم في الأقضية (٥٩٣) (١٢)، عن المغيرة بن شعبة.

أَيُّ درهم أو دينار في يدك ثَقُّ أَنَّهُ ليس لك، إِنَّهُ لِلأُمَّةِ كُلِّهَا، إِذَا ضَيَّعْتَهُ فِي غير حقٍّ فَقَدْ ضَيَّعْتَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَضَيَّعْتَهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ، عَلَى الأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. ولهذا فالذي ينفق ماله في شرب الدخان مثلاً يضيِّع هذا المال على نفسه وعلى الأُمَّة، يضرُّ نَفْسَهُ بحرِّ ماله، يشتري ضرره بفلوسه، ولمن يدفع هذه الفلوس؟ لشركات التدخين العالمية الاستعمارية!

المال نعمة يجب المحافظة عليها:

المال نعمة يجب على المسلم أَنْ يحافظ عليها، كم من مشروعات إسلامية في بلاد إسلامية تحتاج إلى تمويلٍ ولا تجد من يمولها! كم من مدارس نحتاج إلى أن تقوم! كم من مساجد نحتاج إلى أن تُشَيِّد! كم من مكاتب لتحفيظ القرآن، وكم من مراكز إسلامية نحتاج إليها! كم من مرضى يفتقرون إلى الدواء! كم من مشردين يفتقرون إلى البيوت! كم من يتامى يفتقرون إلى من يكفلهم! كم من جياع يريدون أن يأكلوا وليس هناك من يعطيهم؟! أَلِقَلَّةُ المال لدى المسلمين؟ لا والله، المال كثير، ولكنَّه يُبْعَثُ للأسف في غير وجهه.

كم من أناس ينفقون الألف، وعشرات الألف، ومئات الألف في غير ما يرضي الله تعالى، فإذا طلبت منهم شيئاً لله كفُّوا أيديهم وشحَّتْ أنفسهم؟! ولا عجب أن وصف لنا القرآن قوماً من النَّاسِ حينما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً * الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٦ - ٣٨].

انظروا: وصفهم بالبخل، البخل في أنفسهم، وتحريض الآخرين على البخل، ووصفهم - في الوقت نفسه - بأنهم ينفقون أموالهم رياء الناس، أي: في المظاهر الزائفة، في الأحفال التي يتحدث الناس عنها، في الولائم التي يتسامع الناس بها، حيث تُذبح الذبائح الكثيرة، ولا يُؤكل منها إلا العُشر أو أقل من العُشر، ثم يُرمى الباقي هنا وهناك، وهناك أناس يحتاجون إلى اللقمة فلا يجدونها!

أموال تُضيّع هنا وهناك رياء الناس، الرياء الاجتماعي والرياء الديني: كم أفسدا النيات وأفسدا القلوب، وأضاعوا الأموال على هذه الأمة. الإسراف للأسف أصبح سمةً من سماتنا، نبخل عن الواجبات ونُسرف في المحظورات، أو فيما لا نفع فيه.

ضبط الاستهلاك وترشيد الإنفاق:

نحن في حاجة إلى أن نضبط أنفسنا، أن نضبط استهلاكنا، يتحدثون الآن عن ترشيد الإنفاق، ونحن في حاجة إلى أن نُرشد الإنفاق والاستهلاك في كل شيء.

نحن نُسرف في استهلاك الماء، ونُسرف في استهلاك الكهرباء، ونُسرف في استهلاك الطاقة، ونُسرف في استهلاك السيّارات، ونُسرف في استهلاك الأجهزة والأدوات، كلُّ شيء لا قيمة له عندنا، كأنّ هذه الأموال أموالنا نحن ليست أموال الله في أيدينا، نحن في حاجة إلى أن نحافظ على هذا كله^(١).

(١) انظر كتابنا: دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي ص ١٩٥ - ٢٥٧، فصل: القيم والأخلاق في مجال الاستهلاك، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

وبعض الناس يحافظ على ماله هو، الذي يملكه، ولكنه إذا كان موظفًا في حكومة، أو موظفًا في مؤسسة، أو موظفًا في شركة، أسرف في المال الذي تحت يديه، وأنفق وبدد، وتوسع وبعثر.

لا، إنَّ من صفات عباد الرحمن أَنَّهُمْ: ﴿إِذَا أَنْفَقُوا﴾ من أموالهم أو من أموال غيرهم التي أوْتُمِنُوا عليها ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ إِنَّهُمْ معتدلون في كلِّ شيء، والاعتدال خلقٌ من أخلاق الإسلام.

مرَّ النَّبِيُّ ﷺ على سعدٍ وهو يتوضأ، فقال له: «لا تُسْرِفْ في الماء». فقال: وهل في الماء من إسراف؟! قال: «نعم، وإن كنتَ على نهرٍ جارٍ»^(١).

حتى لو توضأتَ من نهرٍ تجري مياهه، ولا يضرُّ النهر إن أخذت منه أو زدت، ولكن ليكن هذا خلقًا لك، سمة من سمات شخصيتك.

هذه أخلاق عباد الرحمن، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، إنه سميع قريب، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد (٧٠٦٥)، وقال مخرّجه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الطهارة (٤٢٥)، وضعفه الألباني في الإرواء (١٤٠)، عن عبد الله بن عمرو.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبدٌ مسلم يدعو الله بخير إلَّا استجاب له^(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصِمَةَ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَنَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَنَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَنَسْأَلُكَ الْإِخْلَاصَ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، واجعلْ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِزْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَبَطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ، وَبِفَضْلِكَ عَنْ مَنِّ سِوَاكَ.

اللَّهُمَّ انصُرْ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ عَلَى مَنْ عَادَاهَا، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالْكَائِدِينَ لَهَا.

اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ رَدِّ عَنَّا كَيْدَهُمْ، وَفُلِّحْهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ.

(١) سبق تخريجه ص ٥٧.



﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
[العنكبوت: ٤٥].





صفات عباد الرحمن التوحيد

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا نَعِيشُ فِي رَحَابِ الْقُرْآنِ وَمَعَ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، وَمَنْ مِنَّا لَا يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، مَنْ مِنَّا لَا يَحِبُّ أَنْ يَنْتَمِيَ إِلَى هَذِهِ الْفِتَّةِ الصَّالِحَةِ الصَّادِقَةِ، الَّتِي رَضِيتَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَجَعَلَ جَزَاءَهَا الْجَنَّةَ ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥]، وَسَجَّلَ ذِكْرَهَا فِي كِتَابِهِ، وَذَكَرَهُمْ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الْكَرِيمَةِ، وَهَذِهِ السَّمَاتِ الْجَلِيلَةِ، وَهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ.

فَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ حَالَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَالِ التَّوَاضُعِ وَالسَّكِينَةِ: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وَحَالَهُمْ مَعَ النَّاسِ وَبِخَاصَّةِ أَوْلَئِكَ السُّفَهَاءِ وَالْجَاهِلُونَ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وَحَالَهُمْ مَعَ رَبِّهِمْ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤ - ٦٦].

ثم ذكر حالهم في أموالهم؛ فهم فيها متوسّطون معتدلون، شأنهم في كلّ أمورهم وفي كلّ حياتهم، منهجهم الوسط، وطريقهم الاعتدال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

هكذا ذكرهم الله تعالى بتلك الصفات الإيجابية، ولكنّ الدين أمرٌ ونهي، فإذا كان هذا حالهم مع أوامر الله تعالى وتوجيهات الدين، فما هي حالهم مع ما نهى الله تعالى عنه؟

هذا ما ذكرته هذه الآية الكريمة التي نقف عند الفقرة الأولى منها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

إنّ سيرتهم غير سيرة المشركين، المشركون يعبدون مع الله آلهة شتى، اتخذوها أرباباً من دون الله أو مع الله، والمشركون لا يتورّعون عن سفك الدماء وقتل الأنفس، والمشركون لا يتورّعون عن هتك الأعراض وسفح الشهوات، ولكن عباد الرحمن تورّعوا عن هذا كلّ.

فأول ما اتصفوا به هو التوحيد، ولهذا ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾: لا يتجهون إلّا إلى الله بالدعاء، و«الدعاء مخُّ العبادة»^(١)، بل الدعاء هو العبادة.

روى الترمذي أنّ النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة». وقرأ:

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٣٧١) وقال: غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلّا من حديث ابن لهيعة. والطبراني في الأوسط (٣١٩٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠٠٣)، عن أنس.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]^(١)، فوضع كلمة «الدعاء» موضع كلمة «العبادة» وكلمة «العبادة» موضع كلمة «الدعاء».

فـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا﴾، أي: لا يعبدون إلا الله، ولا يقدّسون غير الله، ولا يبتهلون إلى غير الله، ولا يسجدون لغير الله، ولا ينحنون لغير الله، إلههم «الله» وحده.

قد أفردوا الله وحده بالعبادة وبالاستعانة، فهموا سرّ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»^(٢)، وكما قال الله تعالى على لسان شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

إنّ تفرد الله بالعبادة والإنابة، وبالتوكل والاستعانة: هذه حقيقة التوحيد.

والتوحيد نوعان: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

توحيد الربوبية: أن تعتقد أنه لا ربّ غير الله، ولا خالق ولا رازق غير الله، فهو خالق السماوات ومالكها.

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٢٩٦٩)، وقال: صحيح. وأحمد (١٨٣٥٢)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الوتر (١٤٨١)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨)، وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٢٩)، عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٣٠٢)، عن ابن عباس.

وهذا النوع من التوحيد قد اعترف به المشركون، كانت قريش ومشركو العرب يعترفون بأن الله ربُّ السماوات والأرض: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨]، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

ومع هذا الاعتراف أشركوا مع الله آلهة أخرى، عبدوا الأحجار، وعبدوا الأوثان والأصنام، ومن الناس من عبد الشمس، ومن عبد القمر، ومنهم ومنهم. ومن هنا قالوا: إِنَّ توحيد الربوبية لا يغني عن التوحيد الآخر: توحيد الألوهية.

توحيد الألوهية: أَلَّا تُؤَلَّهَ غير الله، ولا تتَّجَّه بالدعاء والعبادة والاستغاثة والرجاء والخوف إلَّا إلى الله وحده.

وهذا هو التوحيد الذي أنزل الله به كتابه، وبعث به رسوله؛ ليدعوا إليه أقوامهم، فإنَّ الذي أضلَّ البشرية ليس هو الجحود والإلحاد، بل هو الشرك والوثنية.

ولهذا كان النداء الأوَّل في رسالات الرسل: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤]، وكان التوحيد هو القاسم المشترك بين رسل الله جميعاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

كان المشركون يعتقدون أنَّ الله خالق كلِّ شيء ويعبدون غيره، ويقولون عن آلهتهم المزعومة: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]،

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فجاء الإسلام ليحرّر هؤلاء من عبادة غير الله، سواء كان هذا الغير حجراً أو بشراً، أو جنّاً أو ملكاً، أو حيواناً أو نجماً، أو شمساً أو قمراً، أو جماداً، أو أي شيء.

كان النَّبِيُّ ﷺ يختم رسائله إلى ملوك الأرض: إلى قيصر، إلى أمراء النصارى، إلى المُقَوْقِس، إلى النَّجَاشِي، إلى غير هؤلاء من أهل الكتاب - بهذه الآية الكريمة من سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

الشرك هو الذي أفسد الحياة والمجتمعات:

إنَّ الذي أفسد الحياة، وأفسد المجتمعات، هو: دخول الشرك عليها، واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، فإنَّهم لم يعبدوا الحجر فقط، بل عبدوا البشر.

كان هناك مثل «النمرود» الذي قال: إِنَّا أَحْيِي وَأُمِيت، فقد حكم على رجل بالإعدام ثمَّ أعدمه، وحكم على آخر بالإعدام ثمَّ عفا عنه، أنذا أحيي وأُمِيت!

و«فرعون» الذي ادَّعى الألوهية، وقال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ﴾ [الرُّخُوف: ٥٤].

وهناك كثيرون ادَّعوا لأنفسهم أو ادَّعى لهم أنَّهم آلهة أو أرباب من دون الله، وقد لا يدعون ذلك بألفاظهم ولكن أعمالهم تنبئ عنهم، وتصرفاتهم

تعبّر عن هذا التأليه الكامل، فهم يريدون أن يُذلّوا عباد الله، وأن يصبح الناس لهم عبيداً، يأمرونهم فيطيعون، ويشيرون إليهم فيسمعون، ويشرّعون لهم فينفذون، ويحلّون لهم الحرام أو يحرمون عليهم الحلال فيستجيبون! لا يقولون: لم، ولا يقولون: لا، يحرمون عليهم ما شاؤوا ويحلّون لهم ما شاؤوا!

دخل عديّ بن حاتم - وكان قد تنصّر في الجاهليّة - على النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فقال: إنهم لم يعبدوهم. قال: «بلى؛ إنهم حرّموا عليهم الحلال، وأحلّوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إيّاهم»^(١).

هذا نوع من العبادة: أن تتخذ أناساً مُشرّعين، يُشرّعون لك ما شاؤوا، يحلّون ويحرمون، اغتصبوا سلطة الإلهيّة!

هناك أنواع شتّى من الربوبيّة تظاهر بها الناس في مختلف القرون وعلى مرّ العصور، ودان الناس لهم وأطاعوهم، فانقسموا قسمين: آلهة وعبيد، آلهة يفعلون ما يشاؤون، ويحكمون بما يريدون، ولا يُسألون عمّا يفعلون، وعبيد ليس لهم إلّا السمع والطاعة.

جاء الإسلام يُحرّر الناس من هذا كلّ، يحرّر النفوس من الشّرك، يحرّرها بالتوحيد، يحرّرها بـ «لا إله إلّا الله».

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٩٥)، وقال: حديث غريب. والطبري في تفسيره (٢١٠/١٤)، والطبراني (٩٢/١٧)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٦/١٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣).

هذه الكلمة كانت إيذاناً بحياة جديدة، ومجتمع جديد، كانت إعلاناً
لحرية البشر ولحقوق الإنسان.

بهذه الكلمة يجب أن ترتفع الحياة، وأن تتحرّر النفوس، وأن ترتفع
الرؤوس، ولا تنحني إلا لله في ركوع أو سجود.

كان التوحيد تحريراً حقيقياً للبشريّة.

ولم يسمح النبي ﷺ بأيّ نوع من أنواع الشّرك، سواء كان أكبر أو
أصغر.

الشرك نوعان:

هناك الشّرك الأكبر وهو نوعان: ظاهر جلي كاتخاذ آلهة مع الله،
وباطن خفي كدعاء الموتى والمقبورين، والاستعانة بهم، وطلب قضاء
الحوائج منهم.

وهناك الشّرك الأصغر: كالترك بالشجر أو بالحجر، وكالحلف بغير
الله تعالى، كأن تُقسم بالنبي ﷺ، أو بالكعبة، أو بالشيخ الفلاني، أو
بالوليّ الفلاني، وقد قال النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو
أشرك»^(١)، لا تحلف إلا بالله: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»^(٢).

ومن الشّرك الأصغر أن تقول: لولا فلان لحصل كذا وكذا؛ فالمسلم
ينبغي أن يتحرز في ألفاظه ويقول: لولا الله ثمّ فلان لكان كذا وكذا.

(١) رواه أحمد (٦٠٧٢)، وقال مخرّجوه: رجاله رجال مسلم، غير سعد بن عبيدة فمن رجال
الشيخين. وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وقال: حسن. كلاهما في الأيمان والنذور،
وصحّحه ابن الملقن في البدر المنير (٤٥٩/٩)، والألباني في غاية المرام (٢٥٩)، عن ابن عمر.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٧٩)، ومسلم في الأيمان (١٦٤٦)، عن ابن عمر.

قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: «أجعلتني لله ندا؟ قل: ما شاء الله وحده»^(١).

وفي حديث آخر: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم ما شاء فلان»^(٢).

لا ينبغي أن يقال: باسم الله واسم فلان؛ لأن ظاهر هذه الألفاظ جعل «فلان» هذا كأنه شريك مع الله، كأنه ند لله تعالى.

أراد النبي ﷺ أن يحرر الإنسان المسلم فلا يتجه إلا إلى الله وحده. حتى الغلو في شخصه ﷺ نهى الناس عنه، ما كان يجب أن يغلو الناس فيه، وقال: «لا تُطْرُونِي كما أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٣).

ومن هنا نقول في التشهد: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ولهذا وصفه الله بالعبودية في أسمى المقامات: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١]، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

(١) رواه أحمد (١٨٣٩)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥٩)، وابن ماجه في الكفارات (٢١١٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٢٣٢٦٥)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٠)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٣٧)، عن حذيفة بن اليمان.

(٣) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، عن عمر.

وهذا هو ما يفتخر به ﷺ، أنه عبد لله.

لم يسمح لأحد أن يغلو فيه، ولمّا جاء بعض الناس وقالوا له: يا رسول، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «يا أيّها الناس، قولوا بقولكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ تَعَالَى»^(١).

ومن الشُّرك الأصغر: النَّذر لغير الله، والذبح لغير الله، والرُّقى، والتمائم، والتّولة، وغير ذلك^(٢).

كلُّ هذه ضروب من الشُّرك لا ينبغي للمسلم أن يقع فيها، وقد حذّرنا النّبي ﷺ منها.

جاء الإسلام يدعو إلى التوحيد، وإلى التحرر من الشُّرك أكبره وأصغره، وجليّه وخفيّه، وذلك ليكون الشخصية المتزنة، الشخصية السّوية، الشخصية التي لا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا الله.

التوحيد مصدر الأمان والمشارك مرعوب:

المشارك يخاف من كلّ شيء، ويخاف على كلّ شيء، والمؤمن الذي وحّد الله تعالى لا يخاف من شيء، سدّ منافذ الخوف كلّها، فلم يعد يخاف إلا ربّه، حتّى الموت لا يخاف منه؛ لأنّه يعلم أنّ بعد الموت حياة أخرى يلقي فيها ربّه، ويخلّد فيها بعمله، ولا يخاف على الرزق،

(١) رواه أحمد (١٣٥٢٩)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٠٧٨)، عن أنس.

(٢) هناك ألوان أخرى من الشرك الأصغر ذكرتها في رسالة: حقيقة التوحيد، التي نشرتها مكتبة وهبة بالقاهرة.

ولا يخاف على الأجل؛ لأنَّ الرزق مضمون والأجل محدود: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤، النحل: ٦١].

ومن هنا كان التوحيد مصدر الأمان النفسي: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، أي: لم يشوبوا توحيدهم بشرك ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، أي: لهم الأمن في الدنيا والاهتداء، ولهم في الآخرة كذلك.

على حين قال الله تعالى عن المشركين: ﴿سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبُ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١].

التوحيد تحرير للنفس، فلا تُذل لغير الله، ولا تعز إلا بالله وحده. ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

التوحيد يسمو بالإنسان والشرك يحط به:

التوحيد سمو بالإنسان، وارتفاع به عن حضيض الأرض إلى الأفق الأعلى.

أمَّا الشرك فهو انحطاط بالإنسان، ينحط الإنسان ليعبد إنساناً مثله، أو ليعبد أشياء سُخِّرَتْ من أجله، يعبد أشياء لا تضر ولا تنفع، يعبد أشياء لا تبصر ولا تسمع، يعبد أشياء لا تعي ولا تعقل.

انظروا إلى ذلك الذي ينحت الحجر بيده ثم يتوجه إليه راجياً خائفاً خاشعاً متضرعاً! كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿اتَّعَبُدُونَا مَا نُنَحِّتُونَ﴾ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

انظروا إلى ذلك الذي يعبد الحيوان الذي سُخِّرَ لمنفعته، ويقَدِّس
الأنعام التي تخدمه وهي صحيحة، ويأكلها وهي ذبيحة!

كنت في الأسبوع الماضي في الهند، فرأيتهم كيف يقَدِّسون الأبقار
التي لا تملك لنفسها - فضلاً عن غيرها - ضرراً أو نفعاً أو موتاً أو حياة.

والعجيب أنهم يُؤلِّهون البقرة ولا يُؤلِّهون الجاموسة، والجاموسة
أنفع منها، وأكثر لبناً، ويُؤلِّهون الأنثى ولا يُؤلِّهون الذكر، الأنثى تُقَدِّس
وتُعبد، والثور يُضرب ويُهَان، ويستخدم في حمل الأثقال وغير ذلك.

ما الذي جعل هذه إلهاً وذلك ليس بإله؟! وما الذي جعل البقرة إلهاً
والجاموسة ليست بإله؟!

شيء عجيب!

هناك وجدنا من يعبد الثعابين، ومن يعبد النمل، ومن يعبد الشيطان،
وهناك من يعبد الفرج، ومن يعبد الحشرات!

الشُّرك أذلُّ الإنسان وانحط به، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَنْ
يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ
سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

والشُّرك وكرٌّ للخرافات ومبادة للأضاليل، يجعل الإنسان أسير
الأوهام، ويصبح زمامه بيد أولئك الكُفَّان الذين يبيعون فيه ويشترون،
ويسرقونه، أو يقودونه كما تُساق أو تُقاد الأنعام.

أولئك الكهنة وسَدَنَةُ الأصنام وخدمتها، يتحكَّمون في أولئك النَّاسِ؛
إذا قالوا لهم شيئاً سمعوا وأطاعوا، وهذا هو الشُّرك، وهذه هي العبودية،
عبودية الإنسان للإنسان!

جاء الإسلام ليحرّر الإنسان من هذا الوهم، ويجعله مع الله مباشرة، ليست هناك وساطة بين الله وعباده، ليس هناك سماسة محتكرون لهذه الوساطة، تستطيع أن تقرر باب ربك في أي وقت، وتدعوه بما تشاء، فيقول لك: لبيك وسعديك، تستطيع أن تصلي في أي بقعة من الأرض: «وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»^(١).

تستطيع أن تؤدّي عبادتك وأنت مُتَحَرَّر من رقّ الكهنوت.

جاء الإسلام ليحرّرنا من العبوديّة لغير الله تعالى، وهذه مزيّة عباد الرحمن، أنّهم: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أيّا كان هذا الإله، تحرّروا من كلّ الوثنيات: الوثنيّة الدنيّة، والوثنيّة الاقتصاديّة، والوثنيّة الاجتماعيّة.

أ - الوثنيّة الدنيّة: اتّخاذ آلهة أخرى، سواء كانت وثنيّة كبرى أو وثنيّة صغرى، وثنيّة ملحوظة أو وثنيّة غير ملحوظة.

قد يقول بعض النّاس: نحن لا نعبد هؤلاء، ولكن إذا كنت تتوجه إلى صاحب الضريح وتستغيثه وتبتهل إليه، وتخاف منه أكثر ممّا تخاف الله^(٢)، فهذا من الوثنيّة.

لا يجوز للمسلم أن يستغيث بوليّ أو صاحب ضريح، إنّما عليه - إن كان مسلمًا - إذا زار قبرًا من هذه القبور أن يقول: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية»^(٣)، فهو يدعو لهم وليس يدعوهم، هذا منطق الإسلام.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد (٥٢١)، عن جابر.

(٢) بعض النّاس يُقسم بالله كاذبًا، ويخشى أن يُقسم بالشيخ أو بالولي!

(٣) رواه مسلم في الجنائز (٩٧٥)، عن بريدة.

أَمَّا أَنْ تَدْعُوهُمْ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ لِأَنَّكَ لَا تَدْرِي شَيْئًا عَنْ خَوَاتِيمِ الْعِبَادِ، لَا يَسْتَطِيعُ إِنْسَانٌ أَنْ يَجْزِمَ أَنْ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ قَدْ خُتِمَ لَهُ بِالْإِيمَانِ، وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ.

لَمَّا مَاتَ عَثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ - وَهُوَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَأُودِزُوا فِي سَبِيلِهِ وَهَاجَرُوا مِنْ أَجْلِهِ - قَالَتْ أُمُّ الْعَلَاءِ الْأَنْصَارِيَّةُ: رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ أبا السَّائِبِ، فَشَهِدْتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا يَدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ؟ وَاللَّهُ مَا أَدْرِي - وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ - مَا يُفْعَلُ بِي؟». قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَا أَزْكَي بَعْدَهُ أَحَدًا أَبَدًا^(١).

فَلَمْ يَرْضَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَقُولَ الصَّحَابِيَّةُ: «فَشَهِدْتِي عَلَيْكَ: لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ» بِهَذَا الْجَزْمِ؛ لِأَنَّهَا صِيغَةُ قَسَمٍ، وَمِنْ أَيْنَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا قَدْ خُتِمَ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟ الْعَشْرَةُ الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ وَأَمْثَالُهُمْ هُمُ الَّذِينَ نَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَكُلُّ إِنْسَانٍ مُصِيرُهُ إِلَى اللَّهِ.

ثُمَّ لَمَّاذَا تَطْلُبُ مِنْ غَيْرِكَ وَهُوَ مِثْلُكَ عَبْدٌ وَمَخْلُوقٌ؟! هَلْ يَسْأَلُ «الشُّحَاتُ» «الشُّحَاتَ»؟!!

اسْأَلْ صَاحِبَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، اسْأَلْ صَاحِبَ الْخَزَائِنِ الَّتِي لَا تَنْفَدُ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(٢).

ب - الْوُثْنِيَّةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ: عِبَادَةُ الْمَالِ، عِبَادَةُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ». وَزَادَ فِي رَوَايَةٍ: «وَعَبْدُ الْقَطِيفَةِ»^(٣).

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الشَّهَادَاتِ (٢٦٨٧).

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ ص ٩٦.

(٣) الْخَمِيصَةُ وَالْقَطِيفَةُ: أَنْوَاعٌ مِنَ الثِّيَابِ. وَالحديث رواه البخاري في الجهاد (٢٨٨٦، ٢٨٥٨٧)، عن أبي هريرة.

هناك أناس أشركوا مع الله المال، فهم يلهثون وراءه، يستحلّون من أجله كلّ حرام، ويرتكبون كلّ موبقة، هؤلاء عبيد المال.

ج - الوثنيّة الاجتماعيّة «أو الوثنيّة السياسيّة»: إذا كان هناك من يعبدون القبور، فهناك من يعبدون القصور، شرك العوام تأليه الأموات، وشرك الخواص تأليه الأحياء! طاعتهم طاعة مطلقة، وإعطائهم حقوق الألوهيّة من التعظيم والتقدّيس والخوف والرجاء، وكل ذلك وثنيّة.

إذا كنت عبداً لله حقاً فلا تؤلّه غير الله، ولا تلتفت بقلبك إلّا إلى الله، لا يملك أحدٌ لك ضرراً ولا نفعاً، ولا حياة ولا موتاً، ولا يستطيع مخلوق أن يقدم لك أجلاً، أو ينقص لك رزقاً: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلّا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيء لم يضُرُّوك إلّا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعَتِ الأَقلام وجُفَّتِ الصحف»^(١).

التوحيد الحقيقي يجعل من المسلم شخصيّة قويّة، تقف عند الحقّ، وتتشبّث به، وتجادل دونه، وتدافع عنه، وتبذل من أجله المال والنفس والنّفس، والغالي والرخيص، وهذا هو الذي تقوم به النهضات، وتنصر به الرسالات، ويرتفع به شأن الأمم.

المؤمنون الموحّدون الأقوياء هم الذين أخلصت قلوبهم لله، وتحرّرت له، فلم يعد هناك أرباب أخرى، كما قال يوسف عليه السلام لأصحابه في السجن: ﴿يَصْـدِـحِـي السِّجْنُ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]. أتعبد عدداً من الآلهة أم إلهاً واحداً قهاراً؟!

(١) سبق تخريجه ص ٩٦، وفيه: «وإذا استعنت فاستعن بالله».



مثل واضح للمؤمن وللمشرك:

الذين يعبدون الآلهة المختلفة تتوزع قلوبهم رغبات مختلفة، وأهواء مختلفة، لا يدري أيُّهم يُرضى وأيُّهم يُسخط، كما ضرب القرآن لنا مثلاً: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩].

إنَّه مثلٌ واضح: عبدٌ له سيّد واحد، عرف ما يرضيه وما يُسخطه، فلزم رضاه ففاز بقربه ومحبّته، وعبدٌ له أسيادٌ مختلفون، وهم شركاء متشاكسون، هذا يأمره أن يذهب إلى الشرق وهذا إلى الغرب، فلا يدري من يُرضي ومن يُسخط، ومن يُطيع ومن يَعصي.

هذا فرق ما بين المُوَحِّد والمُشْرِك، ما بين المؤمن وغير المؤمن، ما بين عبد الرحمن وعبد غير الرحمن.

عباد الرحمن حرّروا أنفسهم من كلّ آلهة سوى الله، فلا يدعون مع الله إلهاً آخر، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم، وهكذا ينبغي أن نكون.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الذين أخلصهم الله لدينه، وأخلصوا دينهم لله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

فَقَدْ وَرَدَ أَنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً إِجَابَةً، لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ لَهُ ^(١)، وَلَعَلَّهَا تَكُونُ هَذِهِ السَّاعَةُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا.

اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا، وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا.

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَاعْظِمْنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَزِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تَوَثِّرْ عَلَيْنَا، وَارْضَ عَنَّا وَارْضِنَا.

﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللَّهُمَّ انصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَعِزِّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ هِيَ الْعُلْيَا، وَاجْعَلْ كَلِمَةَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ هِيَ السُّفْلَى.

اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَعْدَائِكَ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ أَيُّا كَانُوا، اللَّهُمَّ رُدِّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ كَيْدَهُمْ، وَفُلَّ حَدَّهُمْ، وَأَذْهَبْ عَنْ أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ سُلْطَانَهُمْ، وَلَا تَدَعْ لَهُمْ سَبِيلًا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

(١) سبق تخريجه ص ٥٧.



﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وأقيم الصلاة.

* * *





صفات عباد الرحمن اجتناب القتل واحترام الحياة

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا نَعِيشُ مَعَ «عِبَادِ الرَّحْمَنِ»، وَلَا زِلْنَا نَعِيشُ فِي رَحَابِ الْقُرْآنِ، مَعَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الرَّاضِيَةِ الْمَرْضِيَّةِ، الَّذِينَ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، وَذَكَرَهُمْ لَنَا نَمُودَجًا يُحْتَذَى، وَيُقْتَدَى بِهِ فَيُهِتَدَى.

وَوَقَفْنَا فِي أَوْصَافِهِمْ عِنْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨].

إِنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، بَلْ لَا يَدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يَسْتَعِينُونَ إِلَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، شَعَارَهُمْ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

بِهَذَا حَافِظُوا عَلَى الْهَدَفِ الْأَوَّلِ مِنْ رِسَالَاتِ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ: الْعَقِيدَةُ، الْإِيمَانُ.

ولكن الرسائل السماوية والشرائع الإلهية، لم تأت لحفظ الدين والعقيدة فحسب، إنما جاءت لحفظ الدماء والأنفس، ولحفظ الأعراض والحُرُمات، ولحفظ العقول، ولحفظ الأنساب، ولحفظ الأموال.

فمن هنا قرن الله هذه الصفة بصفة أخرى فقال: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨].

والقرآن قرن القتل بالشُّرك؛ لبشاعة هذه الجريمة وفضاعتها، الشُّرك اعتداء على الدين، والقتل اعتداء على الحياة، ومن أنت أيُّها الإنسان حتَّى تعتدي على حياة غيرك؟

هذه الحياة وديعة أودعها الله تعالى لصاحبها، فكيف تسلبها من غيرك؟!؟

هل تستطيع أن تخلُق ذبابة أو بعوضة حتَّى تستحلَّ قتل نفس مؤمنة بغير حقٍّ؟!؟

هل تستطيع أنت أن تُودع الروح في أدنى مخلوقات هذه الأرض؟!؟

كيف تجرؤ على قتل نفس وسفك دم؟!؟

لقد جاء الدين محرماً سفك الدماء، ولا يجيز للإنسان أن يعتدي على إنسان بغير حقٍّ، ولماذا يقتل النَّاسُ النَّاسَ؟ لماذا يقتلون الأنفس المعصومة؟ والنَّفْسُ المعصومة هي نفس الإنسان المسلم، أو نفس الإنسان المعاهد.

من كان يقول: «لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمدًا رسول الله» فقد عُصِمَ دمه وماله إلاَّ بالحقِّ، ومن عاهد المسلمين بعقد ذمَّة أو هُدنة من سلطانٍ

مسلم، أو إجارة من مسلم، فلا يجوز أن يعتدي عليه، هذه هي النفس المعصومة فلا يجوز قتلها.

بل كلُّ من سالم المسلمين وألقى إليهم السلم وكفَّ يده عنهم فلا يجوز قتله كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

ولكنَّ النَّاسَ من قديم الزمان سَوَّلَ لهم أنفسهم الأمارة بالسوء أن يقتل بعضهم بعضًا من أجل دنيا تافهة، أو من أجل غضب طارئ، أو من أجل حسدٍ أو كراهية أو بغضاء، أو تنافسٍ على عَرَضٍ من أعراض هذه الحياة، أو لغير ذلك.

حين كان النَّاسُ أسرة واحدة من أب وأم وأولادهما حدثت هذه الجريمة البشعة. قتل ابن آدم أخاه من قديم الزمان كما قصَّ علينا القرآن: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * ثُمَّ خَوَّفَهُ وَهَدَّاهُ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ * ولكن لم ينفع فيه اللين ولا التهديد * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣٠].

في فجر البشريَّة، في فجر الحياة، حيث لم يكن يعرف الإنسان كيف يوارى جثَّة أخيه الإنسان، فهذه أوَّل جريمة تقع على وجه الأرض، حتَّى بعث الله غرابًا يعلم الإنسان كيف يوارى سواة أخيه.

من قديم الزمان تعلَّم النَّاسُ العدوان، من قديم الزمان عرف النَّاسُ الشرَّ. ووُجِدَ في النَّاسِ الشرير الذي يقتل أخاه بغير ذنب جناه، ووُجِدَ

في النَّاسِ الطَّيِّبِ الْوَدِيعِ الْمَسَالِمِ الَّذِي يَقُولُ لِأَخِيهِ: ﴿لَيْنُ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِنَقْنُكُنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْنُكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، وَوُجِدَ الَّذِي طَوَّعَ لَهُ نَفْسَهُ الْأَمَّارَةَ بِالسُّوءِ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ.

وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَجْتَمَعٌ يَهَيِّئُ لَهُ أَسْبَابَ الْجَرِيمَةِ، كَمَا يَقُولُ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْمَجْرِمِينَ - كُلَّ الْمَجْرِمِينَ - ضَحَايَا الْمَجْتَمَعِ، وَأَنَّ الْمَجْتَمَعِ هُوَ الَّذِي يَصْنَعُ الْمَجْرِمَ، وَيُدْفَعُهُ لِلْجَرِيمَةِ! وَلَكِنْ ظَلَمَ الْإِنْسَانُ لِلْإِنْسَانِ قَدِيمًا، وَأَيُّ ظُلْمٍ أَكْبَرَ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ عَلَى الْحَيَاةِ؟

غَضِبَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ مِنْ هَذِهِ الْجَرِيمَةِ فَقَالَ: «لَا تُقْتَلْ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»^(١).

وَعَقَّبَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا فَقَالَ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

الْإِسْلَامُ لَا يَجِيزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقْتُلَ الْمُسْلِمَ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾ [النساء: ٩٢].

اسْتَبْعَدَ الْقُرْآنُ كُلَّ الاسْتَبْعَادِ أَنْ يَقْتُلَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ، إِلَّا أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ خَطَاً مِنْهُ وَبِغَيْرِ قَصْدٍ. وَجَعَلَ فِي ذَلِكَ الدِّيَّةَ وَالْكَفَّارَةَ: دِيَّةٌ مُسَلِّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ، وَكَفَّارَةٌ: عَتَقَ رَقَبَةً.

فَكَمَا قَتَلَ إِنْسَانًا يَحَاوِلُ أَنْ يَحْيِيَ إِنْسَانًا آخَرَ، وَاعْتَبَرَ الْقُرْآنُ تَحْرِيرَ الرَقَبَةِ بِمِثَابَةِ الْإِحْيَاءِ؛ لِأَنَّ الْعِبُودِيَّةَ بِمِثَابَةِ الْمَوْتِ الْأَدْبِيِّ، وَالْحُرِّيَّةَ بِمِثَابَةِ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ (٣٣٣٥)، وَمُسْلِمٌ فِي الْقِسَامَةِ وَالْمَحَارِبِينَ (١٦٧٧)، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ.

حياة جديدة، ومن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله، وهذا هو المتيسر في هذا الزمن.

الذين يقتلون خطأ بسياراتهم، بعضهم يظن أن يكفيه أن يدفع الدية، أو تدفع شركة التأمين الدية، ولا شيء عليه بعد ذلك.

لا، عليه أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله، ولو أفطر بعد شهر أو بعد سبعة وخمسين يومًا - قبل أن يتم الشهرين - عليه أن يعيد من جديد؛ حتى لا يستهتر بأرواح الناس.

وبعض الذين يفعلون هذا ربما لا يُعتبر قتلهم خطأ، من أمثال هؤلاء المتهورين المجانين، الذين يسرون في الشوارع كأنما يستعرضون عضلاتهم، هؤلاء الذين لا يمشون على الأرض هونا بسياراتهم شأن عباد الرحمن، هؤلاء الذين يقتلون الناس ويُزهقون الأرواح، لا أظن قتلهم خطأ، ولا يُعتبر من باب الخطأ، إنما هو من باب التعدي، ويجب أن يُعاقبوا عقوبة أخرى فوق عقوبة القتل الخطأ.

لماذا يقتل المؤمن المؤمن؟!

هل في هذه الدنيا ما يستحق أن يقتل المسلم أخاه المسلم من أجله؟! هذه الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فكيف يقتل الإنسان من أجلها أخاه المسلم؟! والمفروض فيه أن يحميه ويدافع عنه ويبدل نفسه من أجله، فكيف يقتله؟!

جزاء قتل المؤمن عمداً:

ومن هنا يقول القرآن: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

انظروا إلى هذه الأجزاء الكبيرة، إلى هذه العقوبات الضخمة:

١ - ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾.

٢ - ﴿خَلِيدًا فِيهَا﴾.

٣ - ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾.

٤ - ﴿وَلَعَنَهُ﴾.

٥ - ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

جهنم والخلود فيها والغضب واللعنة من الله والعذاب العظيم.

وقال النبي ﷺ؛ فيما رواه النسائي والترمذي: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»^(١).

وجاء في حديث آخر: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ»^(٢).

وروى الترمذي وابن ماجه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَافَ بِالْكَعْبَةِ فَقَالَ: «مَا أَطْيَبُ وَأَطْيَبَ رِيْحَكَ! مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِحُرْمَةِ الْمُؤْمِنِ^(٣) أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْكَ: مَالُهُ وَدَمُهُ، وَأَنْ نَظَرَ بِهِ إِلَّا خَيْرًا»^(٤).

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥)، مرفوعاً وموقوفاً ورجح الموقوف. والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٨) وقال: حديث غريب. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٤٢): صحيح لغيره.

(٣) أي: حُرْمَةُ دَمِهِ وَمَالِهِ وَعَرْضِهِ.

(٤) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٣٢)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٣٢)، وابن حبان في الحظرم والإباحة (٥٧٦٣)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي. وحسنه الألباني في غاية المرام (٤٣٥)، وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٣٩): حسن صحيح. عن ابن عمر.

وقال ﷺ: «كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»^(١).

وقال: «المؤمن: من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»^(٢).

فكيف يسوغ - بعد هذه النصوص المحكمات - في عقل إنسان مسلم وفي ضميره وفي دينه أن تمتد يده بالإثم ليقتل إنساناً بغير حق؟! في حديث ابن مسعود الذي رواه البخاري وغيره: «أَوَّلُ ما يُقْضَى بين النَّاسِ يومَ القيامةِ في الدماء»^(٣)، أي أنَّ أَوَّلَ ما يُحاسبُ عليه النَّاسُ في المحكمةِ الإلهيةِ يومَ القيامةِ: الدماء، الأنفس، وما ذلك إلا لخطرِها وعِظَمِ أمرِها.

ويرى عدد من الصحابة وعلماء السلف أنَّ القاتل لا توبة له؛ لشدة جُرمه؛ وذلك لما روى بعضهم: «لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصَبِّ دمًا حرامًا»^(٤)، أي: يضيق عليه دينه، أو يضيق عليه ذنبه، كما في بعض الروايات.

ذنبان لا يغفرهما الله:

وروى معاوية عن النَّبي ﷺ: «كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا»^(٥).

(١) رواه مسلم في البرِّ والصَّلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٧٢٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٢٣٩٥٨)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الجهاد (١٦٢١) وقال: حسن صحيح. عن فضالة بن عبيد.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الديات (٦٨٦٤)، ومسلم في القسامة (١٦٧٨).

(٤) رواه البخاري في الديات (٦٨٦٢)، عن ابن عمر.

(٥) رواه أحمد (١٦٩٠٧)، وقال مخرَّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٤)، والحاكم في الحدود (٣٥١/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٤١).

كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا هَذَيْنِ الذَّنْبَيْنِ: ذَنْبُ الشُّرْكِ والموت على الكفر، وقتل امرئٍ مؤمنٍ بغير حقٍّ، ويلحق به أن يساعد على قتله.

لقد حذّر رسول الله ﷺ الأُمَّة من بعده أن يردُّوا إلى عصر الجاهليّة الجاهلاء، فيعادي بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا بغير حقٍّ، فقال في حَجَّة الوداع أمام الجماهير المؤمنة بعد أن أمر باستنصات النَّاس: «لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ»^(١).

وفي رواية: «وَيْلَكُمْ - أَوْ وَيَحْكُم - لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ»^(٢).

فاعتبر هذا من شأن الكفار لا المسلمين: أن يضرب بعضهم رقاب بعض، كما صحَّ عنه قوله ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(٣).

هناك أناس يجترئون على قتل الأنفس، ولم يُبح الله قتل النَّفس إلَّا في حالات ثلاث، كما في حديث ابن مسعود في «الصحيحين»: «لا يحلُّ دم امرئٍ يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله، إلَّا بإحدى ثلاث: الثَّيِّب الزاني، والنَّفْس بالنَّفْس، والتارك لدينه المُفَارِق للجماعة»^(٤).

الثَّيِّب الزاني: الزاني المحصن، من زنى وهو مُتَزَوِّج، وثبت عليه الزنى، أي: رآه أربعة من الشهود عيانًا بيانًا وهو يرتكب الفاحشة، أو اعترف على نفسه أمام قاضٍ شرعي أربع مرات، فهذا يستحقُّ القتل،

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤٠٢)، ومسلم في الإيمان (٦٦) (١٢٠)، عن ابن عمر.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

(٤) متَّفَق عليه: رواه البخاري، في الديات (٦٨٧٨)، ومسلم في القسامة (١٦٧٦)، عن ابن مسعود.

وليس القتل عقوبة على مجرد الزنى، ولكن على المجاهرة به؛ إلى حد أن يراه أربعة من الناس.

والعقوبة هنا حق الإمام، حق ولي الأمر، فلا يجوز للفرد أن يجعل نفسه خصمًا وحكمًا، يأخذ سلطة الاتهام وسلطة القضاء وسلطة التنفيذ، يعاقب كما يشاء.

الزاني والزانية سواسية في العقاب:

بعض الناس قتل ابنته البكر، التي غرّها غارٌّ أو لعب بها شيطان فارتكبت الفاحشة، مع أن الشرع لم يُعطِ الأقارب حقَّ العقوبات.

الذين يفعلون ذلك لم يفعلوه غيراً على حرّمت الله؛ لأنّ هؤلاء إذا زنى أبناؤهم الذكور سكتوا عنهم، إذا زنت بناتهنّ قتلوهنّ!

فهل الزنى حلال للرجال حرام على النساء؟!

الزنا حرام على الذكر والأنثى، إذن فهي غيرة تقليدية، وليست غيرة دينية. والزنى في حدّ ذاته لا يستحقُّ القتل، إنّما الزنى الذي يستحقُّ القتل هو ما كان بالشروط التي ذكرتها، فلا يجوز للأب أن يقتل ابنته البكر إذا زنت؛ لأنّ عقوبتها في الشرع هي الجلد، وذلك لو ثبت عليها الزنى ثبوتاً قضائياً، وليس هذا بيسير، وإذا لم يجز للأب، فمن باب أولى: لا يجوز للأخ أو غيره من العصابات، كما لا يجوز للمرء أن يجعل من نفسه قاضياً ويقتل في جرائم لا تستحقُّ القتل.

رأى رجل امرأته تسير مع رجل آخر فقتلها، وهو لا يعلم إن كانت ارتكبت الفاحشة أو لم ترتكب، ثمّ أحرق جثتها ودفنها، وقال: قد ماتت بالسكّة القلبية!

مشيها مع رجل أجنبي إثم وجريمة ولا شك في هذا، بل لا يجوز أن تخرج من بيت زوجها بغير إذنه، فضلاً عن أن تخرج مع رجل أجنبي، فهي مجرمة وخائنة ولا شك، ولكن الشرع لم يعطه حق قتلها إلا إذا وجده معها في فراشه، فدفعته الغيرة أن يفعل ذلك كما قال سعد بن عبادَةَ رضي الله عنه (١).

والأمر الثاني الذي يبيح قتل النفس المُحرَّمة هو: القتل العمد، فالنفس بالنفس، من قتل يُقتل، وإذا عَرَفَ أنه سيقتل كفَّ غالباً عن القتل، فحُفِظَ بذلك حياته وحياة من يريد قتله، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وفي القصاص من القاتل المتعدي المتعمد شفاء لأنفس أولياء الدم؛ حتى لا يفكروا في الثأر لقتيلهم، ويقتلوا بالواحد اثنين أو أكثر، وربما قتلوا بدل القاتل ابنه أو أخاه وهو لم يقتل، كما يحدث في صعيد مصر، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، ومن حقّه أن يمكّنه وليُّ الأمر من قتل القاتل بعد أن يحكم عليه القضاء، وليس من حقّه أن يكون هو الخصم والحكم والمنفذ. كما أن من حقّه أن يعفو أو يقبل الصلح بمال، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

(١) وقد قال سعد: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فقال النبي ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأننا أغير منه، والله أغير مني». متفق عليه: رواه البخاري في الحدود (٦٨٤٦)، ومسلم في الطلاق (١٤٩٩)، عن المغيرة بن شعبة.

ومما يؤسف له أن نجد الغربيين اليوم ينكرون شريعة القصاص،
ويزعمون أننا بالقصاص نخسر اثنين بدل واحد، وينسون أننا بقتل
الواحد نحفظ دماء الكثيرين، ولا نجري الناس على القتل، وهكذا
نراهم يرأفون بالجاني وينسون الضحية، ويهتمون بالفرد وينسون
أمن المجتمع.

والأمر الثالث المبيح للقتل: هو ترك الدين ومفارقة الجماعة، بمعنى:
أن يرتد المسلم عن دينه، ويخرج على جماعتهم وينضم إلى جماعة
أخرى مخالفة لها، يعطيها ولاءه، ويعادي جماعته الأصلية، فهذا أشبه بما
يسمى في عصرنا «خيانة الأمة والوطن»، ولا يعاقب ذلك من ارتد في
نفسه ولم يجاهر برده، ويدع الآخرين إلى مسلكه، فهذا حسابه على الله.
ولا بد أن يستتاب المرتد، ويُناقش بالحكمة، وتُزال عنه الشبهة التي
دعته إلى الردة، ويُرفق به، ما لم تكن رده من النوع الغليظ المثير،
ولا سيما إذا استعان بأعداء الإسلام على أمته^(١).

القتل مسألة كبيرة، فلا يجوز للناس أن يقدموا عليه إلا بمحكمة،
بقضاء، يدافع فيه كل إنسان عن نفسه، ثم يُقضى له أو عليه.

الإسلام يحترم الدماء ويحرم سفكها:

الإسلام حرّم سفك الدماء، سواء دم المسلم أو دم غير المسلم إذا
كان بينه وبين المسلمين عهد وميثاق: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا
إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

(١) انظر كتابنا: ملامح المجتمع المسلم ص ٢٩ - ٤٥، فصل: العقيدة والإيمان، عقوبة المرتد،
نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

وجاء في حديث البخاري، عن عبد الله بن عمرو، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «من قتل معاهداً لم يَرِحْ رائحة الجنة». أي: لم يَشَمَّ رائحتها «وإن ريحها يُوجد من مسيرة أربعين عاماً»^(١).

هذا بالنسبة للإنسان المعاهد وليس بمسلم، فكيف بالمسلم؟!!

حتى في الحروب المشروعة لم يجز الإسلام قتل من لا يقاتل، مثل المرأة والطفل والشيخ الكبير، بل كان الخلفاء الراشدون ينهون القادة العسكريين أن يقتلوا الرهبان الذين فرغوا أنفسهم للعبادة، وقد روى ابن عمر أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وجد في بعض المغازي امرأة مقتولة، فأنكر رسول الله قتل النساء والصبيان^(٢). الإنسان يستحق الحياة، ولا يجوز أن يُعتدى عليه ولو كان طفلاً، للطفل حق الحياة واحترام النفس كالكبير تماماً، ولذلك يجب في هذا دية كاملة وفي هذا دية كاملة، وفي هذا كفارة وفي هذا كفارة.

الإسلام يحترم حياة الجنين:

بل لا يجوز الاعتداء على الجنين بالإجهاض والإسقاط، وخاصة إذا كان بعد مرور أربعة أشهر، حيث تكون الجريمة فيه جريمة قتل كاملة. إذا كان الإجهاض في الأربعين الأولى فهو أخف، ولكنه جريمة، وإذا كان بعد الأربعين الأولى فهو جريمة أكبر، ولا يجوز اللجوء إليها في الأسابيع الأولى إلا لضرورة يقدرها الأطباء الثقات المتخصصون، كخطر على صحة المرأة أو نحو ذلك؛ لأن حياة الأم مقدمة على حياة الجنين، وصحتها مقدمة على صحته.

(١) رواه البخاري في الجزية (٣١٦٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠١٥)، ومسلم (١٧٤٤)، كلاهما في الجهاد والسير.

بل لو نشأ هذا الجنين من حرام، لم يجز لأُمّه ولا غيرها الاعتداء على حياته، كما رأينا ذلك في قصّة المرأة الغامديّة^(١)، التي طلبت من الرسول أن يقيم عليها الحد؛ لأنّها حُبلى من زنى، فرفض ذلك حتّى تضع، وبعد الوضع حتّى يُفطم طفلها!

إلى هذا الحدّ يحترم الإسلام النّفس البشريّة.

على المسلم أن يصبر وألّا يعتدي على نفسه:

بل لا يُجيز الإسلام للإنسان أن يعتدي على حياة نفسه، أنت ملكٌ لله، فمن أعطاك الحقّ أن تنتحر، أن تقتل نفسك، أن ترميها من شاهق، أن تضرب نفسك بالرصاص، كما يفعل أولئك الذين يُقلدون الأفلام والتمثيلات وغيرها؟

الأصل أن يصبر المسلم على الشدائد، المسلم صبور مصابر، يرضى بما قسم الله له، ويتوقع أن يفرّج الله عنه الشدائد، ويعلم أن مع اليوم غداً، وأنّ غداً لناظره قريب، وأنّ دوام الحال من المحال، وأنّ مع العسر يسراً، وأنّ بعد الظلام فجرًا، ولهذا لا يُقدّم المسلم على جريمة يقتل فيها نفسه.

وليس في الحياة ما يستحقّ أن يقتل الإنسان نفسه من أجله، أمّن أجل حبّ قد فشل، أو من أجل تجارة قد كسدت، أو من أجل أملٍ قد خاب، يُقدّم الإنسان على قتل نفسه يائسًا من رَوْح الله تعالى؟! والله تعالى يقول: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِئُسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

(١) رواها مسلم في الحدود (١٦٩٥)، وأحمد (٢٢٩٤٩)، عن بريدة الأسلمي.

عقوبة من تعدّى على نفسه:

لهذا جاءت الأحاديث تشدّد في هذا الأمر، وتنذر أبلغ الإنذار، وتتوعّد أشدّ الوعيد، يقول النبي ﷺ: «من تردّى من جبل، فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تحسّى سمًا فقتل نفسه، فسمه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا»^(١).

وقال ﷺ: «الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النار، والذي يتقحم يتقحم في النار»^(٢).

وجاء في «الصحيح»، أنّ النبي ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جرح، فجزع، فأخذ سكينًا فحزّ بها يده، فما رقا الدم حتّى مات، قال الله تعالى: بادرنى عبدي بنفسه، حرّمت عليه الجنة»^(٣).

والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

القتل حرام، وسفك الدماء حرام، بل من أكبر كبريات الحرام، حتّى قال من قال من الصحابة: لا توبة للقاتل، قالوا: لأنّ هناك حقوقًا ثلاثة:

حقّ الله تعالى: وهذا تنفع فيه التوبة.

وحقّ أولياء الدم: أهل المقتول وورثته، وهؤلاء يمكن أن يسقطوه بالعفو، أو بأخذ الدية، أو بالصلح.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٧٨)، ومسلم في الإيمان (١٠٩)، عن أبي هريرة. وقوله: «يجأ بها»، أي: يطعن بها نفسه.

(٢) رواه البخاري في الجنائز (١٣٦٥)، وأحمد (٩٦١٨)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأنبياء (٣٤٦٣)، ومسلم في الإيمان (١١٣)، عن جندب بن عبد الله.

وبقي حقُّ المقتول نفسه: وقد جاء في الأحاديث: «يأتي المقتول مُتَعَلِّقًا رأسه بإحدى يديه، متلبِّبًا قاتله باليد الأخرى، تشخب أوداجه دمًا حتَّى يأتي به العرش، فيقول المقتول لربِّ العالمين: هذا قتلني. فيقول الله تعالى للقاتل: تَعِسْتَ. ويذهب به إلى النار»^(١).

وقال الآخرون: إذا تاب توبة نصوحًا ورضي عنه أولياء الدم، فإنَّ الله جدير أن يُرضي عنه القاتل يوم القيامة، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة، وهذا هو الصحيح والراجح إن شاء الله.

هذا ما جاء به الإسلام أيُّها الإخوة: لا تقتل، ولا تشارك في القتل ولو بشطر كلمة.

بل جاء في الحديث: «لا يشهد أحدكم قتيلاً، لعلَّه أن يكون مظلوماً، فتصيبه السخطة». رواه أحمد. وزاد الطبراني: «فعسى أن يكون مظلوماً، فتنزل السخطة عليهم، فتصيبه معهم»^(٢).

وقال عليه السلام: «من جرَّد ظهر مسلم»، يعني: ليضربه «بغير حقٍّ، لقي الله وهو عليه غضبان»^(٣). وذلك ليعيش المسلم مصدر سلام للناس من حوله، فالمسلم الحقُّ من سلِّم النَّاس من يده ولسانه. لا تقتل، ولا تؤذِ أحداً، ولا تشهد مشهد قتل أو ظلم.

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٠٢٩)، والطبراني في الأوسط (٤٢١٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٣٠٦): رواه الترمذي باختصار آخره. رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح. عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٧٥٢٢)، وقال مخزَّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٢١٨/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧٠٩): فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف وبقية رجالهما رجال الصحيح. عن خرشة بن الحر.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١١٦/٨)، والأوسط (٢٣٣٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٠٦): إسناده جيد. وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٢١)، وقال الحافظ في الفتح (٨٥/١٢): في إسناده مقال. عن أبي إمامة.

الويل لجلادين لا يبالون بحرمات الخلق:

هناك أناس جلاّدون لا يبالون بحرمات الخلق، وحقوق الإنسان، أناس طالما سفكوا الدماء، وعذبوا خلق الله.

لقد رأينا أناساً أمسكوا بأيديهم الكرايج والسياط، وأمسكوا بأيديهم أدوات التعذيب، وما زالوا يعملون فيها طوال الليل في أجسام غضة، وظهور طالما انحنت لله تعالى راکعة، وأعضاء لم تعرف إلاّ السجود لله، حتّى خروا قتلى من التعذيب، رأينا هذا والله بأمّ أعيننا.

رأينا الذين قُتلوا ثمّ دُفِنوا في جنح الليل، ولم يعرف أحد أين ذهبوا، وجاء أهلهم ليزورهم في السجون والمعتقلات، فقيل لهم: أفرج عنهم! يا ويل هؤلاء الجلادين! ألم يقرؤوا آيات القرآن؟ ألم يقرؤوا أحاديث مُحَمَّد ﷺ؟ ألم يعرفوا أنّ للنفس حرمتها، وأنّه لا يجوز قتل هرة بغير حق؟ فإنّ امرأة دخلت النار في هرة حبستها^(١) حتّى ماتت، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض^(٢).

نسأل الله تعالى أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يوفّق المسلمين إلى حقن دمائهم، بدل هذه الحروب التي تُسفك فيها الدماء لسبب ولغير سبب، ولحق ولغير حق.

نسأل الله أن يعصم هذه الدماء ويحقنها ويصونها، ويوفّق من المسلمين من يقوم على حقنها.

استغفروا ربكم إنّّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) فكيف بمن يسجن ويعذب ألوف المؤمنين؟!

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٥)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢)، عن ابن عمر.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كتبت إليّ إحدى الأخوات - ولعلّها من المصليات في المسجد أو من المستمعات في البيوت - تقول: لماذا توجّه كلامك إلى الرجال دون النساء، ولا تخصصنا نحن بحديث كالرجال، وتطالبني أن أتحدث عن برّ الأمّهات وعقوقهن؛ لما ترى من كثرة العاقين من الأبناء والبنات.

وأحب أن أقول: إنّ هذه الخطب والأحاديث ليست موجّهة للرجال وحدهم، إنّها للرجال وللنساء جميعاً، إنّ الله تعالى حينما يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ - وإن كانت الواو هنا للجماعة الذكور كما يقول النحويون - فهذا خطاب للمؤمنين والمؤمنات جميعاً.

كلّ ما في القرآن وفي السنّة من أوامر ونواهٍ وتوجيهات فهو للجنسين معاً، ولذلك فالكلام للجميع.

إذا تحدثنا عن الشّرك والبراءة من الشّرك، فالحديث يعمّ الرجال والنساء، إذا قلنا: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧]. فهذا للرجال والنساء.

كلّ هذه الصفات يشترك فيها الرجال والنساء، إلّا ما كان من خصوصيّات الرجال ومن خصوصيّات النساء، فليُفهم هذا جيّداً.

أمّا حديث البرّ والعقوق، فهو حديث يحتاج إلى خطبة مستقلة أو أكثر من خطبة، ولكنّي أحب أن أقول شيئاً سريعاً:

بِرُّ الوالدين في نظر الإسلام:

إِنَّ بَرَّ الوالدين في نظر الإسلام يأتي بعد توحيد الله تعالى؛ فالقرآن يقول: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وجعل عقوق الوالدين من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله تعالى، وليس من الكبائر فقط بل من أكبر الكبائر^(١)، والعاق لوالديه لا يشم رائحة الجنة. العقوق من أكبر المحرمات في الإسلام، وبخاصة عقوق «الأمهات»: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عَقُوقَ الْأُمّهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ»^(٢).

حقُّ الأمِّ في البرِّ أكبر من حقِّ الأب:

خصَّ «الأمهات» بالذكر، مع أنَّ عقوق الآباء أيضاً محرَّم، ولكنَّ الأبناء قد يجترئون على الأمهات ما لا يجترئون على الآباء، ولأنَّ حقَّ «الأمِّ» في البرِّ أكبر من حقِّ الأب، ولهذا لما سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: من أحقُّ النَّاسِ بحسن صحابتي؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ»^(٣).

(١) كما في حديث أبي بكرة: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟». ثلاثاً. قلنا: بلى، يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين». وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور، وشهادة الزور». فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٦)، ومسلم في الإيمان (٨٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٨)، ومسلم في الأقضية (٥٩٣)، عن المغيرة بن شعبة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٨)، عن أبي هريرة.

وقال في حديث آخر: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يوصيكم بأمهاتكم، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يوصيكم بأمهاتكم، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يوصيكم بأمهاتكم، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يوصيكم بآبائكم، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يوصيكم بالآقرب فالأقرب»^(١).

فحقُّ الأمِّ حقٌّ عظيم، ومن هنا لَمَّا ذكر القرآن الإحسان بالوالدين ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ، وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

فالأمُّ هي التي تعبت، الأمُّ هي التي سهرت، الأمُّ هي التي عانت من الحمل والطلق والوضع.

وقد شهد ابن عمر رجلاً يمانياً يطوف بالبيت - حمل أمه وراء ظهره - يقول:

إِنِّي لَهَا بَعِيرُهَا الْمُدَّلُّ إِنِ أَدْعَرْتُ رِكَابُهَا لَمْ أَدْعَرْ

ثم قال: يا ابنَ عمر أتراني جزيتها؟ قال: «لا، ولا بزفرةٍ واحدة»^(٢).
زفرة من زفرات الطلق وألم الوضع!

وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إِنَّ أُمِّي بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ وَالْوَهْنِ أَنَّهَا صَارَتْ لَا تَقْضِي حَاجَتَهَا إِلَّا وَظَهْرِي لَهَا مَطِيَّةً، هَلْ أَدَيْتَ حَقَّهَا؟

(١) رواه أحمد (١٧١٨٧)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وابن ماجه في الأدب (٣٦٦١)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٠)، وصحّحه الألباني في الصحيحه (١٦٦٦)، عن المقدم بن معدي كرب.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١)، والمروزي في البر والصلة (٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٥٠).

قال: لا؛ إنها كانت تفعل بك ذلك وأنت صغير، وتتمنى لك عمراً طويلاً، أمّا أنت فتفعل بها ذلك اليوم وأنت تنتظر موتها غداً أو بعد غد^(١).
 روى معاوية بن جاهمة أن أباه جاهمة جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أردت أن أغزو، وقد جئت أستشيرك. فقال: «هل لك من أمّ؟». قال: نعم. قال: «فالزمها؛ فإنّ الجنة عند رجلها»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: إنني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه، قال: «هل بقي من والديك أحد؟». قال: أمي. قال: «فأبّل الله في برّها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاجٌّ ومعتمر ومجاهد»^(٣). الأمّ هي التي توصلك إلى الجنة إن رضيت، أو توصلك إلى النار إن سخطت.

عقوق الوالدين يسبب البلاء:

وجاء في حديث الترمذي بسندٍ ضعيف، عن علي رضي الله عنه: «إذا فعلت أمّي خمسَ عشرةَ خصلةً حلّ بها البلاء». من هذه الخمسة عشر: «وأطاع الرجل زوجته، وعقّ أمّه، وبرّ صديقه، وجفا أباه»^(٤).

(١) البر والصلة لابن الجوزي ص ٤٠، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) رواه أحمد (١٥٥٣٨)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والنسائي (٣١٠٤)، وابن ماجه (٢٧٨١)، والحاكم (١٠٤/٢)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الجهاد، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٨٥).

(٣) رواه أبو يعلى (٢٧٦٠)، والطبراني في الصغير (٢١٨)، والأوسط (٢٩١٥)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٤٧): رواه أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط وإسنادهما جيد، ميمون بن نجيح وثقه ابن حبان، وبقيّة رواته ثقات مشهورون. وبنحوه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٣٩٩).

(٤) رواه الترمذي في الفتن (٢٢١٠)، وقال: حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٤٦٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٤٠٧)، عن علي بن أبي طالب.

انظروا: «وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمَّه»: الأمُّ التي تعبت فيه وعانت من أجله، ولعلَّها ترمَّلت أو تأيَّمت عليه، وحرمت نفسها حياة طويلة، ومع هذا يأتي هذا الإنسان ليؤثِّر عليها زوجته.

ليس معنى هذا أن يسيء الإنسان معاملة زوجته، لا، ولكن لا يجوز أن يسمع وساوس زوجته - وبعض الزوجات موسوسات لا يحبين الأمَّهات - ويطيعها ويعقَّ أمَّه.

«وبرَّ صديقه وجفا أباه»: تراه حلو المعاشرة، حسن الخلق، لين الطباع مع أصدقائه، غليظًا جلفًا جافيًا مع أبيه.

بهذا ينزل البلاء بالأمَّة، فاتَّقوا الله - أيُّها النَّاس - في آبائكم وأمَّهاتكم.

إيَّاك أن تجعل بينك وبين الجَنَّة حجابًا؛ إذا أسخطت أمَّك أو أباك.

أرض والديك مهما كان، حتَّى لو كانا مشركين: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥].

أيُّ دينٍ يحثُّ على البرِّ إلى هذا الحد؟!!

واحذر أن يُسلِّط الله عليك أبناءك، فبرِّ الوالدين سلف: «برُّوا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم»^(١).

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٠٠٢)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٧٥٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٤٠٣): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح؛ غير شيخ الطبراني أحمد غير منسوب، والظاهر أنَّه من المكثرين من شيوخه، فلذلك لم ينسبه. عن ابن عمر.

نسأل الله تعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً.
 اللهم اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي.
 اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا،
 ووفقنا لما تحب وتَرْضَى.
 اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التقى،
 ونفوسهم على المحبة فيك، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.
 اللهم أَلِفْ بين قلوب المسلمين، وأصلح ذات بينهم، ووفقهم إلى
 حقن دمائهم، وجنّدهم جميعاً للجهاد في سبيل دينك، وابتغاء مرضاتك.
 ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].
 ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
 الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].
 وصلّ اللهم على نبيك وعبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه
 أجمعين.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
 وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].
 وأقم الصلاة.

* * *



صفات عباد الرحمن اجتناب الزنى

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا نَعِيشُ فِي رَحَابِ الْقُرْآنِ، وَمَعَ عِبَادِ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

تَحَدَّثْنَا عَنْ «عِبَادِ الرَّحْمَنِ» وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَوْصَافِهِمْ، فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ، مَعَ أَنْفُسِهِمْ وَمَعَ رَبِّهِمْ وَمَعَ النَّاسِ.

تَحَدَّثْنَا عَنْ صِفَاتِهِمْ إِذَا مَشَوْا عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا.

تَحَدَّثْنَا عَنْ مَعَامِلَتِهِمْ مَعَ مَنْ جَهِلَ عَلَيْهِمْ.

تَحَدَّثْنَا عَنْ أَخْلَاقِهِمْ فِي مَالِهِمْ إِذَا أَنْفَقُوا.

ثُمَّ تَحَدَّثْنَا عَنْهُمْ فِي صِفَاتِهِمْ الْأُخْرَى، حِينَمَا حَرَّرُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ كُلِّ مَا يُسَخِّطُ اللَّهَ تَعَالَى، حِينَمَا سَارُوا عَلَى مَنَهِجِ مُسْتَقِيمٍ يَخَالِفُونَ بِهِ مَنَاهِجَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، فَلَيْسُوا بِمَنْ يَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا مَمَّنْ يَسْتَهِينُ بِحَيَاةِ الْبَشَرِ.

واليوم نتحدث عن صفة أخرى داخلية في المنهيات، وهي اجتناب الزنى، فعباد الرحمن: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

حافظ الإسلام على الدين والعقيدة، فحرّم الشّرك أكبره وأصغره، جليّه وخفيّه، وحافظ الإسلام على النّفس، فحرّم القتل، وكلّ ما يؤذي النّفس.

وحافظ الإسلام على العِرض وعلى النّسب، فحرّم الزنى، وكان من صفات عباد الرحمن: أنّهم لا يزنون، ولا يتورّطون في هذه الكبيرة الّتي نهى الله تعالى عنها. حينما قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾، أي: لا تزنوا، ولا تفعلوا ما يؤدي إلى الزنى، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

ومن هنا نهى الإسلام عن الزنى، ونهى عن كلّ ذريعة تُوصّل إليه أو تقرب منه، فحرّم الخلوة بالمرأة الأجنبية، وحرّم النّظرة بشهوة، وحرّم التبرّج بالزينة، وحرّم من الوسائل كلّ ما يغري النّاس بالفاحشة، ما ظهر منها وما بطن، وعمل على تطهير البيئة الإسلاميّة من أسباب الإغراء والفساد؛ حتّى يحصّن الفتى المسلم والفتاة المسلمة، فليس من الإسلام أن تُترك البيئة تغري بالإثم وتغري بالفاحشة، وتضع الشابّ - أو الشابة - في اللهب، ثمّ تقول له: لا تحترق.

جاء الإسلام ينهي عن كل ما يؤدي إلى الزنى، فبدأ بتربية الفرد على أن يعف نفسه، أن يحصن فرجه، أن يغض بصره، سواء كان رجلاً أو امرأة، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١] إلى آخر الآية الكريمة.

أمر الإسلام المسلم أن يستعف حتى يجد القدرة على الزواج الحلال: ﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣] ومن يستعف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله.

وأمر الإسلام أن تُطهر البيئة من كل ما يُغري بالفواحش، فلا يجوز أن تظهر في المجتمع المسلم صورة عارية أو شبه عارية، أو أغنية ماجنة، أو أدب مكشوف، أو قصّة داعرة، أو تمثيلية فاجرة، أو شيء من هذا الذي نراه في مجتمعاتنا اليوم.

لا يجوز أن يظهر في الشارع المسلم لحم رخيص يُعرض في الأسواق، ويُغري الشباب بالإثم، لا يجوز أن يكون هذا في مجتمع مسلم. حرّم الإسلام الزنى واعتبره من كبائر الإثم، حرّمه لماذا؟

الحلال والحرام لمصلحة الناس:

حرّمه الله تعالى لمصلحة الناس، ليس لله حاجة في أن يحلل أو يحرم، إنّ الله لا تنفعه طاعتنا، ولا تضره معصيتنا، وإنّما يحلل الطيب ويحرّم الخبيث، يبيح النافع ويحرّم الضار، يحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث، فإذا حرّم الزنى، فإنّما هو لحماية الإنسان، لتزكية الإنسان، للسموّ بالإنسان.

إنَّه يريد أن يحمي إيمان المؤمن، فلا يكون عبدًا إلا لله تعالى، لا عبدًا للغريزة، ولا عبدًا للشهوة، ولا عبدًا لامرأة، ولا عبدًا لشيء، إلا أن يكون عبدًا لله تعالى.

حرَّم الإسلام الزنى ليبقى المؤمن خالصًا لله، لا لشيء آخر، ومن هنا جاء في الحديث عن النبي ﷺ في «الصحيحين»: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(١)؛ لأنَّه في حالة الزنى يُنزع منه الإيمان؛ فالإيمان سربالٌ يسربله الله من يشاء^(٢)، فحينما يزني ينخلع عنه هذا السربال، ويكون عليه كالظُّلَّة - كما جاء في الحديث^(٣) - فإذا أقلع وتاب رجع إليه سربال الإيمان.

إنَّه يريد أن يحمي المؤمن، ويريد أن يحمي أخلاقه، لا يريد أن يكون المؤمن كالحيوان يفعل ما يشتهي، بل يفعل ما ينبغي، إنَّما سُمِّي «العقل» عقلاً؛ لأنَّه يعقل الإنسان وبقِيَّده - كالعقال أو القيد - فيجعله يُفكِّر قبل أن يقدِّم على الأمر.

أمَّا الذين يفعلون ما يحلو لأنفسهم، وما تزيَّنه لهم شهواتهم، وما توسوس لهم به شياطينهم، دون أيِّ رادع أو زاجر، فقد انخلعوا من الإنسانية إلى الحيوانية.

الحيوان الهابط هو الذي يفعل ما يشتهي، أمَّا الإنسان العاقل فهو الذي يفعل ما ينبغي، ومن هنا يريد الإسلام للمسلم أن يرتقي بإنسانيَّته، فلا يكون كالحيوان الذي تُسيِّره الغريزة.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

(٢) أي: قميص يلبسه الله من يشاء.

(٣) رواه أبو داود في السُّنَّة (٤٦٩٠)، والحاكم في الإيمان (٢٢/١)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن حجر في الفتح (٦١/١٢). عن أبي هريرة.



لقد انتهت الغريزة بأقوام من النَّاس إلى أن أصبحوا يتسافدون في الطرقات، كما تتسافد الحمير والبهائم، لا يتورَّعون عن شيء، ولا يخجلون من شيء.

وأصبحت هذه المناظر تُباح في صحف ومجلات، وتُعرض في أفلام ومسلسلات في بلاد شتَّى.

وهناك من النَّاس للأسف من يُدخل هذه الأفلام وهذه المجلات - اختلاسًا وسرقة - إلى مجتمعات المسلمين.

أصبحت التجارة بالجنس تجارة رابحة في كثير من البلدان، تباع بالملايين وعشرات الملايين، وأكثر ما تصدر تصدر إلى ما يسمونه «البلاد النامية»؛ لإفسادها وتدميرها، وإفساد شبابها ورجالها وبناتها.

هناك أفلام وصور ومجلات محرَّمة في ديارها وعلى أهلها، ولكنها تصدر من أوربا وغيرها إلى بلاد شتَّى، وأثبتت الإحصاءات أنهم يكسبون من ورائها عشرات الملايين، ومئات الملايين.

الإسلام يريد أن يحمي إيمان المسلم، ويحمي أخلاقه، ويريد أن يحمي صحَّته أيضًا؛ فإنَّ هذه الغريزة إذا أُطلق لها العنان، أصبح الإنسان لا يتورَّع عن شيء، إنَّه يغدو ويروح حيث شاء، يتنقل كما يحلو له، فكلُّ يوم مع امرأة أو مع فتاة، والفتاة كلُّ يوم مع شاب أو مع رجل.

وهكذا توجد الأمراض التناسلية، وتعرض الصحة للخطر، وتنتقل العدوى كما تنتقل النَّار في الهشيم.

وقد ظنَّ هؤلاء النَّاس يومًا أنَّهم استطاعوا أن يقاوموا الأمراض الجنسية كالزهري، والسيلان، وغيرهما من الأمراض القديمة، فجاءت

لهم أمراض حديثة ما كان لهم بها من علم، وما توقّعوا أن يحدث مثلها، فوقفوا أمامها حيارى عاجزين.

مرض «الهريس»: مرض انتشر في أوروبا وأمريكا، حتّى أعلنت بعض المجلات المتخصصة التي تُعنى بمثل هذه الأمور: أن خمسة وعشرين مليوناً في أمريكا وأوروبا مصابون بهذا المرض، الذي يُفقد الجسم المناعة، فلا يعود يقاوم مرضاً، فقد وضع الله في الأجسام من التحصينات ما يمنعها من غزو الأمراض الخبيثة والمعدية، وضع الله «عساكر» في داخل الجسم البشري تحمي الإنسان من الغزو الخارجي.

هذا المرض يُفقد الجسم هذه المناعة وهذه الحصانة، فلا يقدر على مقاومة مرض من الأمراض، وإذا أصيب بأي شيء سقط.

هذا المرض يجعل الإنسان يفكر في الانتحار، ويرغب في التخلص من البقاء، أو يتمنى أن ينتقل مرضه إلى أكبر عدد من الناس نتيجة الحقد والقلق والهلع

هذا المرض له مظاهر وأعراض شتى، يشعر صاحبه بحالة مثل حالات البرص.

وهناك - كما ذكر العلماء - ثمانية وعشرون نوعاً من أنواع الأمراض الجنسية والتناسلية، آخرها وأخطرها المرض الذي يسمونه «الإيدز»، وهو يصيب الزناة والزانيات، كما يصيب الذين يُصابون بالشذوذ الجنسي من الرجال أو النساء.

الأمراض الخطيرة سلّطها الله على النَّاس جزاء خروجهم عن الفطرة:

هذه الأمراض الخطيرة سلّطها الله على النَّاس، جزاء خروجهم عن الفطرة التي فطر النَّاس عليها، وجاءت بها الثُّبوتات والرسالات جميعاً،

هذه الفطرة: أن يختصَّ الرجل بامرأة عن طريق الزواج؛ ليكونا الأسرة التي هي نواة المجتمع.

عاقبهم الله بهذه الأمراض، وهذا ما حذر منه النبي ﷺ حينما قال في حديث ابن عمر: «يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهنَّ». وكانت أولى هذه الخصال: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»^(١).

انظروا: كان النبي ﷺ ينظر من وراء الغيب إلى هذا العصر الذي نعيش فيه، ويخبر بما وقع.

«لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها»: الفاحشة موجودة من قديم الدهر، وليس الخطر في وجودها، إنما الخطر في انتشارها، إنما الخطر في ظهورها علانية، ولا يُنكر المنكر، كما نرى ذلك في البلاد الغربية، وكما نرى بعض شرره يتطاير إلى بعض البلاد الإسلامية، والناس سكوت غافلون.

«إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»: والعجيب أن الغربيين يُسمُّون «الإيدز» الطاعون الأبيض، فهو من الأوجاع الحديثة، لم تكن الأجيال السابقة تعرف هذه الأمراض، ورغم تقدُّم الطبِّ وتقدُّم العلم وتقدُّم التكنولوجيا، لم يستطيعوا أن يجدوا لهذه الأمراض دواء.

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٤٠/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٦)، عن ابن عمر.

وستظهر أمراض وأمراض ما دام النَّاسُ يَحِيدُونَ عَنْ مَنْهَجِ اللَّهِ الَّذِي رَسَمَهُ لِعِبَادِهِ، وفيه الخير كُلُّ الخير.

الإسلام حينما حرَّم الزنى، حرَّمه لمصلحة الإنسان الفرد، وحرَّمه لمصلحة الأسرة، لتتكون الأسرة، لتوجد هذه الخلية، ليوجد هذا الأساس لبناء المجتمع، لينسد الطريق أمام الإنسان فلا يجد تفرُّغاً لشهوته إلا في الطريق الحلال.

لم يكن الإسلام ضدَّ الغريزة الجنسية، ليست نظرة الإسلام كنظرة بعض الأديان الأخرى التي تعتبر الغريزة الجنسية في ذاتها نجساً، أو رجساً من عمل الشيطان.

الغريزة ركبها الله في الإنسان لحكمة؛ لتكون سوطاً يسوق النوع البشري إلى طلب النسل، إلى الزواج، لتعمر الأرض، ويستمر بقاء هذا النوع إلى ما شاء الله تعالى.

لكلَّ غريزة جُبِلَ عليها الإنسان حكمة:

لكلَّ غريزة من الغرائز التي جُبِلَ عليها الإنسان حكمة، وهذه الغريزة النوعية أو الجنسية - هي التي من ورائها بقاء النوع والجنس - لم يقف الإسلام ضدها على طول الخط، لا، ولم يرَ إطلاق العنان لها على طول الخط، كما ترى المذاهب الإباحية وفلسفات هذا العصر المادية والحسية.

وإنَّما يرى الإسلام أنَّ توضع هذه الغريزة، حيث أراد الله تعالى وحيث أمر الله، وأنَّ يبحث الإنسان عن طريق الحلال بالزواج، لتنشأ الأسرة المسلمة التي تتكون في ظلالها عواطف المحبة والأخوة والإيثار والتعاون، ومنها ينشأ المجتمع الصالح.

ومن هنا حرّم الإسلام الزنى وأباح الزواج، حرّم السّفاح وشرع النّكاح، حتّى إنّ بعض علماء المسلمين يعتبرون الزواج فريضة على القادر: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنّه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج»^(١)، وهذا أمرٌ من رسول الله ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢].

الحكمة من تحريم الإسلام للزّنى:

حمى الإسلام الأسرة، وحمى الأنساب أن تختلط؛ فإنّه إذا أبيع الزّنى لا يعرف المرء: أحملت زوجته منه أم حملت من غيره؟ أهذا الذي يربّيه ابنه أم ابن رجل آخر؟ وبذلك يقع الشكُّ، وتُفقد الثقة من الناس، ولهذا قال النبي ﷺ: «لا تزال أمتي بخيرٍ ما لم يَفْشُ فيهم ولدُ الزّنى، فإذا فشا فيهم ولدُ الزّنى فأوشك أن يُعَمَّهُم الله بعذاب»^(٢).

إذا فشا أبناء الحرام هنالك تختلط الأنساب، وفي هذا دلالة على أنّ الأمّة قد تفككت عراها، وتمزقت روابطها، وانتشرت الخيانة الزوجيّة.

الإسلام حرّم الزنى حماية للفرد، وحماية للأسرة، وحماية للمجتمع كلّهُ؛ حتّى يكون مجتمع طهارة ونقاء، لا تشغله الشهوات عن الواجبات، ولا يركض وراء الغرائز، وإنّما يتبع نداء العقول، إنّهُ مجتمع إنساني

(١) متّفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٥)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النّكاح، عن ابن مسعود.
(٢) رواه أحمد (٢٦٨٣٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو يعلى (٧٠٩١)، والطبراني (٢٣/٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٥١) بعد أن عزاه إلى الثلاثة: وفيه محمّد بن عبد الرحمن بن لبيبة، وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين. ومحمد بن إسحاق قد صرّح بالسماع، فالحديث صحيح أو حسن. عن ميمونة.

وليس بمجتمع حيواني، كتلك المجتمعات التي يظنون أنّها راقية، وهي اليوم تشكو ممّا أصابها، الجمعيات الطّبيّة تصرخ وتنادي: أنقذوا المجتمع، أنقذوا الصّحة، أنقذوا الأخلاق من الانهيار، بعد أن أبيحت الشهوات، وعبّ النَّاس منها ما شاؤوا.

كان بعض النَّاس في بعض الأوقات يقولون: ما هذا التعقيد؟ ما هذه القيود؟ اتركوا للنَّاس الحرية، افتحوا النوافذ، دعوا الرجل يستمتع بالمرأة، ودعوا المرأة تستمتع بالرجل، حلّوا العُقد، ما هذا الكبت؟ وما هذه القيود والعراقيل؟ إنَّكم لو فعلتم ذلك انحلت العُقدة، ولم يعد هناك كبت ولم تعد هناك شكوى!

فهل هذا صحيح؟

إنَّهم فعلوا ذلك، إنَّهم تركوا الحبل على غاربه للفتى والفتاة، تختار رفيقها ويختار رفيقته، لم يعودوا يحرمون شيئاً، فهل حلّوا العُقدة؟ هل عولجت المشكلة؟ أم ازدادت تعقيداً؟

أجل، ازدادت والله تعقيداً.

لم تُحل المشكلة، كم من فتى عندهم يبحث عن فتاة فلا يجد؛ لأنَّ الفتاة تبحث عن الأجل أو الأقوى أو الأغنى أو الأهم، ولكن الأضعف قوة، أو الأدنى منزلة، أو الأفقر مالاً، أو الأقل وسامة، لا يجد من ترضى به، فماذا يصنع؟

إنَّه يعيش في كبتٍ وقلقٍ وحيرةٍ وأسى، قد يُؤدّي به إلى الانتحار.

والفتاة غير الجميلة وغير الشابة لا تجد من يرضى بها، فماذا تفعل؟

والفتاة الجميلة الوسيمة يتهافت عليها الشباب، ويقاتل بعضهم، حتى إنهم ليخطفونها وقد يقتلونهم إذا لم يظفر أحدهم بها! لم يحل القوم المشكلة، إنهم كلما ازدادوا شرباً ازدادوا عطشاً، إنها مصيبة لا تحل إلا بالحل الإلهي، إلا بالزواج، إلا بالأسرة، هذا هو حل الإسلام: النكاح لا السفاح.

البلاد التي فيها حرية الحب، أو الحرية الجنسية - كالسويد والنرويج وغيرها - هي أكبر البلاد نسبة في الانتحار، ومعظم أسباب الانتحار من هذه النواحي.

بلاد بلغت القمة في الناحية المادية والضمانات الاجتماعية، للطفل هناك منذ أن يُولد إلى أن يموت ضمانات: للأمومة، والولادة، والشيخوخة، والمرض، والحوادث، وغير ذلك، فلماذا ينتحرون؟! إنهم فقدوا الإيمان، وفقدوا الأخلاق، فلم يركنوا إلى ركن ركين، ولا إلى حصن حصين، فلأدنى شيء يتهاوون وينتحرون.

الإسلام حفظ المجتمع من هذا، جاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله»^(١).

«الزنى»: إشارة إلى فساد الحياة الخلقية.

و«الربا»: إشارة إلى فساد الحياة الاقتصادية.

من هنا ينبغي أن يتبع الناس منهج الله في حياتهم الخلقية، وحياتهم الاجتماعية، وحياتهم الاقتصادية، وحياتهم السياسية، فليس هناك أعدل من منهج الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

(١) رواه الطبراني (١٧٨/١)، والحاكم في البيوع (٣٧/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر في الفتح (١٩٣/١٠): في سنده مقال. عن ابن عباس.

لا يجوز لنا - نحن المسلمين - أن ندع ديننا، ونسير وراء الغربيين، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، فإذا خرجت «موضة» من «الموضات» اتبعناها بلا عقل، كما قال النبي ﷺ: «حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم»^(١). على ما في جحر الضب من السوء وكراهية الرائحة والضيقة والظلمة والالتواء، لو دخلوا جحر ضب لصار جحر الضب «موضة» يتبعها الناس. يا أيها الإنسان المسلم، احفظ فرجك، وغض بصرك، ولا تتبع خطوات الشياطين من الإنس أو الجن.

خصال ضمن النبي ﷺ لصاحبها بالجنة:

إن النبي ﷺ يقول: «من يضمن لي ما بين لحييه»، اللسان، والفم، فلا يتكلم بحرام، ولا يأكل حرامًا، «وبين رجله»، الفرج «أضمن له الجنة»^(٢).

ويقول: «اضمنوا لي ستًا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا الأمانة إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم»^(٣). وهذا للمسلمين عامة، الرجال والنساء؛ فالمرأة كالرجل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٥٦)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٤)، عن سهل بن سعد.

(٣) رواه أحمد (٢٢٧٥٧)، وقال مخرجه: حسن لغيره. وابن حبان في الإسرائ (٢٧١)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. والحاكم في الحدود (٣٥٨/٤) وصححه إسناده، وقال الذهبي: فيه إرسال (أي الانقطاع بين المطلب وعبادة)، وقال في اختصاره للبيهقي (١٠١٨٦): إسناده صالح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٧٠٩): رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات إلا أن المطلب لم يسمع من عبادة. وحسنه الألباني في الصحيحة (١٤٧٠). عن عبادة بن الصامت.

الزنى حرام على الرجال وعلى النساء جميعاً، يقول ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»^(١).

جاء الإسلام ليظهر المجتمع من الفاحشة ما ظهر منها وما بطن.

كانت الجاهلية تبيح الزنى، ولا تضع معوقات في طريقه:

الزنى العلني: كانت هناك بغايا ينصبن الرايات على أبوابهن.

والزنى السري: اتّخاذ الأخدان.

فحرّم الإسلام هذا وذاك، وربّى الإنسان المسلم على أن يبحث عن الحلال، فإن عجز عنه أعف نفسه، ونظر إلى ظلّ العرش، حيث هناك سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه؛ منهم: «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله»^(٢).

ومثله: المرأة التي يغريها رجل ذو منصب ووسامة، فتقول: إني أخاف الله تعالى.

الإسلام حرّم الشذوذ كما حرّم الزنى:

حرّم الإسلام الزنى، وحرّم الإسلام كذلك الشذوذ (عمل قوم لوط)، حرّمه القرآن، وحرّمه النبي ﷺ.

(١) رواه أحمد (١٦٦١)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والطبراني في الأوسط (٨٨٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦٣٤): فيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقيّة رجاله رجال الصحيح. عن عبد الرحمن بن عوف.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، كلاهما في الزكاة، عن أبي هريرة.

حَدَّثَنَا الْقُرْآنُ عَنْ قَوْمٍ لَوْ ط الَّذِينَ ارْتَكَبُوا هَذِهِ الْفَاحِشَةَ، وَابْتَكُرُوهَا، مَا سَبَقَهُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥].

ولعن النبي ﷺ من فعله، كما جاء في الحديث: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من غيّر تُخُومَ الأرض، ولعن الله من كَمِه أَعْمَى عن السبيل، ولعن الله من سبّ والديه، ولعن الله من تولّى غير مواليه، ولعن الله من عمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوط، ولعن الله من عمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوط، ولعن الله من عمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوط، ولعن الله من عمِلَ عَمَلِ قَوْمِ لُوط»^(١)، في هذه كَرَّرَهَا ثَلَاثًا^(٢)؛ لعظم خطرها؛ حتّى لا ينقلب المجتمع على عقبه؛ فإنّ من أخطر الأشياء أن تتغيّر الفطرة، فيتخنّث الرجال، ويسترجل النّساء! «لعن الله المُتَشَبِّهَات من النّساء بالرجال، والمُتَشَبِّهِينَ من الرجال بالنّساء»^(٣).

ومن هنا حرّم الإسلام هذه الفاحشة، حتّى إنّ بعض الفقهاء قالوا: يُقتل الفاعل والمفعول به ولو لم يكن محصناً، عملاً بحديث ورد في ذلك^(٤)،

(١) رواه أحمد (٢٨١٦)، وقال مخرّجوه: إسناده جيد، رجاله رجال الصحيح. وابن حبان في الحدود (٤٤١٧)، والحاكم في الحدود (٣٥٦/٤) وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

وقوله: «تخوم الأرض»، أي: حدودها. و«كمه الأعمى»، أي: أضله.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في الرجم (٧٢٩٧).

(٣) رواه البخاري في اللباس (٥٨٨٥)، عن ابن عباس.

(٤) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به». رواه أحمد (٢٧٢٧)، وقال مخرّجوه: ضعيف. وأبو داود (٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٥٦١)، والحاكم (٣٥٥/٤)، وصححه إسناده، ووافقه الذهبي. والبيهقي (٢٣١/٨)، جميعهم في الحدود، عن ابن عباس. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٦٥٥): فيه عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة، عن ابن عباس، وعمرو هذا قد احتجّ به الشيخان وغيرهما، وقال ابن معين: ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس يعني هذا.

مع أَنَّ العقوبة في الزنى: أَنْ يُقْتَلَ - يُرْجَم - الْمُحْصَن فقط، ولكن غير المحصن يُجْلَد.

كما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَذَّرَنَا مِنْ أَمْرٍ آخَرَ وَقَالَ: «هِيَ اللَّوْطِيَّةُ الصُّغْرَى»، يعني الرجل يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي دُبْرِهَا^(١)، وَقَالَ: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا»^(٢).

وَقَالَ: «اسْتَحْيُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، لَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ»^(٣). فَهَذَا حَرَامٌ مَلْعُونٌ مِنْ فَعْلِهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُوْدِي إِلَى الطَّلَاقِ كَمَا يَزْعَمُ بَعْضُ النَّاسِ.

هَكَذَا حَرَّمَ الْإِسْلَامُ إِيْتَانِ الْفَوَاحِشِ بِكُلِّ طَرِيقَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ، وَفَتْحَ طَرِيقَ الْحَلَالِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦ - المعارف: ٢٩، ٣٠].

عندما يكون الزنى أشد حرمه:

الزنى حرام كله، ولكنَّه أشدُّ ما يكون حرمه إذا زنى الإنسان بحليلة جاره، كما في «الصحيحين»، عن ابن مسعود، سألت رسول الله ﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقَكَ». قُلْتُ لَهُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ! قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ».

(١) رواه أحمد (٦٧٠٦)، وقال مخرَّجوه: إسناده حسن. والبزار (١٤٥٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٩١): رجالهما رجال الصحيح. وصحح الشيخ شاکر إسناده الحديث في تخريجه للمسند، ولكنَّه اعترض على قول المنذري والهيثمي: رجاله رجال الصحيح، لأنَّ الحديث من رواية عمرو بن شعيب، ولم يرو له الشيخان أصلاً.

(٢) رواه أحمد (١٠٢٠٦)، وقال مخرَّجوه: حسن. وأبو داود في النكاح (٢١٦٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٨٩٦٠)، والبزار (٣٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٥٩٢): رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير والبزار ورجال أبي يعلى رجال الصحيح خلا عثمان بن اليمان وهو ثقة. عن عمر بن الخطاب.

قال: قلت: ثم أي؟ قال: «ثم أن تُزاني حليّة جارك». فأنزل الله تعالى تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] ^(١).

المفروض في الجار أن يكون حافظًا لحرمة جاره، حارسًا لأهله في غيبته، لا أن يكون لصًا يعتدي على أعراضهم.

كذلك زنى المُحصن غير زنى العزب، وزنى الشيخ غير زنى الشاب، ومن هنا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «ثلاثة لا يُكَلِّمهم الله يوم القيامة، ولا يُزَكِّيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زان، ومَلِكٌ كذاب، وعائلٌ مُستَكبر» ^(٢).

«شيخ زان»: الشيخ الذي شاب وشاخ ولكنه يزني، ليست حاجته كحاجة الشاب.

«وملك كذاب»: النَّاس قد يكذبون لضعفٍ عندهم، أو لحاجةٍ إلى غيرهم، فلماذا يكذب الملوك والأمراء والرؤساء؟ إلا إذا كانوا يدجلون على شعوبهم، وفي ذلك الخطر كلُّ الخطر.

«وعائل مستكبر»: هو الفقير المستكبر. الغني قد يغرّه ماله فيستكبر، أمّا الفقير المتكبر الذي تقول له الحقّ فيرده، والذي لا يبالي بأحد، ولا ينظر إلى النَّاس إلا باستعلاء واستخفاف، فهذا من أشدّ النَّاس عذابًا. نسأل الله تعالى أن يفقّهنا في ديننا، وأن يتوب علينا توبة نصوحًا، وأن يغنيننا بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عن سواه. ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٦)، ومسلم في الإيمان (٨٦).

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٠٧)، وأحمد (١٠٢٢٧)، عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الإسلام إذا حرّم شيئاً وضع البديل له:

حرّم الإسلام الزنى ولا شك، وحرّم كلّ ما يؤدّي إليه، ولكنّ الإسلام إذا حرّم شيئاً وضع البديل له، فليس هناك حرام إلّا وبمقابلته حلال يُغني عنه، ما حرّم الله على النَّاس شيئاً يحتاجون إليه قط، ففي الحلال دائماً ما يُغني عن الحرام^(١).

ومن هنا حين حرّم الإسلام الزنى، فقد شرع الإسلام الزواج؛ تحصيناً للنفس، وكسرًا للشهوة، وإغراء للشيطان، وتكوينًا للأسرة المسلمة، وتديرًا للمنزل، وتكثيرًا للعشيرة، وتحقيقًا لإرادة الله تعالى في بقاء هذا النوع: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢]، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرّوم: ٢١].

(١) بين ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه: روضة المحبين ص ٨، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، وإعلام الموقعين (٣/١١٣)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، حين ذكر أنّ الله حرّم على النَّاس الربا، وعوّضهم التجارة الربحية، وحرّم عليهم القمار، وأعاضهم عنه أكل المال بالمسابقة النافعة في الدين بالخيّل والإبل والسهام، وحرّم عليهم الحرير، وأعاضهم عنه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف، والكتان والقطن. وحرّم عليهم الزنى واللواط، وأعاضهم عنهما بالزواج الحلال، وحرّم عليهم شرب المسكرات، وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن، وحرّم عليهم الخبائث من المطاعم، وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات. وانظر كتابنا: الحلال والحرام ص ٣٦، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٣٥هـ - ٢٠١٤م.

أمر الله تعالى المجتمع المسلم أن يعمل على تزويج أبنائه وبناته أمراً صريحاً حينما قال: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

الأيّم: غير المتزوج، ذكراً كان أو أنثى، من لا زوجة له، ومن لا زوج لها. ﴿وَأَنْكِحُوا﴾: خطاب للمسلمين عامّة، وأولي الأمر والأولياء خاصّة، أن يزوّجوا هؤلاء ولا يدعوهم في حالة العزوبة يتعرّضون للشيطان وللشهوات.

لا يكن كلّ همّكم البحث عن المال: ماذا تدفع؟ وكم تأخذ؟ وماذا عندك من مال؟

إنّها ليست سلعة تُباع وتُشتري، إنّك حينما تزوّج ابنتك تريد لها إنساناً كريم الخلق، متين الدين، إنّ أحبّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

زوّج ابنتك ذا الدين، وابحث لها عن صاحب الدين والخلق: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(١).

إنّ على مجتمعنا أن يعي أمر الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

(١) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولاً ومرسلاً، ومعنى الإرسال هنا انقطاع ما بين ابن عجلان وأبي هريرة، وقد رجّح البخاري المنقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٢٢)، عن أبي هريرة.

كم من فقير اغتنى، وكم من مُعسر أيسر ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، ودوام الحال من المحال.

يَسِّرُوا الزَّوْجَ وَلَا تُعَسِّرُوهُ:

لا يجوز للآباء أن يجعلوا من بناتهم سلعا، لا يجوز للآباء أن يعطّلوا البنات. إن هذه الظاهرة الشاذة في مجتمعاتنا ليست ظاهرة إسلامية بحال. هؤلاء البنات اللاتي نراهنّ بالمئات والآلاف - وهنّ بنات عائلات - لا ينقصهنّ الجمال، ولا تنقصهنّ الثقافة، ولا ينقصهنّ الأدب، ولا تنقصهنّ الأخلاق، فلماذا لا يتزوجنّ؟ مَنْ وراء هذا؟ من المسؤول عن هذا؟!

طالما بُحِتْ أصواتنا، ونادينّا: يا قوم «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»^(١)، لا تعسّروا ما يسّر الله، لا تحجّروا ما وسّع الله، لا تضعوا عراقيل في طريق الحلال، فنحن إذا يسّرنا الحرام كما نرى، ووضعنا الأحجار في طريق الحلال، وسدّدنا أبوابه، فماذا تكون النتيجة؟ إمّا الحرمان والكبت، وإمّا الانحراف، وعلى كلّ المجتمع هو الخاسر، والأخلاق هي الخاسرة، والدين هو الخاسر. من في النَّاس من أصحاب الجاه، ممّن له كلمة يقول: سأزوج ابنتي بمائة ريال؟

في اليمن بعض القضاة من أصحاب الأسر الكبيرة كان يزوج قريباته وأقاربه، بريال واحد، ولقيت بعض هؤلاء وقال: أنا ممّن تزوج بريال. أراد هذا الرجل أن يكسر الحواجز، وأن يضع عُرفا جديدا، فلماذا لا يوجد بعض النَّاس عندنا يفعلون هذا، وتزوّج البنات، ويزوّج الشباب؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

كثير من الشباب يمكث إلى ما بعد الثلاثين، ولم هذا؟ إنه يبلغ في الخامسة عشرة، فلماذا يبقى خمسة عشر عامًا أو عشرين عامًا لا يتزوج؟ وماذا يفعل في هذه السنين؟

علينا أن نيسّر ولا نعسّر، علينا أن نضع من الأنظمة والتقاليد ما يتيح للشباب أن يحقق أمر الله تعالى ويتيح للجميع أن يكونوا الأسر المسلمة الصالحة، وأن نرى في كل يوم زواجًا وزواجًا وزواجًا، وأن نخرج من هذه الظاهرة الشاذة التي لا يقرّها الإسلام، ولا يقرّها العقل، ولا تقرّها المصلحة، ولا الأخلاق، ولا شيء أبدًا: عزوبة الرجال، وعنوسة النساء.

أسأل الله تعالى أن يفقّهننا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يجعل يومنا خيرًا من أمسنا، ويجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأن ينصرنا على عدوّه وعدّونا.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وصلّ اللهم على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آله وصحبه والتابعين.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وأقم الصلاة.



صفات عباد الرحمن التوبة النصوح

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا مع «عباد الرحمن»، لا زلنا في رحاب القرآن، لا زلنا مع تلك الصفوة المختارة من عباد الله، الَّذِينَ شَرَّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ، وَالْعِبُودِيَّةِ لَهُ: عِبَادُ الرَّحْمَنِ.

وصفهم الله بخير الأوصاف، في حالهم مع أنفسهم ومع النَّاسِ، في ليلهم ونهارهم، معه سبحانه ومع خلقه.

وصفهم بعمل الخيرات واجتناب السيئات، فإذا كان غيرهم يرتكب الموبقات: يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، أَوْ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ يَتَوَرَّطُونَ فِي الزِّنَى، فَإِنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْكِبَائِرِ يَلْقَ أَثَامًا: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

هذا هو الأثام والنكال الذي ينتظره، عذاب مضاعف يُكرر عليه ويغلظ، وعذاب الآخرة أشد وأنكى وأخزى من عذاب الدنيا، إنه ليس عذاب يوم ولا يومين، ولا شهر ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، إنه الخلود: ﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾.

وهو مع العذاب المادي هناك إهانة نفسية معنوية، إنه يخلد في هذا العذاب حقيرًا مُهانًا ذليلاً، لا وزن له ولا قيمة، مهما كان مركزه في الدنيا، ومهما كانت مكانته عند الناس، فإنه عند الله مُهانٌ ذليل: ﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾.

هذا شأن من يرتكبون تلك الموبقات، ويقتربون تلك المنكرات. ولكن هل سُدَّ الباب عليهم؟ هل قُطعت دونهم الأسباب، وغُلقت في وجوههم الأبواب، فلا رحمة ينتظرونها ولا عفواً يرتقبونه؟ لا، هنالك استثنى الله تعالى فقال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * [الفرقان: ٧٠، ٧١].

هكذا فتح الله باب التوبة على مصراعيه، وهذا من رحمة الله تعالى بعباده. عَرَفَ سبحانه ضعفهم، عَرَفَ تسلُّط الغرائز عليهم، عَرَفَ وسوسة الشيطان لهم، عَرَفَ أَنَّ الإنسان خُلِقَ ضعيفًا، فكثيرًا ما يُغري بالشور، وكثيرًا ما يتورط في الآثام، وكثيرًا ما تزلُّ أقدامه، فيطيع الشيطان، ويسير في ركابه، عَرَفَ الله ذلك من عباده ففتح لهم باب التوبة.

وهو سبحانه هو الذي خلقهم هكذا؛ لأنه سبحانه يريد أن يتوب على عباده، فاسمه «التواب»، وهو: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ * [البقرة: ٢٢٢]،

واسمه «الغفار» فمن شأنه أن يغفر، واسمه «العفو» فمن شأنه أن يعفو.

ولهذا لم يخلق الله هذا النوع من خلقه ملائكة مطهّرين، وإنما خلقهم بشرًا لهم دوافعهم وشهواتهم، وغضبهم وغرائزهم، حتّى يُذنبوا فيستغفروا، فيغفر الله تعالى لهم، وفي الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم»^(١).

إنّهُ «الغفار»، إنّهُ «العفو»، إنّهُ «الرحيم»، إنّهُ «التوّاب»، فلا يعظم عليه ذنب، مهما عظم ذنب؛ فإن مغفرة الله تعالى أعظم منه، ولهذا فُتح باب التوبة.

التوبة تجبُ الذنوب كلّها:

التوبة تجبُ الذنوب كلّها، تغسل الإنسان من ذنبه، وتذهب به كما يذهب الماء بالوسخ، من تاب من الشُّرك قبل الله توبته: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. فالإسلام يجبُ ما قبله، والتوبة تجبُ ما قبلها.

اختلف بعض الصحابة في توبة القاتل؛ لأنّ هناك حقوقًا ثلاثة: حقًا يتعلق بالمقتول، وحقًا يتعلق بورثة وأولياء دمه، وحقًا يتعلق بالله.

قالوا: إذا تاب القاتل، وعفا الله تعالى عنه وأسقط حقّه، وعفا الورثة عنه وأسقطوا حقوقهم بالصلح أو بالدية، فقد بقي حقُّ المقتول.

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٤٩)، وأحمد (٨٠٨٢)، عن أبي هريرة.

ولكن الصحيح أنه إذا تاب توبة نصوحًا، وعفا عنه أولياء الدم، فإن الله أهل لأن يرضي عنه المقتول يوم القيامة^(١).

فالتوبة تشمل كل الذنوب، وهنا بعد أن ذكر الله الشرك، والقتل، والزنى، قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ فهو يشمل الذنوب الثلاثة.

ولكن: أي توبة؟ ما التوبة المقبولة؟

إنها التوبة «النَّصُوح»، والنصح معناه: الخلوص من الغش، أي أنها ليست توبة زائفة، ليست توبة مدخولة مغشوشة، ليست كتوبة الكذابين الذين يتوبون بألسنتهم وقلوبهم مصرة على المعصية.

أركان التوبة:

لا؛ إنَّ للتوبة مقومات وأركانًا لا بدَّ أن تتوافر لها:

أَوَّل أركانها: النَّدَم، كما سئل ابن مسعود من أصحاب النبي ﷺ: أقال النبي ﷺ: «النَّدَم توبة؟». قال: نعم^(٢).

وهذا يعني أنه أعظم أركان التوبة، كما قال: «الحَجُّ عَرَفَة»^(٣)، أي: أعظم أركان الحج: عرفة.

النَّدَم: الأسى، الحزن، الحسرة التي تآكل القلب، يحترق الإنسان داخليًا إذا تذكَّر معصيته لله، لا يهنأ له بال، ولا يسعد له حال،

(١) انظر: مدارج السالكين (٤٠١/١، ٤٠٢).

(٢) رواه أحمد (٤٠١٢)، وقال مخرَّجوه: صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٢)، وابن حبان في الرقائق (٦١٤)، والحاكم في التوبة والإنابة (٢٤٣/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه أحمد (١٨٧٧٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في المناسك (١٩٤٩)، والترمذي في الحج (٨٨٩)، والنسائي في مناسك الحج (٣٠١٦)، وابن ماجه في المناسك (٣٠١٥)، عن عبد الرحمن بن يعمر.

ولا يطيب له نوم؛ لأنَّ ذنبه - كلّما تذكره - ينغص عليه نهاره، ويؤرّق عليه ليله.

إنَّه شعور بالتقصير أمام الله تعالى، يستجمع الإنسان في ذاكرته إساءته إلى الله، وإحسان الله تعالى إليه، يتذكّر نعم الله تعالى عليه، ويتذكّر معصيته لله تعالى، كما جاء في أحد الأحاديث القدسية: «إني والجنّ والإنس في نأٍ عظيم، أخلّق ويُعبّد غيري، وأرزق ويُشكّر غيري، خيري إلى العباد نازل، وشرُّهم إليّ صاعد، أتحبّب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، فيتبغضون إليّ بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ»^(١).

من يريد التوبة يستجمع هذا، يستحضر آلاء الله ونعمه عليه، ويستحضر ذنوبه ومعاصيه مع الله تعالى، فينشأ من ذلك حالة «النّدم»، حالة الأسى والأسف، التي يذوب بها القلب كما يذوب الملح في الماء.

وصف الله لنا نفسيّة التائبين في سورة «التوبة» حين قال: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّا لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

انظروا: ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ الدنيا على سعتها ضاقت عليهم، وأنفسهم ضاقت عليهم، ﴿وَزَنُّوا أَنَّا لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ هذا هو شعور التائب، هذا معنى «النّدم»، وهذا أوّل عناصر التوبة ومقوماتها، إنّ النادم هنا يغسل ذنوبه بدموعه.

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٩٧٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٢٤٣)، وضعّفه الألباني في الضعيفة (٢٣٧١)، عن أبي الدرداء.

الركن الثاني للتوبة: العزم المُصمَّم ألا يعود إلى الذنب: لا توبة إلا بهذا العزم، أمّا إذا كان يتوب وهو بينَ بَيْنٍ، وهو يحنُّ إلى المعصية، ولا يزال في قلبه تعلُّقُ بها، ولا زال عقله يفكر فيها، فهذه ليست توبة.

لا بدّ أن يكون ساعة التوبة قاطع العزم كحدّ السيف، مصرّاً على ألا يعود إليها، كما لا يعود اللبن إلى الضرع إذا خرج منه.

قد يضعف بعد ذلك، قد تخونه إرادته، قد يغلبه هواه، قد يصصره شيطانه ويهزمه؛ فالمعركة بين الخير والشرّ مستمرة، ولكنّ المهمّ ساعة التوبة يكون عازماً عزمًا أكيداً ألا يعود إلى الذنب.

الركن الثالث: أن يُقلع بالفعل عن ذنبه: التوبة رجوع عن المعصية إلى الطاعة، وعن السيئات إلى الحسنات، رجوع من طريق الشيطان إلى طريق الله، فلا بدّ أن يرجع، أن يغيّر طريقه، أن يغيّر مجراه، أن يغيّر صحبته، يستبدل مكاناً بمكان، وأناساً بأناس، وأصحاباً بأصحاب^(١) «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا»^(٢).

إذا استجمعت هذه التوبة شرائطها، فلا بدّ أن تُقبل حسب سنن الله ﷻ؛ لأنّه وعد بقبول التوبة: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾، أي: وفقهم للتوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

(١) كما أوصى العالم ذلك الرجل الذي جاءه يسأله عن التوبة، وقد قتل مائة نفس، فقال له: انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.

(٢) رواه أحمد (٢١٤٠٣)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧) وقال: حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٥٤/١) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

سُئِلَتْ رابعة العدوية: إذا تبتُ تاب الله عليّ؟

فقلت: يا أحمق، بل إذا تاب الله عليك تبت، أما قرأت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾، أي أنه إذا وفّقك للتوبة فهذا دليل على أنه قبلك، ما دام قد بعثك وحفزك على أن تتوب، فهذا دليل القبول من أوّل الأمر.

التوبة مطلوبة من كلّ مسلم، يقول القرآن: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ويقول أيضًا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، فالمؤمنون مخاطبون ومأمورون جميعًا بالتوبة إلى الله تعالى.

كلُّ إنسان مطالب أن يتوب، مَنْ مِنَ النَّاسِ يرى نفسه معصومًا من الذنوب؟

كلُّنا مقصّر في حقّ الله، كلُّنا مفرّط في حقوق العباد، ولذلك ينبغي أن نكون دائمًا توابين.

النبي ﷺ من حسن صلته بالله، ومع ذلك كان لا يغفل عن ربّه طرفه عين، وكانت تنام عيناه وقلبه لا ينام، وكان مع الله في غدواته وروحاته، وحركاته وسكناته كلّها، ومع هذا كان يقول: «يا أيُّها الناس، توبوا إلى الله واستغفروه؛ فإنّي أتوب إليه في اليوم مائة مرة»^(١).

التوبة مطلوبة من عباد الرحمن، وخصوصًا إذا ارتكبوا موبقةً من الموبقات، إذا ارتكبوا كبيرة من الكبائر، كهذه التي ذكرها القرآن^(٢)، أو أي كبيرة أخرى.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢)، وأحمد (١٧٨٤٧)، عن الأغر الجهنّي.

(٢) أي: في قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ (٦٨).

الصغائر أمرها هيِّن، تكفَّرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن الخطورة كلّ الخطورة في الكبائر، فهذه لا يكفِّرها إلا التوبة، والتوبة النصوح، فلا بدَّ منها ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ [الفرقان: ٧٠].

لماذا عقب التوبة بالإيمان؟

لأنَّ الكبائر تخدش الإيمان وتجرحه، بل تصيبه في الصميم، وقد ذكرنا الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»^(١).

الإيمان إذن يُصاب بهذه الكبائر والموبقات.

لهذا كان على التائب أن يعمل على ترميمه بعد الإصابة، وعلى تجديده بعد أن يخلَق بهذه المعاصي الكبيرة، ومن هنا كان معنى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾: جدد إيمانه بهذه التوبة النصوح.

ثم لا بدَّ بعد التوبة والإيمان من عمل صالح: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، أي: لا بدَّ أن يبيِّض صفحته بالطاعات بعد أن سَوَّدها بالمعاصي، لا بدَّ أن يعمل الصالحات ويكثر من الحسنات، ويحاول أن يعوّض ما فات، لا بدَّ من هذا، كما قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلِيَّ لَغَفَّارٍ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

إنَّه كان يعمل السيِّئات فعليه أن يعمل مقابلهَا حسنات، لقد غيَّر طريقه فلا يجوز أن يبقى فارغًا، والنفس لا تبقى فارغة، من لم يشغل

(١) سبق تخريجه ص ١٣٦.

نفسه بالحقّ شغلته نفسه بالباطل، من لم يشغل نفسه بالطاعة شغلته نفسه بالمعصية، المرء لا يبقى في فراغ، لا بدّ من عمل. فإذا كان قد ولى زمن السيئات فليستقبل زمن الصالحات، وليعمل عملاً صالحاً.

وأبواب العمل الصالح كثيرة ومفتوحة، مع الله ومع الناس، في الليل والنهار: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، لا يضيع عند الله شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

على التائب أن يملأ صحائفه حسنات ما استطاع، ويحاول - بقدر الإمكان - أن يجعل في مقابل السيئة حسنة من جنسها: إذا كان يغتاب المسلمين فليجعل من حسناته أن يدعو للمسلمين وأن يستغفر لهم.

إذا كان من سيئاته من قبل أنه يؤذي الناس بيده أو بلسانه، فليكن من حسناته الجديدة أن يقدم النفع للناس، أن يسدي الخير لهم، أن يصنع المعروف معهم، أن يميّط الأذى من طريقهم، أن يقدم لهم ما استطاع من خير. فإن عجز فليدل على خير: «والدالُّ على الخير كفاعله»^(١)، و«من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله»^(٢).

فإن عجز فلينبِ الخير، ربما كانت نية المرء خيراً من عمله.

(١) رواه أحمد (٢٣٠٢٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. عن بريدة.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٩٣)، وأحمد (١٧٠٨٤)، وأبو داود في الأدب (٥١٢٩)، عن أبي مسعود الأنصاري.

هذا هو المطلوب من التائب: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠].
 ما معنى هذه الكلمة القرآنية: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾؟

للمُفَسِّرِينَ فِيهَا وَجْهَانِ:

الوجه الأول: أَنَّ حياتهم قد تغيَّرت، وأعمالهم قد تبدَّلت، فهم قد تحولوا من حياة المعصية إلى حياة الطاعة، من الشرك إلى التوحيد، من الكفر إلى الإسلام، من الرياء إلى الإخلاص، من إيذاء النَّاس إلى نفع النَّاس، من إضاعة الصلوات واتباع الشهوات، إلى المحافظة على الصلوات وإلى اجتناب الشهوات، من كذا إلى كذا.

تبدَّلت سيئاتهم حسنات؛ لأنَّ حياتهم الجديدة قد قلبت الموازين، وغيَّرت الطريق، اتجه الريح اتجاهًا جديدًا، هذا تأويل.

والوجه الثاني: أَنَّ نفس السيِّئات تنقلب بالتوبة النَّصوح إلى حسنات؛ وذلك أَنَّ التائب الذي صدقت توبته، كلَّما تذكَّر ذنبه ندِمَ وبكى واستغفر، وطلب من الله العفو، فهو دائِمًا يتذكَّر ذنبه، ويعقبه بالاستغفار والرجعة إلى الله، وبهذا تنقلب الذنوب نفسها إلى حسنات، وتصبح السيِّئات في ميزانه حسنات، وفي هذا أيضًا وردت بعض الأحاديث الدالة على ذلك، ولا حرج على فضل الله تعالى.

من أقبل على الله تائبًا تلقَّاه من بعيد:

إِنَّ اللَّهَ لَا يَرِيدُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يُبْعِدُوا عَنْهُ، وَلَكِنْ يَرِيدُهُمْ أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنْهُ، ويقول لهم كما في الحديث القدسي: «وإنَّ تقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وإنَّ تقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تقَرَّبْتُ إِلَيْهِ باعًا، وإنَّ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»^(١).

(١) متَّفَقٌ عَلَيْهِ: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم في التوبة (٢٦٧٥)، عن أبي هريرة.

من أقبل عليه تائبًا تلقاه من بعيد، ومن أعرض عنه ناداه من قريب، كما أمر نبيه ﷺ أن يقول: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ما أرقها! ما أنداه! ما ألطفها من عبارة!

إنهم العصاة، إنهم الظالمون المسرفون على أنفسهم، لم يحرمهم شرف العبودية له، أبقي عبوديتهم له، وناداهم بهذا النداء المؤنس المحبب: يا عبادي، أنتم عبادي - وإن أخطأتم وعصيتم - الذين أسرفوا على أنفسهم، لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعًا، إنه هو الغفور الرحيم.

هذا نداء عام خالده إلى يوم القيامة، لكل العصاة والمسرفين على أنفسهم، كما جاء في الحديث أيضًا: «قال الله: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»^(١).

المهم أن تستغفر الله، وترجع إليه، وتنيب إليه، وتقف على بابه، ولن يردك؛ فباب الله ليس عليه حاجب يصد الناس عنه، ولا بواب، ولا ناطور، ولا أحد، الباب مفتوح، كلما قلت: يا رب. قال الله لك: لبيك عبدي وسعديك.

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٤٠)، وقال: حسن غريب، عن أنس. وقال ابن رجب في شرحه جامع العلوم والحكم (٤٠٠/٢): وإسناده لا بأس به. و«العنان»: هو السحاب، و«قراب الأرض»، أي: ما يقارب ملأها.

بادر بالتوبة ولا تسوّف:

المهمُّ أن تُسارع إلى التوبة، أن تُبادر ولا تُسوّف؛ فأكثر أهل النار: المسوّفون، الذين يقولون: سوف نتوب، سوف نتدارك، و«سوف» جند من جنود إبليس.

وما يُذريك أنّك ستعيش إلى غدٍ أو بعد غدٍ؟ ما يُذريك - وأنت في رِيْعَانِ شبابك - أنّك ستبقى إلى سنّ الكهولة؟ وما يُذريك وأنت في سنّ الكهولة أن تبقى إلى سنّ الشيخوخة؟ وما يُذريك أنّك إذا بقيت ستجد العزم على التوبة؟ ربّما كان الإصرار على المعصية يغلق قلبك بالقساوة، فلا تجد رغبة في التوبة؛ لأنّ الإنسان كلّما أذنب ذنبًا نُكتت في قلبه نقطة سوداء، فإذا تاب صُقل القلب منها، وأصبح أبيض صافيًا، فإذا لم يتب وفعل أخرى أصبحت نقطة سوداء بجانب نقطة سوداء، حتّى يسودّ القلب كلّهُ والعياذ بالله، فذلك الران الذي ذكره الله تعالى في كتابه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، وهنا يخشى أن يسودّ القلب ويُظلم، فلا يجد إرادة للتوبة، ولا يجد رغبة فيها.

هذا هو خطر التسويف.

ثمّ إنّ الموت يأتي بغتة، وخاصّة في عصرنا، ما أكثر الذين يموتون في الحوادث، وما أكثر الذين يموتون بالسّكّنة أو بالذّبحه، وما أكثر الذين يُصبحون فلا يُمسون، أو يُمسون فلا يصبحون: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء»^(١).

تزوّد من التقوى فإنّك لا تدري إذا جنّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر^(٢)؟

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٦)، والقائل ابن عمر.

(٢) انظر: ديوان علي بن أبي طالب ص ٧٨، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشر دار ابن زيدون.

التسوية هو الخطر، تب من قريب: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

صحيح إنَّ التوبة تُقبل في أي حال، إذا تبت مختارًا قبل أن تبلغ الروح الحلقوم: «إنَّ الله يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغْرِغْ»^(١)، ولكن من يضمن لك أن تتوب فيما بعد؟

حاول أن تبادر بالتوبة ولا تسوّف، ولا تؤخّر، ولا تستصغر ذنوبك؛ فإنَّ النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ»^(٢).

يا أيُّها المؤمنون، توبوا إلى الله جميعًا «كلُّ ابنِ آدمَ خطّاء، وخير الخطّائين التّوابون»^(٣).

آدم نفسه أخطأ، وأكل من الشجرة، ولكنّه محا هذه المخالفة بالتوبة، فغسل منها تمامًا، خلافًا لما يقوله دعاة النصرانية، الله تعالى يقول: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ﴿ثُمَّ أَحْبَبَهُ رَبُّهُ فَغَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

(١) رواه أحمد (٦١٦٠)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الدعوات (٣٥٣٧) وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٣)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٣٨١٨)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والطبراني في الكبير (٢١٢/١٠)، والأوسط (٢٥٢٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٤٥٩): رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجالهما رجال الصحيح؛ غير عمران بن داود القطان، وقد وثّق. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٤٧٠): صحيح لغيره، عن عبد الله بن مسعود.

(٣) رواه أحمد (١٣٠٤٩)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٩)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في المشكاة (٢٣٤١). عن أنس.

آدم أكل من الشجرة، ثم دعا هو وزوجه: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

وإذا كان الأب قد أذنب وأخطأ ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، كما قال القرآن، فلا غرو أن يخطئ أبناؤه، وأن يقعوا في المعصية، ولكن الذي أعطاه الله لآدم أعطاه لذريته: «التوبة».

يروى: «إن الله تعالى لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة، فقال: وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا حجبُ عنه التوبة ما دام الروح فيه»^(١).

نستطيع أن نغلب الشيطان بالتوبة إذا صدقت، إذا نصحت، فإذا تُبنا إلى الله، تقبل الله تعالى منّا.

بعض التائبين أفضل ممّن نشؤوا في الطاعة:

ربّما كان هناك بعض التائبين أفضل ممّن نشؤوا في الطاعة؛ لأنّهم كلّما تذكروا ذنوبهم بكوا على أنفسهم بكاءً مرّاً، فعاشوا بين الرجاء والخوف: ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، يرجو عفو الله ويخشى عقابه، فهو بهذه النفسيّة ربما كان أفضل من كثير ممّن نشؤوا في الطاعة.

إذا تاب الإنسان توبة نصوحاً محا الله عنه ما مضى، وغفر له ما قد سلف: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(٢).

(١) رواه أحمد (١١٣٦٧)، وقال مخرّجوه: حسن. والطبراني في الأوسط (٨٧٨٨)، والحاكم في

التوبة والإنيابة (٢٦١/٤) وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٥٠)، والطبراني (١٥٠/١٠)، البيهقي في الشهادات (١٥٤/١٠)،

وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٨)، عن ابن مسعود.

هذه حقيقة، وقد جاء في الحديث: «كان الكفل من بني إسرائيل، وكان لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة، فأعطاه سِتِّين دينارًا على أن يطأها، فلمَّا أرادها على نفسها ارتعدت، وبكت، فقال: ما يُبْكِيكِ؟ قالت: لأنَّ هذا عمل ما عملته، وما حملني عليه إلَّا الحاجة. فقال: تفعلين أنتِ هذا من مخافة الله! فأنا أخرى، اذهبي فلك ما أعطيتكِ، ووالله لا أعصيه بعدها أبدًا. فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكَفْلِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

الذي حدث أنَّه في لحظة صلح مع الله تاب إلى الله تعالى، فمحا الله عنه ما كان منه، أقبل على الله وندم وتاب فمات مغفورًا له.

هذا هو سرُّ التوبة، إنها إكسير الحياة، إنها «المحاة» التي تمحو كلَّ الذنوب إذا صَحَّتْ ونصحت وصدقت ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

اللهم تب علينا توبة نصوحًا، واغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي. استغفروا الله إنه الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أحمد (٤٧٤٧)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٦) وحسنه، وابن حبان في البر والإحسان (٣٨٧)، والحاكم في التوبة والإنابة (٢٥٤/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن عمر.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

إِنَّ اللَّهَ يَفْرَحُ بِعِبَادِهِ إِذَا تَابُوا:

إذا صدقت التوبة قبلت، ويفرح الله تعالى بها فرحاً عظيماً، حتّى جاء في الحديث الصحيح: «لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دَوِّيَّة مَهْلِكَة، معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه، فنام نومةً، فاستيقظ وقد ذهب راحلته، فطلبها، حتّى إذا اشتدّ عليه الحرّ والعطش أو ما شاء الله تعالى، قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتّى أموت. فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ، فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله أشدّ فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته»^(١).

انظروا: كيف يفرح الله بتوبة عبده؟!

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَنْ عِبَادَهُ أَنْ يَتُوبُوا، ويفرح بهم، ويرحب بهم، ويستقبلهم، فقد عادوا إليه بعد شروء.

شرط مهم للتوبة:

ولكن هناك شرط مهم للتوبة:

التوبة إذا كانت تتعلّق بالمعاصي التي بين الإنسان وربّه، فالأمر فيها هيّن، ويقبلها الله ولا شك، ولكن المشكلة تنشأ إذا كان بينك وبين العباد حقوق، وبخاصّة الحقوق المالية كالديون التي للناس عليك.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٤٤)، عن ابن مسعود.

و«الدَّوِّيَّة»: هي الفلاة القفر والمفاضة.

إذا كنت اغتصبت منهم مالا، أو سرقت، أو ارتشيت، أو غششتهم في تجارة، أو فعلت شيئا من ذلك، أو أكلت وديعة أو أمانة عندك، فعليك أن تردّها، بل قال العلماء: عليك أن تردّها وتردّ ربحها.

إذا كان عندك ألف جنيه أو ألف ريال، وبقيت عندك عشر سنين وربحت منها، فالمفروض أن تردّها وترد ربحها إلى أصحابها؛ لأنّها لو كانت عنده لنت.

جاء في الحديث الصحيح: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ»^(١).
الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُغْفَرُ ذُنُوبُهُ كُلُّهَا: صَغَائِرُهَا وَكِبَائِرُهَا، إِلَّا الدِّينَ، إِلَّا حَقُوقَ الْعِبَادِ.

فمن تاب توبة نصوحًا: عليه أن يردّ الحقوق إلى أهلها، فإن كانوا قد ماتوا يردّها إلى ورثتهم، فإن كان الورثة قد ماتوا، رد إلى ورثة الورثة.

عملة يوم القيامة الحسنات والسيئات:

لا بدّ من الرد أو الاستحلال، بمعنى أن يطلب من أصحاب الحقوق أن يحلّوه من تبعثها، كما جاء في الحديث الصحيح: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضٍ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ»، يعني يقول له: أحلّني، سامحني. «مَنْ قَبْلَ أَلَّا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدَرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»^(٢).

الْعُمْلَةُ الْوَحِيدَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، لَا دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارٌ، وَلَا رِيَالٌ وَلَا دُولَارٌ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا.

(١) رواه مسلم في الإمامة (١٨٨٦)، وأحمد (٧٠٥١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري المظالم والغصب (٢٤٤٩)، عن أبي هريرة.

فإنَّ إنساناً إمّا أن يردَّ الحقَّ إلى أهله، وإمّا أن يتحلل ويستسمح أصحاب الحقِّ، فإنَّ سمحوا؛ وإلا فعليه أن يردَّ إليهم ما استطاع إن عرفهم، وإن لم يعرفهم - كأن يكون ظلم أناساً كثيرين، أو ماتوا ولا ورثة لهم - يتصدق عنهم، والأولى أن يجعل صدقته جارية، يضعها في مسجد، أو في مشروع خيري؛ ليظل أجره لهم إلى يوم القيامة، هكذا ينبغي للمسلم أن يفعل.

فإن عجز فليُنو: كلّما قدر على شيء، ردَّ منه ما استطاع.

فإن مات وهو عاجز، فالله أهلُّ أن يُرضي عنه خصمائه يوم القيامة. الأمر شديد إذن، حقوق الله مبنية على المسامحة، وحقوق العباد مبنية على المشاحة، كلّ يقول: حقِّي حقِّي، نفسي نفسي. فلا بدَّ من رعاية هذا الشرط لمن أراد التوبة «النَّصوح». وأولى من هذا كلّهُ أن يبتعد الإنسان عن الحرام، ويجنب نفسه حقوق النَّاس ما استطاع.

ابتعد عن أكل أموال النَّاس بالباطل، ابتعد عن الحرام، بل عن الشُّبهات «فمن اتَّقَى الشُّبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه»^(١).

اللهمَّ إننا نسألك أن تغنينا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن الثُّعْمَان بن بشير.

اللهم تب علينا توبة نصوحًا، اللهم أعنا على شهوات أنفسنا، وأصلح فساد قلوبنا.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسينا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام حيثما كانوا، اللهم مكن للمسلمين في ديارهم، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين.

وصل اللهم على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه.
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].





صفات عباد الرحمن ترك شهادة الزور والإعراض عن اللغو

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا نَعِيشُ مَعًا فِي رَحَابِ الْقُرْآنِ، وَفِي صَحْبَةِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، الَّذِينَ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِمْ فِي كِتَابِهِ، وَشَرَّفَهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وَالْإِضَافَةِ إِلَى ذَاتِهِ الْمَقْدَّسَةِ: «عِبَادِ الرَّحْمَنِ».

ذَكَرَ اللَّهُ أَوْصَافَهُمْ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ، ذَكَرَ حَالَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَحَالَهُمْ مَعَ رَبِّهِمْ، وَحَالَهُمْ مَعَ النَّاسِ، حَالَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَحَالَهُمْ فِي أَخْلَاقِهِمْ.

ذَكَرَ أَحْوَالَهُمْ كُلَّهَا إِيْجَابًا وَسَلْبًا، فَهُمْ يَفْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ، وَيَجْتَنِبُونَ الْمَوْبَقَاتِ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، يَحَافِظُونَ عَلَى الْكَلِّياتِ الْخَمْسِ: الْأَدْيَانَ، وَالْأَنْفُسَ، وَالْعُقُولَ، وَالْأَعْرَاضَ «أَوِ الْأَنْسَابَ»، وَالْأَمْوَالَ.

وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالمَحَافِظَةِ عَلَى هَذَا كُلِّهِ.



فإذا زلّت أقدامهم يوماً، فارتكبوا منكراً من المنكرات، أو اقترفوا موبقة من الموبقات، سرعان ما يرجعون إلى الله، سرعان ما يقرعون باب التوبة، سرعان ما يقولون ما قال أبوهم آدم وأمهم حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ليس عجباً أن يخطئ ابن آدم إذا كان آدم نفسه قد أخطأ وأذنب، ولكن آدم محا خطيئته بالتوبة، غسل معصيته بالرجعة إلى الله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى * ثُمَّ أَجْبَاهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

ولذلك كان «عباد الرحمن» تَوَّابِينَ أَوْابِينَ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠، ٧١].

لا يحتاجون إلى كاهن يقفون بين يديه يعترفون له بذنوبهم، أو يقرّون له بما ارتكبه في علانيتهم وسرّهم، ما كلّفهم الله هذا، حسبهم أن يتوبوا بينهم وبين ربّهم، وقد فتح لهم باب التوبة على مصراعيه، ليس عليه حاجب، ولا بواب: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا﴾^(١).

ويدعو عباده آناء الليل وآناء النهار، وإن ظلموا وعصوا وأسرفوا على أنفسهم: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩)، عن أبي موسى.

هكذا وصف الله عباد الرحمن.

ثم وصفهم بوصف جديد، هو موضوع خطبتنا هذا اليوم، وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

ما معنى: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾؟

أي: لا يشهدون شهادة الزور، فهي هنا مأخوذة من الشهادة، لا يورطون أنفسهم في هذه الكبيرة، التي هي من أكبر الكبائر، كما روى الشيخان عن أبي بكرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً. قلنا: بلى، يا رسول الله. قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين». وكان متكئاً فجلس - دلالة على أهمية ما يقول - فقال: «ألا وقول الزور، وشهادة الزور». فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت^(١)؛ إشفاقاً عليه ﷺ؛ فإنه كان يكرّر بعض الكلمات ثلاثاً لعظم خطرها؛ لينبّه العقول والقلوب إليها؛ حتى تتفتح الأذهان والعقول، فإذا كان هناك من هو مشغول بأمر من أموره ولم يسمع الكلمة الأولى، كررها حتى تُسمع وتُعقل وتُنقل، وحتى تُغرس في القلوب غرساً.

المسلم لا يقول زوراً، ولا يشهد زوراً، وكان النبي ﷺ يقول: «عُدلت شهادة الزور بالإشراك بالله» ثلاث مرات. ثم قرأ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. ﴿[الحج: ٣٠، ٣١]﴾^(٢).

وإنما عُدلت شهادة الزور بالإشراك بالله تعالى، لما وراءها من تضييع الحقوق، ومن تأريث نار الخصومات بين الناس، وراءها ما وراءها، من

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٦)، ومسلم في الإيمان (٨٧).

(٢) رواه أبو داود في الأفضية (٣٥٩٩)، والترمذي في الشهادات (٢٣٠٠)، وابن ماجه في الأحكام

(٢٣٧٢)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١١١٠). عن خريم بن فاتك.

أَنْ يَأْكُلَ الْقَوِيُّ الضَّعِيفَ، مَنْ أَنْ يَشْتَرِيَ بَعْضُ النَّاسِ الضَّمَائِرَ بِأَمْوَالِهِمْ حَتَّى يَأْتُوا لِيَشْهَدُوا بِالْبَاطِلِ، وَيُضَيِّعُوا الْحَقَّ، لِهَذَا كَانَتْ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ.

عباد الرحمن إذا شهدوا شهدوا بالحق:

عباد الرحمن لا يفعلونها، عباد الرحمن إذا شهدوا شهدوا بالحق، ولو كان ذلك على أنفسهم، أو والديهم، أو أقرب الناس إليهم، لا يمنعهم كذلك بُعد البعيد ولا عداوة العدو أَنْ يَشْهَدُوا بِالْحَقِّ لَهُ، اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

إذا طُلب عبدٌ من عباد الرحمن للحقِّ شَهِدَ به، وقال ما يعلم، لم يخُنْ، ولم يخالف، ولم يزور، ولم يزد في الكلام، ولم ينقص منه.

ضرر كتمان الشهادة:

إذا طُلبت منه الشهادة لا يأبى، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢]، بعض الناس لا يكذب في الشهادة، ولكنه يكتُمها، وربما كان في كتمانهِ إضاعة للحقوق، ربما كان في كتمانهِ انتصار للباطل، ربما كان في كتمانهِ ضياع الدين وضياع الدُّنيا معًا، ومن هنا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وهذا يدلُّ على أَنَّ كتمان الشهادة من الكِبَائِرِ، وصدق الله العظيم إذ يقول في آية أخرى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

كم من حقوق ضيِّعت! وكم من حُرُمات انتُهكت! وكم من أعراض أهينت! وكم من دماء أريقَت! وكم من أرواح أزهقت! وكم

من شعوب اضطهدت! وكم وكم، من أجل أناس كتموا شهادة يجب أن يقولوها!

كم من أناس قيّدوا ألسنتهم، فلم يقولوا الحقّ، والحقّ مطلوب منهم، لم يقولوا كلمة بألسنتهم، ولم يقولوا كلمة بأقلامهم، حينما طلب إليهم أن يشهدوا وأن يقولوا.

شهادة الحقّ هي التي تُعلي كلمة الله في الأرض، والشاهدون بالحقّ هم الذين يقومون بالشهادة، لا يبالون بما يصيبهم في سبيل الله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣]، لا يخافون لومة لائم، يعلمون أن ما يخاف الناس عليه لا يخافون هم عليه؛ فالنّاس يخافون على أرزاقهم أن تُنقص، أو على أعمارهم أن تُقطع، والأرزاق مضمونة، والأعمار محدودة، لا يستطيع أحد أن يزيد في رزقك ولا أن ينقص منه ذرّة، ولا يستطيع أحد أن يؤخّر أجلك أو يقدّمه لحظة: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤، النحل: ٦١].

عباد الرحمن إذا طلبوا للشهادة أدّوها على وجهها، لم يغيّروا، ولم يحرفوا، ولم يبدّلوا، ولم يخوّنوا، ولم يكتموا.

هذا أحد التفسيرين للآية الكريمة.

والتفسير الثاني: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، أي: لا يحضرونه.

﴿يَشْهَدُونَ﴾ هنا من الشهود، وليس من الشهادة، هم لا يحضرون الزور، ولا يجلسون مجالس الزور، ولا يذهبون إلى أماكن الزور، وفسّر الزور هنا بما شئت.

تفسير كلمة الزور:

وقد تنوعت عبارات المفسرين في تفسير الزُّور هنا، وهي كما قال الإمام ابن تيمية: من اختلاف التنوع وليس من اختلاف التضاد^(١).

هناك من قال: الزُّور هو الشُّرك، وهناك من قال: الزُّور هو الكذب، وهناك من قال: الزُّور أعياد المشركين، وهناك من قال: الزُّور هو اللهو والغناء، وهناك من قال: الزُّور هو النِّياحة، وهناك من قال: الزُّور هو شرب الخمر، وهناك من قال ومن قال، وكلُّها يجمعها أنَّ الزُّور هو الباطل والمعصية، هو الميل عن الحقِّ، هو البعد عن الخير وعن الطاعة.

ومعنى هذا أنَّ عباد الرحمن لا يحضرون هذه الأماكن، ينزّهون أنفسهم أن يكونوا من جلسائها، فإنَّ مجالس الخير تؤثر في أصحابها، ومجالس السوء كذلك تؤثر في أصحابها، وكلُّنا يعرف الحديث الشريف عن حامل المسك ونافخ الكير، وجليس الخير وجليس السوء^(٢).

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: الأظهر من السياق أنَّ المراد: لا يشهدون الزُّور، أي: لا يحضرونه، ولهذا قال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغَوِّ مَرُّوا كِرَامًا﴾، أي: لا يحضرون الزُّور، وإذا اتفق مرورهم به، مَرُّوا ولم يتدنَّسوا منه بشيء^(٣).

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ١٤، نشر دار مكتبة الحياة، ١٤٩٠هـ - ١٩٨٠م.

(٢) إشارة إلى حديث: «إنَّما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة». متفق عليه: رواه البخاري في الذبائح (٥٥٣٤)، ومسلم في البرِّ والصَّلة (٢٦٢٨)، عن أبي موسى.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣١/٦)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

فهؤلاء لا يجلسون مجالس السوء، لا يشاركون المشركين والكفار في أعيادهم، كالذين يحتفلون بأعياد غير المسلمين، وربّما مرّت عليهم أعياد المسلمين وهم لا يلقون لها بالاً.

هؤلاء لا يحضرون أعياد الكفار، ولا يحضرون مجالس الكفر، ولا مجالس الباطل، ولا مجالس الفجور؛ لأنّ الذي يجلس فيها يناله رذاذ من إثمها.

فلسفة الإسلام أنّه إذا حرّم شيئاً حرّم كلّ ما يؤدي إليه:

ومن هنا كانت فلسفة الإسلام: أنّه إذا حرّم شيئاً، حرّم كلّ ما يؤدي إليه ويعين عليه، فلعن في الخمر عشرة^(١)، ولعن في الربا آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه^(٢)، ولعن النائحة والمستمعة^(٣)، وذمّ المغتاب وسامع الغيبة^(٤).

وذلك أنّك إذا جلست مجلس سوء، فإنّك تشجّع أصحابه، لولا الحضور، لولا الجلوس مع النّاس، ما بقي هؤلاء في مجلسهم، ولكن

(١) رواه الترمذي في البيوع (١٢٩٥)، وقال: غريب. وابن ماجه في الأشربة (٣٣٨١)، وصحّحه الألباني في غاية المرام (٦٠)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٧)، وأحمد (٣٧٣٧)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه أحمد (١١٦٢٢)، وقال مخرّجوه: إسناده مسلسل بالضعفاء. وأبو داود في الجنائز (٣١٢٨)، وضعف النووي إسناده أبي داود في خلاصة الأحكام (٣٧٦٣)، والحافظ في التلخيص الحبير (٢٧٨/٢)، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي ربي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم النّاس، ويقعون في أعراضهم». رواه أحمد (١٣٣٤٠)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٨)، وذكر أنّ بعضهم رواه مرسلاً. وقال العراقي في تخريج الإحياء ص ١٠٣٣: رواه أبو داود مسنداً ومرسلاً والمسنّد أصح. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٢١٣).

استحسان الحاضرين والسامعين، وإنصاتهم لما يُقال - أو على الأقل سكوتهم عنه - يشجع هؤلاء على منكرهم.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] بمجرد جلوسكم إليهم، واستماعكم لهم، ومشاركتكم إياهم، أصبحتم مثلهم.

من هنا لما جيء إلى الخليفة الراشد: خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز بجماعة كانوا يشربون الخمر، فأمر بحدّهم - إقامة الحدّ عليهم - فقليل له: يا أمير المؤمنين، إنّ فيهم رجلاً ليس منهم - لم يشاركهم في الشرب - ولكنه جلس إليهم وهو صائم، فقال: صائم، ويجلس مع شارب الخمر، وفي مجلس خمر، به فابدؤوا؛ إنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ﴾ وأمر أن يُبدأ بجلده وضربه^(١).

المؤمن يُنزّه نفسه عن مجالس السوء:

لا ينبغي للمؤمن أن يجلس في مكان المنكر، وقد جاء في الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر»^(٢).

المؤمن يُنزّه نفسه عن مجالس السوء؛ حتّى لا يأخذه لهيب النار التي تأكل هؤلاء من بعد، سيشاركهم شاء أم أبى، فالأولى أن يُبعد نفسه عنهم، وبخاصّة أن كثيراً من المجالس لا تخلو من فاكهة المجالس:

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٢١/٢٨).

(٢) رواه أحمد (١٤٦٥١)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الأدب (٢٨٠١)، وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في الوليمة (٦٧٠٨)، والحاكم في الأدب (٢٨٨/٤)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. عن جابر.

الغيبة، والنميمة، والحديث عن أعراض النَّاس، وكلُّ هذا يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب.

كلمة واحدة يقولها الإنسان لو مُزجت بماء البحر لمزجته، يهوي بها في النَّار سبعين خريفًا - وهو لا يلقي لها بالًا - من سخط الله تعالى عليه.

من هنا كان من أوصاف عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]: إذا اتفق مرورهم على مجالس اللغو، نزَّهوا أنفسهم عنه.

﴿كِرَامًا﴾: بمعنى أنهم يكرمون أنفسهم أن يُشاركوا في هذا الباطل، إنَّ أنفسهم أعزُّ عليهم من أن يُشاركوا في باطل، وأعمارهم أغلى عندهم من أن يضيعوها في باطل وفي لغو.

عباد الرحمن يُنزّهون أنفسهم عن اللغو:

الله تعالى وصف المؤمنين المفلحين، الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمُ الْفِرْدَوْسُ، هم فيها خالدون، فكان من أخصَّ أوصافهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]. رأس مالهم أوقاتهم، فكيف ينفقونها في اللغو؟

لا يقبلون أن يضيعوا أوقاتهم في مثل هذا، إنَّ الوقت الذي يضيعونه في لغو يمكن أن يسبِّحوا الله فيه، أو يكبِّروه، أو يهللوه، أو يذكروه ذكرًا كثيرًا.

كلمة واحدة من كلمات الخير تملأ صحائف حسنات الإنسان، وكلمة في مقابلها تُسودّ صفحاته بالسَّيِّئَات والعياذ بالله، وقد قال الإمام الغزالي: إِنَّكَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبْنِيَ بِكَلِمَةٍ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ ضَيَّعَ قَصْرًا أَوْ كَنْزًا مِنَ الْكُنُوزِ لِيَأْخُذَ مَكَانَهُ حَصَاةٌ، فَقَدْ خَسِرَ خَسْرَانًا مَبِينًا^(١).

(١) انظر: إحياء علوم الدين (١١٢/٢).

أي أنّ الإنسان إذا لم يُنفق وقته في الطاعة - حتّى لو لم ينفقه في معصية - كان خاسراً، فما بالك إذا أنفقه في طريق المعصية؟! ما بالك إذا أنفقه في المكروهات التي تؤدي إلى المشتبهات؟! والمشتبهات التي تؤدي إلى صغائر المحرمات؟! والصغائر التي تؤدي إلى الكبائر؟! والكبائر بريد الكفر؛ والعياذ بالله تعالى.

عباد الرحمن يُنزّهون أنفسهم عن مثل هذا اللغو، حتّى لو عرض لهم من عرض من النَّاس - يريد أن يجرّهم إلى اللغو - لا يجارونه، ولا يقابلون اللغو بمثله، بل يُعرضون عنه، ويوفّرون أوقاتهم، ويدّخرون طاقاتهم، ويوفّرون جهودهم، لما هو خير وأبقى.

وصف الله جماعة من المؤمنين بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

فهذا تكميل لما بدأ الله به من أوصاف عباد الرحمن، حينما قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

هؤلاء هم عباد الرحمن:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾. ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

إنّهم مشغولون بآخرتهم عن دنياهم، مشغولون بإصلاح النَّفس عن مجارة النَّاس، مشغولون بالحقّ عن الباطل، مشغولون بالجدّ عن الهزل، مشغولون بالبناء عن الهدم.

إنّهم لا يقيمون معارك جانبية تافهة من أجل أمور لا تُسمن ولا تغني من جوع، إنّهم مشغولون بمصايرهم، مشغولون بآخرتهم، مشغولون

بهموم أمتهم، مشغولون بآمال دينهم، مشغولون بمآسي المسلمين في كل مكان، و«من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(١).

فما لهم وللغو؟ وما لهم وللخصومات؟ وما لهم وللمعارك التافهة؟ إنهم في شغل عن ذلك كله بما هو أعظم وأكبر، ولهذا وصفوا بأنهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

قد يُشتمون، وقد يُسبون، وقد يُساء إليهم، ولكنهم متسامحون في حق أنفسهم.

لا يتسامحون في حق دينهم، يغارون على حرمة الله أن تُنتهك، يغضبون لله ولكتابه ولسنة رسوله، ولكن من عرض لهم في أنفسهم فهم يُعرضون عنه، يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾، كما قال الشاعر الصالح «محمود الوراق»:

سألزِمُ نَفْسِي الصَّفْحَ عَنْ كُلِّ مَذْنَبٍ	وإن كَثُرَتْ مِنْهُ عَلَيَّ الْجَرَائِمُ
فَمَا النَّاسَ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ	شَرِيفٌ وَمَشْرُوفٌ وَمِثْلٌ مُقَاوِمٌ
فَأَمَّا الَّذِي فَوْقِي فَأَعْرِفُ قَدْرَهُ	وَأَتَّبِعُ فِيهِ الْحَقَّ وَالْحَقُّ لَازِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي دُونِي فَإِنْ قَالَ ضُنْتُ عَنْ	إِجَابَتِهِ عِرْضِي وَإِنْ لَامَ لَائِمٌ
وَأَمَّا الَّذِي مِثْلِي فَإِنْ زَلَّ أَوْ هَفَا	تَفَضَّلْتُ، إِنَّ الْفَضْلَ بِالْجِلْمِ حَاكِمٌ ^(٢)

أي أنه مع كل الناس: عفو، صفوح، متخلق بأخلاق الله تعالى.

(١) رواه الطبراني في الصغير (٩٠٧)، وفي الأوسط (٧٤٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): فيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. والحديث وإن لم يبلغ درجة الصحة، لكن معناه صحيح. عن حذيفة بن اليمان.

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف ص ٢٠٣.

هذا هو شأن عباد الرحمن، لا يشغلون أنفسهم بالخوض في الباطل، فإن أكثر الناس خطايا، أكثرهم خوضاً في الباطل كما قال ابن مسعود رضي الله عنه (١).

لا يَتَكَلَّمُونَ فيما لا يعينهم، ف«من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يَعْنِيهِ» (٢).

يعمرون أوقاتهم بالخيرات وعمل الصالحات، يعلمون أن كلمة واحدة من كلمات الخير تملأ الصحف وتملأ الميزان، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: «والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماء والأرض» (٣).

كلمة واحدة يثقل بها الميزان يوم القيامة، وترجح بها كفة الحسنات على كفة السيئات، فما أحوج الإنسان إلى أن يُثقل ميزانه حتى يكون من أهل العيشة الراضية في جنة عالية وحتى لا يخف ميزانه، فتصبح أمه هاوية: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ * نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: ١٠، ١١].

كان عطاء بن أبي رباح، التابعي الفقيه الجليل، يقول: إن من قبلكم كانوا - يريد الصحابة رضي الله عنهم - كانوا يعدُّون من اللغو كل ما عدا كتاب الله وسنة رسوله، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو ذكراً لله تعالى، أو ما لا بد منه في معيشة الدنيا (٤).

(١) رواه أبو داود في الزهد (١٥٠).

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٣١٧) واستغربه. وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩١١)، وحسنه النووي في الأربعين (١٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٨)، عن أبي مالك الأشعري.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٨٦/٥)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

وما عدا ذلك يعتبرونه من اللغو؛ لأنهم كانوا يعلمون أن عليهم حافظين، كرامًا كاتبين: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿[ق: ١٧، ١٨]. فكانوا يستحون أن تُنشر صحائفهم التي أملوها؛ فلا يجدون فيها إلا ما لا ينفع «لا في الدين ولا في الدنيا».

فيا أيُّها الإخوة المسلمون، حاولوا أن تتخلَّقوا بأخلاق عباد الرحمن، أن تكونوا إيجابيين، أن تُنزِّهوا أنفسكم عما يفعله اللاهون العابثون من الناس.

قولوا الحق، واشهدوا الحق، ولا تحضروا مجالس الزور أيًا كان اسمها وعنوانها، وإذا مررتم باللغو - أيًا كان مضمونه أو عنوانه - فمروا عليه مرَّ الكرام.

مرَّ ابن مسعود رضي الله عنه بمجلس لهُو؛ فلم يقف عنده، وبلغ ذلك النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: «لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريماً». ثم تلا هذه الآية ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]^(١).

نسأل الله تعالى أن يُفَقِّهَنَا في دِينِنَا، وأن يغفر لنا ويرحمنا، إِنَّهُ هو الغفور الرحيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إِنَّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٤٦٤)، تحقيق أسعد محمد الطيب، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ٣، ١٤١٩هـ.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

جاءتني أعداد من الرسائل، تشكو من ظاهرة أعتقد أنّها ظاهرة مَرَضِيَّة، ولا تليق بمجتمع مسلم.

تشكو هذه الرسائل من قسوة بعض الأزواج على زوجاتهم.

خيرُكم خيرُكم لأهله:

هذا الرجل الَّذي يُعامل امرأته في بيته كأنَّها متاع من متاع البيت، لا رأي لها، ولا تُستشار في أمر، لا يبشُّ في وجهها، لا ترى بسمه على شفّتيه، لا تسمع منه كلمة طيبة.

والعجيب في هذه الرسائل، أنّ بعضها تقول: إنّ زوجها رجل طيب ومتدين، حريص على دينه، يُصَلِّي الصلوات الخمس، ويصلي بعضها في المسجد، ويقرأ القرآن، ويدرس الحديث، ويقرأ الكتب الدنيّة، ولكنّه مع أهله خشن الطباع، قاسي القلب، فظّ غليظ، وهذا في الحقيقة ممّا يُعجب له أشدُّ العجب.

إنّ المسلم قُدوته في ذلك رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ كان خير الناس لأهله، كما قال: «خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي»^(١).

كان ألطف الناس معشراً، وأرقهم حاشية، وألينهم جانباً مع أهله.

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٩٥)، وقال: حسن صحيح. والدارمي (٢٣٠٦)، وابن حبان (٤١٧٧)، كلاهما في النكاح، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٢٨٥)، عن عائشة.

كان - رغم همومه الكثيرة: همّ الدعوة، وهمّ الدولة - يقيم دينًا جديدًا، ويُنشئ أُمَّةً جديدة، ويقوم دولة جديدة، ويحارب في جبهات شتى: جبهة الوثنيين المشركين، وجبهة اليهود الغادرين، وجبهة النصارى المتربصين، وجبهة المجوس المغرورين، وجبهة الطابور الخامس في الداخل (المنافقين)، جبهات عديدة كان يواجهها النبي ﷺ، ومع هذا لم يكن يشغله ذلك عن أمر بيته وأهله.

كان يصلي حتى تتورّم قدماه، كان يبكي حتى تبلّ دموعه لحيته، ولكن لم يشغله حقّ ربّه عن حقّ أهله، كما لم يشغله حقّ دعوته ورسالته وأُمَّته عن حقّ أهله وزوجاته. فكان يجد من قلبه الكبير ما يتسع لملاطفة هؤلاء الزوجات.

الرسول ﷺ كان يمازح أزواجه ويشاورهن:

وكان يمازحهنّ، يطيب خاطرهنّ، يسمع لهنّ الأحاديث كحديث أم زرع، وهنّ اثنتا عشرة زوجة، كلّ واحدة لها قصّة، ويقول لعائشة في النهاية: «كنتُ لك كأبي زرع لأم زرع»^(١). وفي رواية: «إلاّ أنّه طلقها، وإنّي لا أطلقك»^(٢).

وكان يشاورهنّ في كثير من الأمور، ويسمع لرأيهنّ.

شاوّر أم سلمة في الحديبية وأخذ برأيها^(٣)، على حين يزعم بعض الناس

(١) حديث أم زرع متفق عليه: رواه البخاري في النّكاح (٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٨).

(٢) من رواية الزبير بن بكار، كما ذكر الحافظ في فتح الباري (٢٧٥/٩).

(٣) وذلك حينما أشارت عليه أن يخرج إلى أصحابه فيتحلل من إحرامه أمامهم دون أن يكلمهم، وقد فعل ذلك، فكلّهم تحلّل كما تحلّل، وقبل ذلك كان أمّهم بالتحلّل من إحرامهم فعزّ عليهم ذلك ولم يفعلوا. وحديث صلح الحديبية رواه البخاري في الشروط (٢٧٣١)، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم.

أَنَّ هناك حديثًا يقول: «شاوروهَنَّ وخالفوهَنَّ»^(١)، وهذا ليس بحديث، وهو مخالف للقرآن الذي يقول: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

المرأة ليست كمًّا مُهْمَلًا، ليست حَجَرًا في البيت، إنَّما هي إنسان، إنسان يشارك إنسانًا، ولذلك جاء في الحديث: «آمِرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ»^(٢)، أي: إذا أردت أن تزوج ابنتك فخذ رأي أمِّها؛ لأنَّها أعرف بها، وأخبر بعواطفها، وأدرى بما تُخَبِّئه عنك من أسرارها، وأقرب إليها، فحاول أن تتعرَّف على رأي الفتاة من أمِّها.

المرأة ينبغي أن يُعرف حقُّها، لا ينبغي للمسلم أن يُهمل امرأته، وأن يدخل ويخرج وكأنه ليس أحد في البيت، كما يفعل بعض النَّاسِ للأسف، لا يكاد يرى امرأته، لا يكاد يأكل معها، يأتي متأخرًا في الليل، ويذهب مبكرًا في النَّهار، وإذا جاء يأكل أو يشرب ثمَّ يخرج، هذه ليست الحياة الزوجية في الإسلام.

الحياة الزوجية سكون ومودة ورحمة: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الرُّوم: ٢١]، ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

انظروا: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ بكلِّ ما يُوحى به معنى اللباس من القرب والالتصاق، والستر والدفع والزينة.

(١) قال السخاوي المقاصد الحسنة (٥٨٥): لم أره مرفوعًا... وقد استشار النبي ﷺ أم سلمة كما في قصة صلح الحديبية، وصار دليلًا لجواز استشارة المرأة الفاضلة لفضل أم سلمة ووفور عقلها. وقال الألباني في الضعيفة (٤٣٠): لا أصل له.

(٢) رواه أحمد (٤٩٠٥)، وقال مخرَّجوه: حديث حسن. وأبو داود في النكاح (٢٠٩٥)، عن ابن عمر.

هكذا ينبغي أن تكون المرأة مع زوجها، وهكذا ينبغي أن يكون الزوج مع امرأته.

هذا الذي نسمع عنه ليس من أخلاق الإسلام في شيء.

المرأة إنسان يجب أن يُرعى حقُّه:

المرأة إنسان يجب أن يُرعى حقُّه، يجب أن تُؤنس المرأة وتُلاطف، فالتَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمازح نساءه، سابق عائشة مرتين: مرَّةً سبقته وهي صغيرة السنَّ، خفيفة البدن، فلما سمت بعد ذلك سابقها فسبقها، فقال لها ممازحًا: «هذه بتلك»^(١)، أي: مرَّةً بمرَّةٍ (تعادل)!

انظروا إلى هذا القلب الكبير الذي لم تشغله هموم الدعوة والجهاد عن ملاطفة أهله، هكذا ينبغي أن يكون المؤمن مع أهله، ينبغي أن يكون لطيف المعشر، وأن يكون إنسانًا كريمًا.

فيا أيُّها الإخوة المسلمون، يا أيُّها الأزواج الصالحون: حاولوا أن تكونوا مُحَمَّديَّين، قرآنيَّين، مع أهليكم وأزواجكم.

اللهمَّ إِنَّا نسألك العفوَّ والعافيةَ في الدِّين والدنيا والآخرة.

اللهمَّ فقِّهنا في ديننا، وعَلِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما عَلَّمتنا، وزِدنا علَمًا.

اللهمَّ إِنَّا نسألك العفوَّ والعافيةَ في دِيننا ودُنْيانا، وأهلينا وأموالنا.

اللهمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتنا، وآمِنْ رَوْعَاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغْتال من تحتنا.

(١) رواه أحمد (٢٤١١٨)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الجهاد (٢٥٧٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩٧٩)، وابن حبان في السير (٤٦٩١)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٣١)، عن عائشة.



اللهم اكْرِمنا ولا تُهِنَّا، وأَعْظنا ولا تحْرِمنا، وزِدنا ولا تنقِصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارْض عنا وأَرْضنا.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنَا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأَحْسِن عاقبتنا في الأمور كُلِّها، وأَجِرْنَا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

اللهم أَعِنَّا على شهوات أنفسنا، وأَصْلِح فساد قلوبنا.

اللهم انصر الإسلام وأعزَّ المسلمين، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة الذين كفروا هي السفلى.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام حيثما كانوا، اللهم إِنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم ردَّ عنا كيدهم، وفلَّ حُدَّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

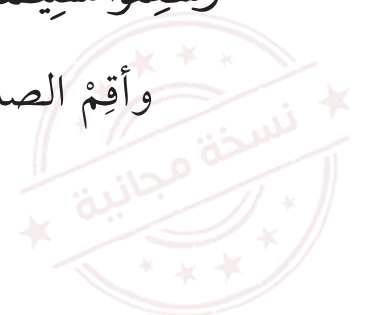
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم آمين.

وصلِّ اللهم على عبدك ونبيك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وأَقِم الصلاة.





صفات عباد الرحمن التجاوب مع آيات الله

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا نعيش في رحاب القرآن، في صحبة عباد الرحمن، الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَشَرَّفَهُمْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى ذَاتِهِ الْمَقْدَّسَةِ.

ووقفنا في أوصاف عباد الرحمن عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوْا عَلَيْهَا سُومًا وَغَمًّا﴾ [الفرقان: ٧٣].

هذه صفة من صفات عباد الرحمن: التجاوب مع آيات الله، قلوبهم مفتوحة، وعيونهم وأذانهم مع هذه الآيات، لا يقعون عليها وقوع الصم ولا العميان، ولكن لهم آذان صاغية، وعيون راعية، وقلوب واعية.

ولكن ما هي آيات الله؟

آيات الله نوعان: آيات كونية، وآيات تنزيلية.

الآيات الكونية: هي آيات الله في الكون، آيات الله في الأنفس

والآفاق، آيات الله التي بثها في كل مكان لترشد الناس إليه، وتدلهم عليه، كما قال القائل:

فيا عجباً كيف يُعصى الإله ه أم كيف يجحده الجاحد؟
ولله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد^(١)

آيات الله مبثوثة، وعباد الرحمن وأهل الإيمان يتجاوبون معها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

آيات الله الآفاقية والآنفسية، آيات الله في النفس: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وفي الآفاق، في السماء والأرض ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

الذين ينظرون إلى هذه الآيات بأعين عمي، وقلوب غُلف، وأذان صم، لا ينتفعون منها بشيء، خُتم على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوة، فهم صم بكم عمي لا يرجعون، ولا يعقلون، هذه آيات الله الكونية الآفاقية.

وهناك آيات الله التنزيلية، التي أنزلها الله على رُسُلِهِ: آيات الوحي، التي ختمها الله بالقرآن الكريم، وتجلّى الله لعباده في كلماته، التي أنزلها

(١) من شعر أبي العتاهية. انظر: الحماسة المغربية (٢/١٤٢٠).

على رسوله مُحَمَّد ﷺ، فهو يتعرّف إلى عباده بهذه الكلمات من النور، أو بهذا النور من الكلمات.

أنزل الله على عبده ورسوله مُحَمَّد هذا القرآن؛ ليدل النَّاس عليه؛ ليفتح قلوبهم به: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرْ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرَّحْمَ: ٢٣].

القرآن تبيان لكل شيء:

أنزل الله عليه هذا القرآن العظيم، فيه صفاته، وأفعاله، فيه أسماؤه الحسنی وصفاته العليا، فيه صفات المؤمنين وصفات الكافرين والمنافقين، فيه بيان مصائر هؤلاء وهؤلاء، فيه ذكر الآخرة والجنة والنار، فيه الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فيه الأمر والنهي، والحكم والأمثال والقصص والمواعظ، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

القرآن هو المعجزة الكبرى:

هذا القرآن آيات الله، أعجز بها البشر أن يأتوا بمثلها، أو أن يأتوا بعشر سور من مثل هذا القرآن، أو أن يأتوا بسورة مثله، ولكنهم غلبوا، وانقطعوا وحقَّت عليهم كلمة الله: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

كان القرآن هو الآية العظمى، والمعجزة الكبرى لمحمد ﷺ، كانت آيات الأنبياء من قبل آيات حسية، كونية، ومن شأن الآيات الكونية والحسية، أن تنفذ وتنتهي بمجرد وقوعها، فلولا أن القرآن أخبرنا بأنَّ

موسى عليه السلام انقلبت العصا له حيّة، وأن عيسى عليه السلام أبرأ الأكمه والأبرص، ما عرفنا شيئاً عن ذلك، فهي أصبحت معجزة تاريخية.

أما القرآن فهو معجزة باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأنه معجزة علمية أدبية عقلية، ولهذا لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم آية من الآيات الكونية، قال لهم: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، القرآن آية كافية، لكل من كان له عقل، وكل من كان في صدره قلب: ﴿أَوَلَمْ يَأْتِ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

فهذا القرآن هو معجزة رسول الله الدائمة، وآيته الباقية، ضمن الله كلماته الإعجاز، فهو يدخل إلى العقول والقلوب بغير استئذان، كتاب ميسر للذكر، يفهمه الخاص والعام، كل على قدر فهمه: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

سمعه المشركون فتأثروا به، وقال قائلهم: والله إن لهذا الكلام حلاوة، وإن عليه لطاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى، وإنه ليس من كلام الجن ولا من كلام البشر^(١).

سمعه الجن فأثر فيهم، وقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠].

(١) القائل هو الوليد بن المغيرة، رواه الحاكم في التفسير (٥٠٦/٢)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣٣)، وجوّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء ص ٣٢٤، عن ابن عباس.

سمعه جماعة من النصارى فدمعت أعينهم، وخشعت قلوبهم، وآمنوا بالله ورسوله، هم الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٣، ٨٤].

هذا هو القرآن، يسمعه المؤمنون فتوجل القلوب، وتدمع العيون، وتخضع الأفئدة، كما وصف الله المؤمنين الصادقين بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

القرآن يزيد المؤمنين إيمانًا:

المؤمنون يسمعون القرآن فيزداد إيمانهم، والمنافقون والزائغون يسمعون القرآن فيزيدهم رجسًا على رجسهم والعياذ بالله: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

ولذلك كان بعض الصحابة يقول: ما من أحد يجالس القرآن إلا وخرج بزيادة أو نقصان؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]. لا يسمعون ولا يعقلون، هذا شأن الناس مع القرآن.

ففس نفسك، مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ؟ مِنْ أَيِّ الْأَصْنَافِ أَنْتَ مع القرآن؟ هل يزداد إيمانك؟ هل تزداد خشيتك؟ هل يتحرك قلبك؟ هل تدمع عينك؟ أم أَنَّكَ تقرأ القرآن كما تقرأ كلام النَّاسِ، لا تتأثر ولا تنفعل؟

الله تعالى وصف أناسًا من أهل الكتاب بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٩].

كان ابن عباس يقول: إذا قرأتم سجدة «سبحان»^(١)، فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه^(٢)!

إِنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْقُرْآنِ مَتَفَتِحَ الْقَلْبِ، مَتَفَتِحَ الْأُذُنِ، مَتَفَتِحَ الْعَقْلِ، وَلَا يَقْرَأَهُ قِرَاءَةَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ يَسْمَعُهُ سَمَاعَ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِي شَأْنِهِمْ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ لم يفهمو ولم يعقلوا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

هناك المنافقون، وهناك الكفار المحجوبون: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

حُجُبُ تَمْنَعُ الْفَهْمَ لِلْقُرْآنِ:

على المؤمن أن يفتح قلبه للقرآن، أن يهتك حُجُبَ الغفلة والشهوة والكبر عن قلبه، فهذه الحُجُبُ هي التي تمنع الفهم للقرآن، والتأثر به.

(١) أي: آية السجدة التي في سورة «الإسراء»، وقد سُميت سورة «الإسراء» سورة «سبحان»؛ لأنها افتتحت بهذه الكلمة.

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (٨٧/١).

الغفلة: أخطر ما يحجب القلب عن الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، ﴿أُولَئِكَ كَانُوا لَنَا نَعِيمًا بَلْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، الغافلون عن الله، عن الآخرة، عن المصير، عن رسالة الإنسان في هذه الحياة.

الشهوة: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

ذكر الله هذا الصنف بعد صنف آخر أثنى عليه، بعد أن ذكر من ذكر من النبيين، قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

الكبر: كما قال الله تعالى: ﴿سَاصِرُونَ عَنْ آيَاتِي﴾ يصرفهم الله عن فهم آياته والتأثر بها ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءِيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

على المؤمن إذا أراد أن يقرأ القرآن أن يفتح عينه وأذنه وقلبه، أن يرتل القرآن ترتيلاً، أن يحاول التفهّم والتدبّر في هذا الكلام الإلهي، فإن الله أودع فيه أسراراً وحكمه.

القرآن نزل ليتدبّر: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فلا بد من التدبّر.

تدبر القرآن حتى تحاول أن تتأثر به، فبعد التدبر يكون التأثر.

تجاوب مع كلام ربك إليك، كما قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، لو عقل الجبل لتصدع وخشع من هذا القرآن.

ولكن بعض القلوب أشد من الجبال والصخور والحجارة، كما وصف الله قلوب بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

حاول أن تدبر القرآن وتأثر به، قال مُحَمَّد إقبال رَحِمَهُ اللَّهُ: ما نفعني وصيئة كما نفعني وصيئة لأمي، قالت لي وأنا صغير: يا بني اقرأ القرآن كأنما عليك أنزل.

وقال بعض السلف: كنت لا أجد للقرآن حلاوة، حتى من الله عليّ، فأصبحت أتلو القرآن كأنني أسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه، حتى رقاني الله درجة، فأصبحت أقرؤه كأنني أسمعه من جبريل يليقه على رسول الله ﷺ، ثم رقيت درجة أعلى وأرفع، فصرت أقرؤه كأنني أسمعه من المتكلم به تعالى^(١). درجات بعضها فوق بعض.

القرآن شفيع لأصحابه يوم القيامة:

حاول أن تقرأ القرآن قراءة من يشفع له القرآن يوم القيامة، في الحديث: «اقرأوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(٢).

بعض الناس يشفع لهم القرآن، ويشهد لهم القرآن، وبعض الناس

(١) قوت القلوب (٩٢/١)، وإحياء علوم الدين (٢٨٨/١).

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٤)، عن أبي أمامة الباهلي.

يتلون القرآن والقرآن يلعنهم، هكذا قال بعض السلف: ربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه^(١). لأنّه يقرأ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هُود: ١٨] وهو من الظالمين، ﴿أَنْ لَعَنْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التّور: ٧] وهو من أهل الكذب، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]. وهو من الذين يقولون ما لا يفعلون والعياذ بالله.

اقرأ القرآن قراءة المُتَدَبِّر، المُتَأَثِّر، الذي يقرأ للعمل لا لمُجَرَّد المتعة. كان ابن مسعود يقول: أنزل القرآن عليهم ليعملوا به، فاتَّخَذُوا دراسته عملاً، إنّ أحدكم ليقراً القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يُسْقَطُ منه حرفاً، وقد أسقط العمل به^(٢).

لا يكفي أن تقرأ القرآن، ولا أن تحفظ القرآن، وإنّما المهمُّ: أن تعمل بالقرآن، هكذا كان الصحابة، وهكذا كان السلف، كانوا يحفظون السورة لا يجاوزونها حتّى يتقنوها علماً وعملاً، وتطبيقاً على أنفسهم. قال الحسن: كان من قبلكم يعتبرون القرآن رسائل من ربّهم إليهم، يقرؤونها بالليل ويُنْفِذُونَهَا بالنّهار^(٣).

ماذا تفعل حينما تأتيك رسالة من حبيبٍ أو صديقٍ؟ إنّك تقرؤها بعناية، وتحاول أن تعرف كلّ ما فيها حرفاً حرفاً، وأن تنفّذ ما طلبه منك إن كان له أهمية عندك، فماذا تفعل بما يطلب الله تعالى منك؟

إنّنا في حاجة إلى أن نقرأ القرآن، قراءة المؤمنين الواعين الخاشعين، لا قراءة الغافلين، ولا قراءة المستكبرين، ولا قراءة الجاحدين، ولا قراءة الذين في قلوبهم مرض.

(١) هو الصحابي الجليل: أنس بن مالك، كما نقل عنه الغزالي في الإحياء (٢٧٤/١).

(٢) إحياء علوم الدين (٢٧٥/١).

(٣) انظر: المصدر السابق.

إننا في حاجة إلى أن نسمع القرآن؛ لنأخذ منه نبأاً لحياتنا؛ لنغيّر به حياتنا كما غير الصحابة به حياتهم.

أجل، ما الذي غير حياة الصحابة؟ إنه القرآن، إنه الذي أحدث ذلك الزلزال النفسي والاجتماعي في الحياة العربية، وغير الأنفس تغييراً كلياً.

أحوال السلف مع القرآن:

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وسأله أن يُقرئه القرآن، فقرأ عليه بعض المُفَصَّل - أواخر القرآن - حتّى وصل إلى سورة الزلزلة، وفي آخر السورة قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، فقال الرجل: حسبي يا رسول الله، لا أبالي أن أسمع غيره.

الآيتان وضعتا له القاعدة والقانون: إنّ الجزاء من جنس العمل، وعلى قدر العمل، ولو كان مثقال الذرة، خيراً أو شراً.

فعجب الصحابة من رجل لا يريد أن يستزيد من القرآن، فقال النبي ﷺ: «انصرف الرجل وهو فقيه». ما دام حسبه آية واحدة.

وفي قصّة مماثلة قال: «أفلح الرُّويجل، أفلح الرُّويجل»^(١). ما دام قد فهم هذا.

كان الإمام الشافعي يقول: إنّ في القرآن سورة وجيزة، لو عمل بها الناس لكفتهم، وهي قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣]^(٢).

(١) رواه أحمد (٦٥٧٥)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الصلاة (١٣٩٩)، الحاكم في التفسير (٥٣٢/٢)، وصحّحه على شرط الشيخين. وقال الذهبي: بل صحيح. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) تفسير الإمام الشافعي (١٤٦١/٣)، نشر دار التدمرية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

هل قرأنا القرآن أيُّها الإخوة كما ينبغي؟ هل استمعنا إليه كما ينبغي؟
هل قمنا بحقه كما ينبغي؟

نحن نحمد الله أن القرآن أصبح يُتلى في الليل وفي النهار، ولكن من
منّا يسمع القرآن ليتدبر ويعمل به؟ من منّا يتأثر بالقرآن إذا سمعه؟

يقول النبي ﷺ: «اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»^(١)، إذا لم
يحضرك البكاء فتكلّف البكاء، تحزّن، وإذا لم تجد البكاء فابك على
نفسك أنّك لا تجد هذه العين الدامعة.

سأل عبد الله بن عروة بن الزبير جدّته أسماء بنت أبي بكر - ذات
النطاقين - فقال لها: يا جدة، كيف كان أصحاب النبي ﷺ إذا سمعوا
القرآن أو قرؤوه؟

قالت: يا بُني، كانوا كما نعتهم الله تعالى، تدمع الأعين، وتقشعر
الجلود، وتخضع القلوب^(٢).

هكذا كانوا، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الناس إذا سمعوا القرآن.
أمّا أن يقرأ القرآن لمجرد الطرب، لمجرد إمتاع الأسماع، فليس هذا
هو المطلوب.

(١) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٣٧)، وأبو يعلى (٦٨٩)، وقال البوصيري في الزوائد (١٥٧/١): في إسناده أبو رافع. اسمه إسماعيل بن رافع ضعيف متروك. ورواه البزار (١٢٣٥) من طريق آخر، وقال عقبه: فيه عبد الرحمن بن أبي بكر (أحد الرواة) هذا لين الحديث. وجود إسناده ابن ماجه العراقي في تخريج الإحياء ص ٣٢٨، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٨٧٧)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه سعيد بن منصور في التفسير (٩٥)، تحقيق د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، نشر دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.



أَمَّا أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ نَسْمَعَهُ وَنَحْنُ لَاهُونَ، وَنَحْنُ عَنْهُ غَافِلُونَ،
لَا نَقْرُؤُهُ لِنَعْمَلْ، وَلَا نَقْرُؤُهُ لِنَحْيِي بِهِ أَنْفُسَنَا وَنَحْيِي بِهِ مَجْتَمِعَنَا، فَمَا هَذَا
مِنْ شَأْنِ الْقُرْآنِ.

لَيْسَ هَذَا هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَحْدَثَ التَّغْيِيرَ وَالزَّلْزَلَةَ فِي الْمَجْتَمَعِ
الْإِنْسَانِيِّ الْأَوَّلِ.

وَلِهَذَا لَيْسَ عَجَبًا أَنْ نَجِدَ إِذَاعَاتٍ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ - فِي بِلَادِ الْكُفْرِ -
تَذِيعَ الْقُرْآنَ!

لَا غَرَوْا أَنْ تَسْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ إِذَاعَةِ لَنْدُنْ، وَلَا غَرَوْا أَنْ تَسْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ
إِذَاعَةِ إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّهُمْ مَطْمَئِنُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يُعْذِ يَحْرُكْ فِينَا سَاكِنًا، أَوْ
يَنْبُتُهُ مِنَّا غَافِلًا.

لَوْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ وَسَمِعْنَاهُ كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ وَالسَّلَفُ الْأَوَّلُ، لَغَيَّرَ
مَا بِأَنْفُسِنَا، لِأَحْدَثَ فِينَا تِلْكَ الثَّوْرَةَ الرُّوحِيَّةَ الْعَظِيمَةَ، لَجَدَّدَ إِيْمَانَنَا مِنْ
جَدِيدٍ، لَجْعَلْنَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ نَحْدِّدَ مَوْقِفَنَا مَعَ الْقُرْآنِ: هَلْ نَحْنُ مُتَجَاوِبُونَ
مَعَ كِتَابِ اللَّهِ؟

إِنَّ اللَّهَ سَيَسْأَلُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْهُ، وَسَيَكُونُ شَاهِدًا لَنَا أَوْ عَلَيْنَا، نَخْشَى
أَنْ يَقُولَ الْقُرْآنُ: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ أَهْمَلُونِي، حَفِظُوا حُرُوفِي وَضَيَّعُوا
حُدُودِي، نَخْشَى أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ: ﴿يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، لَمْ يَهْجَرُوا قِرَاءَتَهُ، وَلَكِنْ هَجَرُوا تَطْبِيقَهُ وَالْعَمَلَ
بِهِ، كَانُوا يَقْرَءُونَهُ عَلَى الْأَمْوَاتِ فِي الْمَقَابِرِ، وَلَا يَحْكُمُونَهُ فِي الْأَحْيَاءِ
فِي الْمَحَاكِمِ.

أصبح كتاب الله مهجورًا، وأصبح العمل به مضيّعًا، إِنَّ الله سألنا عن هذا القرآن.

عباد الرحمن هم أولئك المتجاوبون مع آيات القرآن، مع آيات الله - هم قرآنيون يعيشون مع هذا القرآن، يطبقونه على أنفسهم، لهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد سُئِلَتْ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ خُلُقِهِ ﷺ فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقَهُ الْقُرْآنَ»^(١).

من فتح المصحف عَرَفَ أخلاق النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ صورة تطبيقية، كان مثلاً مجسِّمًا، كان قرآنًا حيًّا يسعى بين النَّاسِ على قدمين، كان مصحفًا مفسَّرًا، لا يفسَّر بمجرد الكلام بل بالعمل، بالسلوك، بالتطبيق، بالتعامل مع ربِّه، مع أهله، مع أصحابه، مع أعدائه.

ليكن كلُّ مؤمن - يحاول أن يكون من عباد الرحمن - قِبْسًا من هذا النُّور المحمدي، ليكن له في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وليكن خُلُق كلِّ منَّا: القرآن.

نسأل الله تعالى أن يُوفِّقنا ويجعلنا من أهل القرآن، ويجعل القرآن شفيعًا لنا يوم القيامة.

استغفروا الله يغفر لكم، وادعوه يستجب لكم، إِنَّهُ هُوَ الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١).



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

أرسلت إلى إحدى الأخوات ورقة تقول: في إحدى الجُمُعات الماضية، خرجت إحدى المصليات، وكانت تلبس لباسًا غير كامل الاحتشام، لا يتفق مع الأدب الإسلامي الذي فرضه الله تعالى على المرأة المسلمة.

وأنا أستغرب هذا في الحقيقة؛ فالمسلمة التي تأتي إلى هذا المسجد، ولا شك أنّها تريد وجه الله تعالى وتريد أن تستمع وتنتفع، ولعلّها غالبًا في فترة انتقال، لعلّ هناك نوعًا من المسلمات يريد أن يغيّر حياته؛ فهو في بداية الطريق.

ولذلك نرجو من الأخوات المؤمنات الملتزمات ألا يسارعن بالإنكار على هذا النوع؛ حتّى لا يهربن من مثل هذا الموقف، دعوهنّ، دعوا مثل هذه الأخت تحضر مرّة ثمّ مرّة، حتّى يفتح الله قلبها، ويشرح صدرها، ويهديها إلى التي هي أقوم.

مراعاة سُنّة التدرج:

لا بدّ أن نأخذ النَّاس بالتدرّج، لا بدّ أن نتعلم الحكمة والموعظة الحسنة، النَّاس جميعًا ليسوا في مرتبة واحدة، إنّ الله وصف الأُمَّة المصطفاة التي تتلقى القرآن بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، درجات ومراتب يجب أن

نراعيها، فمن كان في أول الطريق فلنسامحه حتّى يرقيه الله ﷻ - بهداية منه - إلى مرتبة أعلى، ثمّ مرتبة أعلى.

هناك بعض المقصّرين والمقصّرات علينا أن نأخذهم بالرّفق، و«إنّ الرّفق لا يكون في شيء إلّا زانه، ولا يُنزع من شيء إلّا شانه»^(١)، و«إنّ الله يحبّ الرّفق في الأمر كلّ»^(٢)، علينا أن نأخذهم بالرّفق وننصحهم؛ ليرتقوا من منزلة إلى ما هي أعلى منها.

بعض النّاس ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ كما أشارت الآية، أي أنّه يقصّر في بعض الواجبات، ويرتكب بعض المحرمات، ولكنّه قد ينتقل إلى المرتبة الأعلى، وهي مرتبة «المقتصد»، وهو الذي يقف عند حدود أداء الواجبات وترك المحرّمات، لا يزيد على الواجب شيئاً، ولا يزيد على ترك المحرم.

ولكنّه قد يرتقي إلى مرتبة أعلى، فيصبح «سابقاً بالخيرات بإذن الله»، لا يكتفي بأداء الواجبات، بل يفعل الشّن، ويفعل المستحبّات، ولا يكتفي بالوقوف عند ترك المحرمات، بل يترك المشتبهات، ويترك المكروهات؛ بل يترك بعض الحلال حذراً من الوقوع في الحرام، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتّى يدع ما لا بأس به حذراً ممّا به بأس»^(٣).

(١) رواه مسلم في البرّ والصّلة (٢٥٩٤)، وأحمد (٢٥٣٨٦)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.

(٣) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥١) وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٥٤٢١)، =

إنَّها مراتب ودرجات، فلا تطالبوا النَّاسَ أَنْ يكونوا كلُّهم في درجة واحدة، ولا تطالبوا المبتدئ بما يطالب به المتوسط، ولا تطالبوا المتوسط بما يطالب به المنتهي، ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩].

نسأل الله أَنْ يتوب علينا جميعاً، وأنْ يصلح فساد قلوبنا، وأنْ يعيننا على أنفسنا وعلى الشيطان.

اللهمَّ اجعل يومنا خيراً من أمسينا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهمَّ أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك.

اللهمَّ انصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهمَّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة الذين كفروا هي السفلى.

اللهمَّ انصر إخواننا المجاهدين في كلِّ مكان، اللهمَّ واخذل أعداء الإسلام في كلِّ مكان، اللهمَّ أدل دولهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

= والحاكم في الرقاق (٣١٩/٤) وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٥)، عن عطية السعدي.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وصلوا على نبيكم ﷺ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].
وأقم الصلاة.

* * *





صفات عباد الرحمن سؤال الله صلاح الأزواج والذرية والإمامة في الخير

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لَا زِلْنَا فِي رَحَابِ الْقُرْآنِ، نَعِيشُ فِي صَحْبَةِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَذَكَرَهُمْ فِي كِتَابِهِ، وَعَدَّدَ أَوْصَافَهُمْ، وَبَيَّنَّ أَحْوَالَهُمْ فِي نَهَارِهِمْ وَلَيْلِهِمْ، مَعَ أَنْفُسِهِمْ وَمَعَ رَبِّهِمْ وَمَعَ النَّاسِ، مَعَ النَّاحِيَةِ الْإِيجَابِيَّةِ، وَمَعَ النَّاحِيَةِ السَّلْبِيَّةِ، مَعَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَكَانَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْأَوْصَافُ الطَّيِّبَةُ، الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْفُرْقَانِ.

وَبَقِيَ مِنْ أَوْصَافِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ وَصِفَ وَاحِدٌ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ما معنى هذا الوصف؟

إِنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ، وَيَبْتَهِلُونَ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، يَسْأَلُونَهُ أَنْ يَهَبَ لَهُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ مَا تَقَرُّ بِهِ أَعْيُنُهُمْ، وَتَسُرُّ بِهِ قُلُوبُهُمْ، وَتَنْشُرَ لَهُ صُدُورَهُمْ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَقْدُودَ لِلْمُتَّقِينَ.

الدعاء يدلُّ على وجهة الإنسان، من كانت وجهته الدُّنيا انحصر دعاؤه وطلبه في الدُّنيا، ومن كانت وجهته الآخرة فهمه في الآخرة.

ذكر الله لنا مواقف بعض النَّاس في موسم الحجِّ، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ ليس له في الآخرة من حظٍّ ولا نصيب ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١]، الأولون مذمومون، وهؤلاء ممدوحون، محمودون؛ لأنهم جمعوا بين الحسنتين: حسنة الدُّنيا وحسنة الآخرة.

طموحات المؤمنين في أدعيتهم:

ومن أراد أن يعرف طموحات المؤمنين وآمالهم، ومتعلقات قلوبهم، وإلى أين تتجه أمانيتهم، فليتأمل أدعيتهم في القرآن سنجد هذه الأدعية تمثل ما يطمحون إليه، ما يحرصون عليه، ما يضعونه نصب أعينهم.

ف نجد الراسخين في العلم، كما ذكرهم الله في سورة آل عمران يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

نجد أولي الألباب - في خواتيم سورة آل عمران - يقولون: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

نجد الفتية المؤمنين من أهل الكهف يقولون حينما أواوا إلى كهفهم: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

نجد إبراهيم الخليل يتَّجه إلى ربِّه ويقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

هكذا نجد آمال المؤمنين في أدعيتهم.

الإنسان يدعو بما هو مشغول به، بما يهمله أمره، ولذلك لو تأملنا أدعية النبي ﷺ، واستعاذاته - ممّا استعاذ الله تعالى منه - سنعرف فيم يفكر، وإلام كان يطمح، وعلام كان يحرص.

لقد كان من دعائه ﷺ: «اللهمّ أضح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأضح لي دنياي التي فيها معاشي، وأضح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كلّ خير، واجعل الموت راحة لي من كلّ شرٍّ»^(١).

كان يدعو بأدعية جامعة، وكان يستعيد بالله من الشَّقاق والتَّفاق وسوء الأخلاق^(٢).

كان يستعيد بالله من جهد البلاء، ودرك الشَّقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء^(٣).

كان يستعيد بالله من الهمّ والحزن، ومن العجز والكسل، ومن الجبن والبخل، ومن غلبة الدين وقهر الرجال.

(١) رواه مسلم في الذكر (٢٧٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٦)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٧١)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٣٢)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في القدر (٦٦١٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٧)، عن أبي هريرة.

فمن هذا وذاك نعرف: كيف يفكر المسلم؟ وفيه يطمح؟ وإلام يقصد؟

وهذا هو شأن دعاء عباد الرحمن هنا، فقد عرفنا منه: فيم يفكرون؟ وإلام يرنون؟ وبماذا يدعون؟

لقد سجل القرآن من أوصافهم قبل ذلك: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] فدلّ هذا الدعاء على اهتمامهم بأمر آخرتهم وطلب نجاتهم من عذاب الله.

وفي هذا الدعاء اهتموا بأمر حياتهم، ولكنهم لم يهتموا بشهواتهم أو متعهم في هذه الدنيا، إنما اهتموا بأمر أعظم وأعلى وأبقى.

إنّ أهم ما دعوا الله ﷻ به، وما حرص القرآن أن يسجله في أوصافهم، أنّهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] أي أنّهم ليسوا مشغولين بأنفسهم وحدها، إنّهم حريصون على أن يمتدّ الخير والهدى فيمن حولهم، وأقرب الناس إليهم: أزواجهم وذرياتهم، فهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

يدعون الله أن يجعل لهم من أزواجهم: من نسائهم، ومن ذرياتهم: من أبنائهم وبناتهم وأحفادهم، ما تقرّ به أعينهم، وإنّما تقرّ أعينهم بهم إذا وفّقوا إلى طاعة الله وابتعدوا عن معصيته، إذا ساروا في طريق الخير.

قرة عين الإنسان المرأة الصالحة:

إنّما تقرّ عين الإنسان المؤمن بالمرأة صالحة تسرّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، وتحفظه إذا غاب، وتعينه على طاعة الله، تحرّضه على الإيمان بالله،

على تقوى الله، تحذّره من المعصية، ولا تقول له: ألسنت كفلان وفلان اللذين جمعوا الألوف والملايين؟ ما أخيبك من رجل! تعيّرهُ بالفقر فيركب مركب السوء فيهلك والعياذ بالله.

كانت المرأة من نساء السلف الصالح تقول لزوجها - إذا خرج إلى الكسب يضرب في الأرض ويتبغي من فضل الله - يا أبا فلان، إياك وكسب الحرام؛ فإننا نصبر على الجوع والطوى، ولا نصبر على حرّ النار وغضب الجبار^(١).

هذه الكلمة من امرأة صالحة تجعل الرجل يتوقف مائة مرّة ومرّة، حينما تراوده نفسه الأمّارة بالسوء أن يخوض في الحرام، ويرتكب الموبقات، ويقبل الرشوة، أو يأكل أموال الناس بالباطل، أو يحتكر أقوات الناس، أو يُغلي على الناس أسعارهم، إلى آخر ما يفعله الناس ليكسبوا من أي طريق.

ما أحوج المؤمن إلى امرأة تقول له: قف عند حدّ الله، تحرّر الحلال، اجتنب الحرام، بل اتق الشبهات: «فمن اتقى الشُّبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه»^(٢)، «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(٣).

(١) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ.

(٣) رواه أحمد (١٧٢٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في صفة القيامة والرقائق (٢٥١٨)، وقال: صحيح. والنسائي في الأشربة (٥٧١١)، وصحّح إسناده الحافظ في التعليل (٢١١/٣)، وصحّحه الألباني في الإرواء (١٢)، عن الحسن بن علي.

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة:

المرأة التي تقرُّ بها أعين عباد الرحمن هي المرأة الصالحة، التي قال عنها ﷺ: «الدنيا متاعٌ، وخير متاعها المرأة الصالحة»^(١).

ليس مجرد المرأة الجميلة، أو المرأة الغنيّة، أو المرأة الحسبية النسبية، قد يكون هذا ممّا يتزوَّج من أجله النَّاسُ، ولكن أهمّ من ذلك كلّ: المرأة المتدينة، التي تخاف الله، وتريد لزوجها أن يعيش في دائرة الحلال، ولأولادها أن يتربوا في عيشة من حلال.

هذه هي المرأة الصالحة، إنّها كنز عظيم يحرص النَّاسُ عليه.

جاء في الحديث: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيراً له من زوجة صالحة، إنّ أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرّته، وإن أقسم عليها أبرّته، وإن غاب عنها نصحتة في نفسها وماله»^(٢)، ثمّ تلا: ﴿فَالصَّالِحَتُ قَنِينَتٌ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤].

فهي عابدة لله قانتة ترعى حقَّ الله، وهي تحفظ غيبة زوجها: تحفظه في نفسه، وتحفظه في عرضه، وتحفظه في أسرارهِ وتحفظه في ماله، وتحفظه في ولده، كما جاء في الحديث: «خير نساء ركن الإبل». أي: من نساء العرب «صالح نساء قریش: أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده»^(٣). أي: تحرص على ماله، ومن حرصها عليه ألاّ يكسب هذا المال إلاّ من حلال، ولا ينمّي إلاّ بطريق حلال.

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٧)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه ابن ماجه في النكاح (١٨٥٧)، والطبراني (٢٢٢/٨)، وضعف سنده العجلوني في كشف الخفا (١٨١/٢) وقال: له شواهد تدل على أنّ له أصلاً. عن أبي أمامة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٨٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٢٧)، عن أبي هريرة.

هذه الزوجة هي قرّة العين لزوجها، وهي عنصر أساسي من عناصر السعادة في الحياة، كما قال ﷺ: «من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح»^(١).

وعنه ﷺ: «أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدُّنيا والآخرة: قلبًا شاكراً، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجة لا تبغيه خُونًا في نفسها وماله»^(٢).

هذا من خير الدُّنيا والآخرة، هذا خير ما يكتز الإنسان: المرأة التي تعينه على دينه وتكون عونًا معه على الشيطان، ولا تكون مع الشيطان عليه فيصبح معه شيطانان: شيطان من داخل نفسه، وشيطان من داخل بيته.

كانت المرأة من نساء السلف الصالح تحرّض زوجها على الجهاد، على البذل؛ ليخرج في سبيل الله؛ ليساهم في بناء الحضارة الإسلامية، وإقامة دولة الإسلام، وإعلاء كلمة الله في الأرض، ومقاومة الطواغيت الذين يتربّصون السوء بالأمة الإسلامية.

كانت تحرّضه على الجهاد، فإذا جاء المثبّطون يقولون لها: كيف تركك هذا الرجل؟ ومن أين تأكلين؟ وكيف ترزقين؟

فتقول لهم في إيمان الواثقة وثقة المؤمنة: إنّ أبا فلان - تعني: زوجها - منذ تزوجته عرفته أكّالًا وما عرفته رزاقًا، فلئن ذهب الأكّال لقد بقي الرزاق!

هذه هي المرأة التي تكون قرّة عين.

(١) رواه أحمد (١٤٤٥)، وقال مخرّجوه: صحيح. والطيالسي (٢٠٧)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٣٤/١١)، والأوسط (٧٢١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤١١٥)،

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤٣٧): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجال

الأوسط رجال الصحيح. عن ابن عباس. والحب هو: الإثم.

المرأة السوء مصدر النكد في حياة الناس:

أمّا المرأة الأخرى فهي من فواقر الدهر، كما جاء في الحديث: «ثلاثة من الفواقر». أي: من المصائب التي تكسر فقار الظهر: «إمام إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء إن رأى خيراً دفنه، وإن رأى سراً أذاعه». الخير يُغَطّي عليه، والشرُّ يذيعه في كلِّ مكان كأنه ميكرفون، لا يصبر على جاره ولا يراعي حقّه، «وامرأة إن حضرت آذتك، وإن غبت عنها خانتك»^(١). والعياذ بالله.

وكما جاء في الحديث الآخر: «المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»^(٢).

فهذه مصادر النكد في حياة الناس، في الداخل والخارج.

﴿رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

ومن أراد قُرَّةَ العين فعليه - من أوّل الأمر - أن يختار ذات الدين، التي تقرُّ عينه، وتشرح صدره، وتعينه في أمر دينه، كما جاء في الحديث الصحيح: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(٣).

أهم هذه الأربع التي يحرص الناس عليها: ذات الدين «فاظفر بذات الدين»؛ لتكون عوناً لك؛ لتكون معك في معركة الحياة ولا تدعك أبداً.

(١) رواه الطبراني (٣١٨/١٨)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٣): رواه الطبراني

بإسناد لا بأس به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٥٦٠): فيه محمد بن عصام بن يزيد، ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه، وبقيّة رجاله وثقوا. عن فضالة بن عبيد.

(٢) هو جزء من حديث سعد بن أبي وقاص، سبق تخريجه ص ٢١٣.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.



﴿رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

وكما يدعو الرجال بهذا، تدعو النساء - أيضًا. تدعو المرأة أن يهب الله لها زوجًا صالحًا، يأمرها بإقامة الصلاة والزكاة - كما كان يفعل إسماعيل عليه السلام ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥] - يدعوها إلى الخير، ويحذرها من الشر.

وليس كثير من أزواج هذه الأيام، الذين لا يهمهم صلاة نسائهم ولا صيامهن، ولا يسألون: أأقمن حدود الله أم ضيعنها؟ بل هناك من الأزواج من ضاع في طريق الشيطان، ويريد أن يضيع أهله معه.

ما أكثر ما تأتيني الرسائل، وما أكثر ما تأتيني المكالمات، تشكو من صنف من الناس، من رجل يحرض زوجته على المعصية، يأمرها أن تقدم له الطعام في نهار رمضان، بل تقدم له الخمر في نهار رمضان.

ما أكثر الأزواج الذين تشكو منهم زوجاتهم، يشكين من أفعاله، من تركهم الصلوات، واتباعهم الشهوات، وارتكابهم الموبقات.

فممّا تدعو به أمة الرحمن أيضًا: أن يهب الله لها زوجًا يقتر عينها، يعينها على الطاعة. فإن من أعظم الآفات: أن تبلى المرأة المؤمنة بزواج لا يخشى الله، لا ينحني ظهره لله راکعًا، لا يقيم فرائض الله، ولا يعظم شعائر الله.

ما أكثر ما نرى هذا في حياتنا!

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾.

يدعون الله بصلاح الأزواج، وصلاح الذرية.

إذا كان الإنسان يريد الخير، فأقرب من يرجو له الخير: زوجته، وذريته: أبنائه، بناته، أحفاده، يرجو لهم الهداية والخير.

سُئل الحسن عن «قرة الأعين» في هذه الآية: أهى في الدنيا أم في الآخرة؟ فقال: لا والله، بل في الدنيا.

وقال عكرمة في تفسير «قرة الأعين»: لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالاً، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين لله^(١).

قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا:

إنَّ المؤمن لا تَقْرُ عينه بمجرّد أن يكبر أولاده، ولا بمجرّد أن يكسبوا الأموال، أن يصبحوا من الأثرياء، أن يكون في أرصدتهم الملايين، ثمَّ يكون مصيرهم إلى النَّار وبئس القرار!

يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]، على كلِّ مؤمن أن يقي أهله النَّار كما يقي نفسه.

قوا زوجاتكم، قوا أبناءكم وبناتكم، احموهم من النَّار، أبعدهم عن طريق النَّار.

أَطمئنَّ يومًا، أو يثلج صدرك، إذا رأيت ولدك وفلذة كبذك في النَّار؟!!

هبه أصبح من أصحاب الملايين أو البلايين، أو من الكبراء والسلاطين: ما قيمة هذا إذا انتهى ماله إلى جهنم والعياذ بالله؟!!

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٤٨٤).

«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١).

الكلُّ رَاعٍ، عَلَيْهِ أَنْ يَرعى أَمَانَةَ اللَّهِ فِيما اسْتَرْعَاهُ، وَ«إِنَّ اللَّهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»^(٢).

وَأَقْرَبُ مَا يُسْأَلُ الْإِنْسَانُ عَنْهُ: أَهْلُهُ، أَوْلَادُهُ، زَوْجَتُهُ، ابْنُهُ، ابْنَتُهُ، هَؤُلَاءِ مَاذَا صَنَعْتَ مَعَهُمْ؟ هَلْ وَقَيْتَهُمُ النَّارَ؟ هَلْ عَلَّمْتَهُمُ الْخَيْرَ؟ هَلْ دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ؟ هَلْ حَذَرْتَهُمُ مِنَ الشَّرِّ، وَبَصَّرْتَهُمُ بِعَوَاقِبِهِ وَأَفَاتِهِ؟

﴿وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا لَا سَعْلَكَ رِزْقًا تَحْنُ رِزْقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلنَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

الابن العاق من مكدرات الحياة:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

ومما يجعلهم قُرَّةَ عَيْنٍ: أَنْ يَكُونُوا بَرَّةً، يَعْرِفُونَ حَقَّ آبَائِهِمْ وَأُمَمَاتِهِمْ، كَمَا يَعْرِفُونَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ مِنْ مَكْدَرَاتِ الْحَيَاةِ أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ ابْنًا عَاقًا، يَتَعَبُ فِي تَرْبِيَّتِهِ، وَيَكْذَحُ فِي السَّعْيِ عَلَيْهِ، حَتَّى يَصْبَحَ شَابًّا قَوِيًّا مَفْتُولَ الذَّرَاعَيْنِ، فَإِذَا هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَنَكَّرُ لِأَهْلِهِ، يَتَنَكَّرُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَقَدْ يَتَطَاوَلُ عَلَيْهِمَا بِالْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، وابن

حبان في السير (٤٤٩٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرطهما. وصحَّح إسناده

الحافظ في الفتح (١١٣/١٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١). عن أنس.

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

طالما شكا الناس قديماً وحديثاً من عقوق الأولاد الذين لا يعترفون
بالجميل لأهله، وكثيراً ما يفعل الولد هذا طاعة لامرأته، أو طاعة
لشيطانه، أو طاعة لهواه.

وهذا من أسباب البلاء، كما جاء في حديث الترمذي: «إذا فعلت أمتي
خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء - وذكر منها -: وأطاع الرجل زوجته،
وعقَّ أمه، وبرَّ صديقه، وجفا أباه»^(١). ليس هذا من شأن الإنسان المؤمن.
شكا أحد الشعراء قديماً ابناً عاقاً له فقال:

غَذَوْتُكَ مَوْلودًا وَعُلْتُكَ يافعًا	تَعَلُّ بِمَا أُسْدِي إِلَيْكَ وَتَنْهَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوِ لَمْ أَبْتَ	لِشَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلَمَلُ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي	طَرِقتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنِي تَهْمَلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي	إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاطَةً	كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ ^(٢) !

هذا لا يكون قرّة عين أبداً، إنّما يكون نكدًا وغصّة في حلق أبيه.

نكران الجميل شيء يؤذي النفس، ويجرح القلب، ولا سيما إذا جاء
من أقرب الناس إليك، إذا طُعنْتَ من أحبِّ الناس إليك، وأعزَّهم عليك:
من ابنك، من بنتك، من زوجتك، من أقاربك.

(١) سبق تخريجه ص ١٣٠.

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١٨٠ وما بعدها، تحقيق سجع جميل الجبيلي، نشر دار صادر،
بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.

ولهذا سأل عباد الرحمن ربّهم أن يجعل لهم من أزواجهم وذرياتهم قرّة أعين، ويؤدّون حقّ الله، ويؤدّون حقّ الأبوين: ﴿رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

هم أيضًا أرادوا أن يمتدّ الخير في النَّاس، وأن يكون لهم مكان في عالم الخير والهدى، وأن يكونوا أئمة للمتقين، وهذا طموح لا غبار عليه؛ لأنّه ليس طموحًا يتعلّق بالدنيا، ولا يتعلّق بالدرهم والدينار، ولا بالمناصب، وإنما يريدون أن يكونوا قدوة لأهل الخير، يقتدي بهم النَّاس، ولا حرج من أن يسأل المؤمن ربّه أن يكون إمامًا في الخير.

والإمامة نوعان: إمامة في الخير، وإمامة في الشرّ:

والأئمة نوعان: أئمة يدعون إلى الجنّة، وأئمة يدعون إلى النَّار، والعياذ بالله.

وصف الله أئمة الخير بقوله في بعض رسله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدٌ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقال في جماعة آخرين: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فمن أراد الإمامة فعليه أمران: الصبر، واليقين، الصبر في مقاومة الشهوات، واليقين في مقاومة الشبهات، وبذلك يستقيم فكره، ويستقيم سلوكه.

هذا شأن أئمة الخير.

أَمَّا أئِمَّةُ الشَّرِّ فَمِثْلُ: فرعون وهامان وقارون، وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ،
الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصُرُونَ﴾ [القصص: ٤١].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَّةً﴾ ولكن أي إمامة هذه؟ إنها إمامة في الشرِّ، في الطغيان.

﴿يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ﴾ ما أكثر الأئمة الذين يدعون إلى النار اليوم،
يدعون بأقلامهم، يدعون بالسنتهم، يدعون بأفكارهم، يدعون بكتبهم،
بصحفهم، بأقلامهم ومسلسلاتهم، أئمة يدعون إلى النار، من أجابهم إلى
دعوتهم قذفوه فيها، كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه: «دعاة على أبواب
جهنم، من أجابهم إليها، قذفوه فيها»^(١).

أحرص أخي المسلم على أن تكون من عباد الرحمن، الذين يتطلعون
إلى هذه المقامات العلى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

اللهم اجعلنا من هؤلاء، اللهم اجعل لنا حظًا من هذه الإمامة، يا رب
العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور
الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٠٦)، ومسلم في الإمامة (١٨٤٧).

الخطبة الثانية

أما بعد:

أحبُّ أنْ ألفت أنظار الإخوة المصلين إلى أنَّ الظهر قد بَكَر الآن، فعلينا أنْ نبدأ مبكرين، ولا يتخلف المصلي حتَّى يُؤذَّن الظهر، ويصعد الخطيب على المنبر؛ فإنَّه بهذا يُحرم أجراً كثيراً.

فضل التذكير إلى الجمعة:

وقد جاء في الحديث الصحيح: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المُهَجَّر كمثله الذي يهدي بدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طوا صحفهم يستمعون الذِّكْر»^(١).

معنى هذا أن «سجلَّ الدوام» قد طوي، ومن أتى بعد ذلك يُعتبر كأنَّه أتى متأخراً عن الموعد، فيوجه إليه بعض اللوم، أو على الأقل يُحرم حين ذلك من أجر التذكير.

فأرجو من الإخوة أن يراعوا هذا إن شاء الله.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنَّك سميع قريب مجيب الدعوات.

اللهم اكْرِمنا ولا تُهِنَّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزِدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٩٢٩)، ومسلم (٨٥٠)، كلاهما في الجمعة، عن أبي هريرة.



﴿رَبَّنَا ءَانِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وصلُّوا على نبيكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وأقم الصلاة.





جزاء عباد الرحمن

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضْعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْبُؤُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا نَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا *﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٦].

هؤلاء هم عباد الرحمن، الذي عشنا في صحبتهم عددًا من خطب الجمعة الماضية، عرفنا أخلاقهم في ليلهم ونهارهم، مع أنفسهم، ومع ربهم، ومع الناس، عرفنا كيف يصنعون في أوامر الله إذا أمرهم، وكيف يصنعون في نواهيه إذا نهاهم، عرفنا كيف يقفون عند حدود الله في أمره ونهيه وحلاله وحرامه. عرفنا أوصاف عباد الرحمن، وأخلاق عباد الرحمن، وأشواق عباد الرحمن، وطموحات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

جزاء عباد الرحمن أعلى الجنة:

وبقي أن نعرف ما جزاء عباد الرحمن، الله تعالى يقول: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾. الغرفة هي الجنة أو المكان العالي في الجنة، هذا جزاؤهم، ﴿جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [آل عمران: ١٣٦]. جزاؤهم ليس جزاء محدودًا، ولا جزاء فانيًا، إنه جزاء لا يُحَدُّ ولا يفنى، إنها جنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

التحية والسلام من رب العالمين ومن الملائكة:

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ تحية وسلامًا من الملائكة، حديث يدخلون عليهم مَحِيَّينَ مُسَلِّمِينَ، وتحية وسلامًا من رب الملائكة ورب المؤمنين، من الله العزيز الرحيم: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، هذه تحيتهم، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦]، هذه تحيتهم يوم القيامة. تحية المؤمنين في الدنيا السلام، وفي الآخرة السلام، في دار السلام، من الملك القدوس السلام.

﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا نَحْيَةً وَسَلَامًا﴾، يُحْيِيهِمُ اللَّهُ، وَتَحْيِيهِمُ مَلَائِكَتُهُ، وَيَسْلَمُونَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ دَخَلُوا دَارَ السَّلَامِ، دَارَ سَلَامٍ لَا عَذَابَ فِيهَا، وَلَا خَوْفَ فِيهَا، وَلَا حُزْنَ مَعَهَا، لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦]. أَمِنُوا مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ، وَظَفَرُوا بِكُلِّ مَحْبُوب. هُنَاكَ النِّعَمُ الَّذِي لَا بُؤْسَ بَعْدَهُ، وَالشَّبَابُ الَّذِي لَا شَيْخُوخَةَ بَعْدَهُ. هُنَاكَ الْفَرَحُ الَّذِي لَا يَعْتَرِيهِ حُزْنٌ، هُنَاكَ الْخُلْدُ الَّذِي لَا يَعْتَرِيهِ فَنَاءٌ، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

النعيم المقيم والرضوان الدائم:

كُلُّ لَذَاتِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا يُنْغَصُّ عَلَيْهَا أَنَّهَا فَانِيَةٌ غَيْرُ بَاقِيَةٍ، مَنْقُطَةٌ غَيْرُ دَائِمَةٍ، فَهَمَّا أُوتِيَتْ مِنْ نِعَمٍ، وَمَهْمَا أَتَاكَ مِنْ رِفَاحِيَةٍ، لَا تَدْرِي مَتَى يَزُولُ عَنْكَ أَوْ مَتَى تَزُولُ عَنْهُ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَزَلْ عَنْكَ زِلْتَ أَنْتَ عَنْهُ، ﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴿[النساء: ٧٧، ٧٨]. أَمَّا نعيم الجنة فهم خالدون فيها خلودًا أبدًا لَا يَنْقُطُ، ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوزٍ﴾ [هود: ١٠٨]، غَيْرُ مَقْطُوعٍ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ. هَذَا هُوَ نعيم الجنة الَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ، عِبَادِ الرَّحْمَنِ.

نعيم مقيم دائم أبدي لَا يَنْقُطُ وَلَا يَزُولُ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١].

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾، وَأَيُّ مُسْتَقَرٍّ أَحْسَنَ، وَأَيُّ مُقَامٍ أَفْضَلَ وَأَعْظَمَ مِنْ مُقَامِ الْإِنْسَانِ فِي الْجَنَّةِ؟ مِنْ مُقَامِ الْإِنْسَانِ فِي مَكَانٍ يَرْضَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ رِضًا لَا يَسْخَطُ بَعْدَهُ أَبَدًا؟ ﴿وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْنَهَا الْأَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴿١٠﴾ رضوانٌ من الله أكبر من المساكن والطيبات واللذات والحدود العين، وكل ما في الجنة رضوان الله تعالى أعظم وأكبر منه.

رؤية عباد الرحمن ربهم:

﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]، رؤية الله ﷻ حيث يُحَجَّب الآخرون ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، هم ينعمون برؤية الله لا يضارون في رؤيته، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، نظراً لا يُعرف له كُنْه، لا نستطيع أن نصفه. ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٢، ٢٣]. ماذا ينظرون؟ إنَّ أعظم ما ينظرون إليه هو وجه الله تبارك وتعالى، ﴿وَجُوهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. أمَّا كيف ينظرون فلا نسأل عن كيف، ولا نسأل عن الكُنْه، ولكنها النعمة العظمى، التي يمنُّ الله بها على عباده، يرضى عنهم ويُرِيهم وجهه ويتجلَّى عليهم بما لا يوصف ولا يُعرف له كُنْه ولا حقيقة. ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ هذا هو شأن عباد الرحمن.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾. أين هذا ممَّا رأيناه في شأن الآخرين في جهنم وقد ساءت مستقرًّا ومقامًا.

ذلك جزاؤهم بما صبروا:

ولقد سأل عباد الرحمن ربهم: ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١١﴾. جهنم ساءت مستقرًّا ومقامًا، والجنة حسنت مستقرًّا ومقامًا.

وَحَقَّ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا هَذِهِ الْجَنَّةَ؛ فَقَدْ دَخَلُوهَا بِمَا صَبَرُوا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾. انظروا: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾؛ أَكَّدَ الْقُرْآنُ هُنَا قَضِيَّةَ الصَّبْرِ. وَفِي سُورَةِ الْإِنْسَانِ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]. وَفِي سُورَةِ الرِّعْدِ يُحَدِّثُنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أُولَى الْأَبَابِ حَيْثُ تَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَمَعَهُمُ الصَّالِحُونَ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ * سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿[الرعد: ٢٣، ٢٤]. وَهَذَا يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ طَرِيقَ الْجَنَّةِ لَيْسَ مُحْفُوفًا بِالْوُرُودِ وَإِنَّمَا هُوَ مَلِيءٌ بِالْأَشْوَكَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١).

الطريق إلى الجنة يبدأ بالإيمان:

الجنة لا بدَّ أَنْ تَسْلُكَ لَهَا طَرِيقَهَا، وَتَسْعَى لَهَا سَعِيَهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ وَجَّكَ: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

طَرِيقُ الْجَنَّةِ طَرِيقٌ طَوِيلٌ، يَبْدَأُ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِالْإِيمَانِ، بِالْعَقِيدَةِ السَّالِمَةِ، بِالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِلَّهِ وَجَّكَ، بَعِيدًا عَنِ الشَّرْكِ أَكْبَرِهِ وَأَصْغَرِهِ، جَلِيَّةً وَخَفِيَّةً، الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، يَقُولُ اللَّهُ وَجَّكَ: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿[الحديد: ٢١]. جَنَّةٌ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَمَا بَالُكَ بِطَوْلِهَا؟ ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾.

(١) رواه مسلم في صفة الجنة (٢٨٢٢)، وأحمد (١٢٥٥٩)، عن أنس.

وعلى رأس هؤلاء الرسل محمد ﷺ، فلا بدّ من الإيمان بالله ورسوله، والرضا بحكم الله ورسوله، فلا إيمان إذا لم يكن هناك قبول ورضاً وتسليم بما حكم الله ورسوله به: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، الذي يدّعي الإيمان ويرفض شرع الله، يرفض حكم الله، يرفض حدود الله، هذا ليس بمؤمن.

الإيمان أن تؤمن بالكتاب كلّ، لا أن تأخذ منه العبادات وترفض المعاملات، أن تأخذ منه الأخلاق وترفض الحدود، لا، إنّ الذي قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، هو الذي قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]، هو الذي قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦]. لا بدّ أن تأخذ الإسلام كلّ والقرآن كلّ. هؤلاء الذين يرفضون أحكام الله في بعض الأمور ليسوا بمؤمنين؛ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]. لا يتعاملون على الله، ولا يتفاتحون على الله، ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]. أنتم أعلم من الله بخلقه؟ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، أنتم أرحم من الله بخلقه؟ وهو أرحم من الوالدة بولدها. أنتم أبرّ من الله بخلقه؟ وهو أبرّ بهم من أنفسهم؛ لأنّه يعلم من مصالحهم ما لا يعلمونه من أنفسهم.

التقوى ثاني المراحل في الطريق إلى الجنة:

المرحلة الأولى في الطريق إلى الجنة مرحلة الإيمان، ثم تأتي مرحلة التقوى، ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣]،

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، لا بد أن يجوز الإنسان مرحلة التقوى، أن يتقي الله في أعماله كلها، سرّها وعلنها، ظاهرها وباطنها، مع الله ومع الناس. ولذلك وصف الله المتقين بقوله: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكِبَاطِينِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٤، ١٣٥].

فتح لنا الباب؛ حتّى لا نظنّ أنّ التقوى عِفة من كلّ معصية وأنّ المتقين ملائكة أطهار أو أنبياء معصومون، لا؛ المتقون قد يقعون في المعاصي، وقد يتورّطون في الذنوب، وقد تزل أقدامهم وتوسوس لهم شياطينهم، فإنّهم بشر من البشر، مخلوقون من الطين والطين لا يخلو من الكدر، إنهم أبناء آدم وآدم قد نسي ولم يجد له ربّه عزماً، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١]، ولكنّ ميزة المتقين أنّهم سرعان ما فتشوا قلوبهم، وتتيقظ ضمائرهم، ويرجعون إلى ربهم يقرعون بابه تائبين مستغفرين، يقولون ما قال أبوهم آدم وأمهم حواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، يقولون ما قاله يونس ذو النون في بطن الحوت وقد أحاطت به الظلمات: ظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة بطن الحوت، يقول في الظلمات: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ومزية المتقين على غيرهم أنّهم لا يستمرّون المعصية، ولا يستمرون فيها، وإنّما يعودون إلى الله سراعاً، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ * أي: الكبائر ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بصغيرة من الصغائر ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ * ذكروا

جلاله، ذكروا حسابه، ذكروا رقابته، ذكروا جنّته وناره، ﴿فَاسْتَغْفِرُوا
لِدُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. انظروا إلى هذه الجملة المعترضة:
﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾. إذا لم يستغفروا ربّهم فمن يستغفرون؟
إذا لم يطلب منه العبد فممن يطلبون؟ ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾ * أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿[آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

المرحلة الثالثة في الطريق إلى الجنّة: طهارة النفس وحسن الخلق:

وبعد مرحلة التقوى تأتي مرحلة التخلّق، الخلق الحسن، الخلق
الفاضل؛ الجنّة لا يدخلها إلا الطيّبون، فهي دار طيبة لا يدخلها إلا
نَفْسٌ طَيِّبَةٌ، ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا
خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

خبثاء الأنفس، الذي خبث نفسه بالكبر أو بالحسد أو بالحقّد أو
بالغرور أو بالرياء أو بالعُجب أو بغير ذلك من المهلكات الأخلاقية، من
خبث نفسه، من لوّث نفسه بالردائل لا يدخل الجنّة، لا بدّ أن يتطهّر قبل
أن يدخلها، فإمّا أن يتطهّر في الدُّنيا بالتوبة والاستغفار، وإما أن يتطهر
في الآخرة بعذاب النار؛ لا بدّ من التطهّر.

هناك ألوان للتطهّر، وجعل الله أمامنا أحد أنهار التطهر الكبرى، إنّه
نهر التوبة والاستغفار. وهناك نهر المصائب المُكفِّرة، وهناك وهناك.

على الإنسان المؤمن إذا وقع منه شيء من أخلاق الكُفَّار أو الفُجَّار
أن يحاول تطهير نفسه من هذا الخبث.

النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»^(١). وقال عن أناس كثيرين: إنهم لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا. القساة الجبارون الذين يُعَذِّبون الناس، الجلادون الذين في أيديهم سياط كأذنان البقر يضربون بها الناس لا يدخلون الجنة. النساء الكاسيات العاريات المُميلات المائلات، قال عنهن رسول الله ﷺ: «لا يدخلن الجنة، ولا يجذن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»^(٢). قاطع الرحم لا يدخل الجنة^(٣)، «القَتَات (النَّمَام) لا يدخل الجنة»^(٤)، من مات غاشاً لرعيته حرَّم الله عليه الجنة^(٥)، الديوث لا يدخل الجنة، المرأة التي تتشبه بالرجل لا تدخل الجنة^(٦)، إلى آخر هذه الأوصاف. إنما يريد الإسلام أخلاقاً مُعَيَّنة تؤهل صاحبها لدخول الجنة. فهذه مرحلة ثالثة.

- (١) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.
- (٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذنان البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجذن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». رواه مسلم في اللباس (٢١٢٨).
- (٣) إشارة إلى حديث جبير بن مطعم: «لا يدخل الجنة قاطع». متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٦).
- (٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٥٦)، ومسلم في الإيمان (١٠٥)، عن همام بن الحارث.
- (٥) إشارة إلى حديث معقل بن يسار: «ما من والٍ يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة». رواه البخاري في الأحكام (٧١٥١).
- (٦) إشارة إلى حديث ابن عمر: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء». رواه النسائي في الزكاة (٢٥٦٢)، والبزار (٦٠٥٠)، والحاكم في الإيمان (٧٢/١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٣).

المرحلة الرابعة: الصبر على عقبات الطريق:

وهناك مرحلة رابعة: مرحلة الدعوة والجهاد وتبليغ الرسالة ونشر فكرة الحق، ومقاومة الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه تُعَرِّض صاحبها لبلاء أيّ بلاء! تُعَرِّضه لاضطهاد الناس وإيذائهم، قد يُؤذَى بالقول ويؤذَى بالعمل، وقد يُصَبُّ عليه البلاء صَبًّا، وقد يقول عنه الناس الأقاويل وتُرمى عليه التُّهم من كلِّ جانب. وهذا هو طريق النبيين والمرسلين. وقد قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنِىْ أَقِمِ الصُّلُوَّةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]. ما دمت تأمر وتنهى وتدعو، فلا بدّ أن توطّن نفسك على الصبر. إنّ النَّاسَ لا يحبّون من ينصح لهم، ولا من يأمرهم بالخير أو ينهاهم عن الشرّ. إنّ النَّاسَ يُحِبُّونَ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَجَامِلُونَهُمْ بِالْبَاطِلِ، يَمْدَحُونَهُمْ وَهُمْ لَا يَسْتَحِقُّونَ الْمَدْحَ، وَيَبْشُرُونَ فِي وَجُوهِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ تَلْعَنُهُمْ. النَّاسُ يُحِبُّونَ الْمَجَامِلَاتِ، وَلَا يُحِبُّونَ كَلِمَةَ الْحَقِّ؛ وَلِهَذَا، فَإِنَّ مَنْ يَحْمِلُ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ وَرَبِّهِ يَتَعَرَّضُ لِلْأَذَى، وَيَتَعَرَّضُ لِلْبَلَاءِ، وَلَكِنْ هَذَا لَا بَدَّ مِنْهُ لِمَنْ نَشَأَ فِي طَرِيقِ الْجَنَّةِ. يَقُولُ اللَّهُ وَرَبُّهُ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤]. ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾: الفقر في أموالهم، والضرر في أبدانهم، العذاب والضرب والآلام، والزلزلة في نفوسهم، من كثرة ما يصيبهم تتزلزل الأنفس، كما وصف الله تعالى المؤمنين في غزوة الخندق: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١].

﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾. هذا هو طريق الجنة، كما قال ابن القيم يخاطب الضعفاء والمهازيل من الناس الذين يريدون الجنة بلا ثمن، قال: «يا مُخَنَّثَ العزم، الطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأُضْجِع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبت في السجن بضع سنين، ونُشِرَ بالمنشار زكريّا، وذُبِحَ السيّد الحُصُور يحيى، وقاسى الضرّ أيّوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى مُحَمَّدٌ»^(١). طريق طويل، هذا هو طريق الجنة. من أراد الجنة فليسع لها سعيها وليصبر على طريقها، ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾، ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤].

إنّه لا بدّ من صبر على طاعة الله، على عبادته، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

ولا بدّ من الصبر عن معصية الله، لا بدّ أن تصبر عن المعاصي، وهي تشربُ إليك بأعناقها وتقف في طريقك، وخاصّة في هذا العصر الذي كثرت فيه المغريات بالشرّ والمُعَوَّاتُ عن الخير. اذهب إلى أيّ مكان في العالم ستجد الشرّ أمامك من كلّ جانب محيط، وتجد فُرَصَ الشرّ هنا وهناك، عن يمين وعن شمالٍ وعن أمامٍ وعن خلف، يغرونك ويُحَرِّضونك على معصية الله؛ لهذا كان الشاب في حاجة إلى إرادة قويّة، إلى صبر عن المعصية، صبر كصبر يوسف عليه السلام، حينما جاءت له المعصية تسعى على قدميه، حينما راودته التي هو في بيتها عن نفسه،

(١) الفوائد ص ٤٢، نشر دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

وهيأت الأسباب ﴿وَعَلَقْتَ الْأَبْؤَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

لا بدّ من صبرٍ على طاعة الله، ولا بدّ من صبر عن معصية الله، ولا بدّ من صبر بعد ذلك على أقدار الله، على بلاء الله. ما يصيب المسلم من بلاء فلا بدّ أن يصبر عليه، والدنيا دار بلاء من أولها إلى آخرها.

جُبِلْتُ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفَوْا مِنَ الْآلَامِ وَالْأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارٍ^(١)

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢]، الدُّنْيَا قَائِمَةٌ عَلَى الْإِبْتِلَاءِ، محفوفة بالبلاء من يوم وُلِدَ فِيهِ الْإِنْسَانُ إِلَى يَوْمٍ يَمُوتُ. فهو مُتَعَرِّضٌ إِمَّا لِبَلِيَّةٍ نَازِلَةٍ بِنِعْمَةٍ زَائِلَةٍ، وَإِمَّا لِمَصِيبَةٍ قَاتِلَةٍ، تنزل به المصائب في نفسه، في أهله، في أحبائه، في أقرب الناس إليه، فلا بدّ أن يصبر، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿[البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

ثمّ من بعد ذلك لا بدّ من الصبر على الدعوة إلى الله، ومشاقّ الدعوة إلى الله، الصبر على القول الحقّ، ولذلك وصف الله المؤمن بقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. لا بدّ من هذا الصبر؛ حتّى يستحقّ النَّاسُ الْجَنَّةَ، من أراد الجنّة فليصبر على طريقها، يُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَتَحَمَّلَ فِي سَبِيلِهَا، ليعرف منهاجاً أمامه واضحاً، ليعرف ماذا له وماذا عليه، ماذا عليه لربّه، وماذا عليه لنفسه، وماذا عليه لبيته، وماذا عليه لجيرانه، وماذا عليه لوطنه، وماذا عليه لأُمّته الكبرى، وماذا عليه لهداية

(١) من قصيدة لأبي الحسن علي بن محمد التهامي، يرثي فيها ولده، انظر: الكشكول للعالملي

(٢/٢٠٥ - ٢٠٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

الإنسانية، ماذا عليه في هذا كله، وماذا يستطيع أن يُقدِّم. هذا كله يحتاج إلى صبرٍ طويل. فمن أراد الجنة فعليه بهذا، وعليه بالصبر. وأمّا من لم يرد الجنة فله شأنٌ آخر. من أراد أن يكون من عباد الرحمن فهذا طريقهم، من أراد أن يكون منهم يرجع إلى خواتيم سورة الفرقان وليقرأ هذه الآيات بتدبُّر، يقرأها قراءة من يريد أن يعمل، قراءة من يحرص على أن يعمل.

حاسب نفسك هل أنت من عباد الرحمن حقًا؟

ماذا عندك من صفات عباد الرحمن، حاسب نفسك:

كم صفة من صفاتهم تتحقق فيك؟

أأنت من الذين يمشون على الأرض هونًا؟

أأنت من الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا؟

أأنت من الذين يبيتون لرَبِّهم سُجَّدًا وقيامًا؟

أأنت من الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا؟

أأنت من الذين لا يقتلون النفس ولا يزنون؟

أأنت من الذين لا يشهدون الزور وإذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كرامًا؟

حاسب نفسك، عسى أن تكون من عباد الرحمن.

ومن أراد أن يكون منهم وُفِّق، وإذا صدق العبد وضح السبيل، ومن سار على الدرب وصل، ومن طلب توفيق الله وفقه الله.

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباد الرحمن، وأن يجعل مستقرنا الجنة، إنها حُسْنُ مستقرٍّ ومُقامًا.

وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وادعوه يَسْتَجِبْ لكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، بيده الملك، وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، السراج المُنِير والبشير النذير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الَّذِينَ آمَنُوا به وعزَّروه ونصروه واتَّبَعُوا النور الَّذِي أَنزَلَ معه أولئك هم المفلحون. ورضي الله عَمَّن دعا بدعوته واهتدى بسُنَّته وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

البدع في ليلة النصف من شعبان^(١):

يسألني بعض النَّاس عن ليلة النصف من شعبان، وعمَّا يحدث في بعض البلاد من إحياء ليلة النصف من شعبان بقراءة سورة يس عدَّة مرَّات، وصلاة ركعتين بنيَّة طول العمر، وركعتين بنيَّة الغنى، وقراءة دعاء معيَّن. وهذا كلُّه لم يرد عن النبي ﷺ، ولا عن صحابته، ولا عن خير القرون.

والأولى في هذه الأمور أن نقف عند ما ورد.

وكلُّ خيرٍ في اتِّباعٍ مَن سَلَفٌ وكلُّ شرٍّ في ابتداعٍ مَن خَلَفٌ^(٢)

(١) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٣٧٩/١ - ٣٨١)، فتوى: دعاء نصف شعبان، نشر دار القلم، الكويت، ط ٩، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) من جوهرة التوحيد للقاني، انظر: شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص ٤٣٦، تحقيق د. عبد الفتاح البزم، نشر دار ابن كثير، دمشق.

ولو كان في هذا خيرٌ، لصنعه أصحاب النبي ﷺ، ونُقل عنهم وتواتر النقل عنهم، ولن نكون أهدي من أصحاب مُحَمَّد ﷺ.

على أَنَّ الدعاء الَّذِي يذكرونه مليء بالتناقضات والأغلاط، وهو مخالف لما في القرآن ولما جاء عن النبي ﷺ. يخالف القرآن لأنَّ في هذا الدعاء: «إلهي بالتجلي الأعظم، في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم، الَّتِي يُفَرِّقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ وَيُيَرِّمُ». وهذا وصفٌ لليلة القدر، الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ * فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿ [الدخان: ٣، ٤]، الليلة الَّتِي يُفَرِّقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ هي في رمضان وليست في نصف شعبان. فهذا خطأ.

وخطأ آخر: أَنَّهُ يَقُولُ: «إِنْ كُنْتَ كَتَبْتَنِي عِنْدَكَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ شَقِيًّا أَوْ مَحْرُومًا... إلخ، فامْحُ اللَّهُمَّ شِقَاوَتِي وَحَرْمَانِي...» والنبي ﷺ يقول: «لا يقولن أحدكم: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ»^(١). يعني لا تقل: إِنْ شِئْتَ. قل: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي. لا يُعْلَقُهَا عَلَى «إِنْ» وَعَلَى «إِذَا».

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى، وَأَصْلِحْ لَنَا مَا بَقِيَ، وَاجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، وَاجْعَلْ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ انصُرْ الْإِسْلَامَ وَأَعِزِّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ هِيَ الْعُلْيَا، وَاجْعَلْ كَلِمَةَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ هِيَ السُّفْلَى.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٩) عن أبي هريرة.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
وأقم الصلاة.



معركة الحجاب في فرنسا

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

فِي الْأَسْبُوعِ الْمَاضِي سَافَرْتُ إِلَى فَرَنْسَا، إِلَى بَارِيْسَ؛ لِأَحْضُرَ وَأَشَارِكُ فِي حِوَارٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْفَرَنْسِيِّينَ، أَوْ بَيْنَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ وَمَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ مَعْظَمُهُمْ مِنَ الْفَرَنْسِيِّينَ^(١).

الحوار فريضة إسلامية:

وَنَحْنُ نَرْحُبُ بِالْحِوَارِ، بِالْحِوَارِ مَعَ الْمَخَالَفِينَ، أَيَّا كَانَ هَؤُلَاءِ الْمَخَالَفُونَ، وَخُصُوصًا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْهُمْ، فَنَحْنُ تَجْمَعُنَا مَعَهُمْ عِدَّةُ رَوَابِطَ: إِنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فِي الْجُمْلَةِ، وَيُؤْمِنُونَ بِالنُّبُوتِ وَرِسَالَاتِ السَّمَاءِ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، وَيُؤْمِنُونَ بِوُجُوبِ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْقِيَمِ الرُّوحِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِيَّةِ، فَهَنَّاكَ قَوَاسِمَ مُشْتَرَكَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ.

وَنَحْنُ الْمُسْلِمِينَ مُطَالِبُونَ بِأَنْ نَدْعُوَ إِلَى دِينِنَا، وَأَنْ نَحَاوِرَ الْآخَرِينَ

(١) كَانَ ذَلِكَ فِي أَكْثُوبَرِ ١٩٩٤مَ، وَكَانَ لِتِلْكَ الْمَشَارَكَةِ فِي الْحِوَارِ أَثَرٌ إِيجَابِي بَارِزٌ، فَقَدْ اسْتَطَعْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ أَنْ أَقْنَعَ الْحَاضِرِينَ بِمَفَاهِيمِ الْإِسْلَامِ الرَّاقِيَةِ فِي الْعَدِيدِ مِنَ الْجَوَانِبِ.

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالحوار مع
الآخر فريضة إسلامية، دعا إليها القرآن الكريم.

حوارٌ بالتي هي أحسن:

والقرآن هنا يطالب أن يكون الجدل والحوار بأحسن الأساليب، وأرقّ
الوسائل وألطفها، فإذا كانت هناك وسيلتان أو طريقتان للحوار، إحداها حسنة
والأخرى أحسن منها، فنحن المسلمين مأمورون أن نتبع التي هي أحسن.

في الموعظة اكتفى القرآن بأن تكون موعظة حسنة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ولكنّه في الجدل
والحوار لم يكتفِ إلّا بالتي هي أحسن: ﴿وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، لماذا؟

لأنّ الموعظة تكون مع الموافقين، والحوار والجدال يكون مع
المخالفين، ويكفي الموافق أن تعظه موعظة حسنة، ولكن المخالف
لا بدّ أن تسلك إليه أحسن السبل؛ حتّى تصل إلى قلبه، وتدخل إلى
عقله، وتحاول إقناعه واستمالته إلى صفك، وإلى صراطك المستقيم.

نماذج قرآنية من أساليب الحوار:

ومن هنا نجد القرآن الكريم يقول في حوار المشركين، على لسان
النبي ﷺ: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: ٢٤]، أحد
الفريقين لا بدّ أن يكون على هدى والآخر في ضلال مبين، وهو متأكد
ومستيقن أنّه على الهدى وأنهم على الضلال، ولكنّه حين يجادل
الآخرين لا يقول لهم مباشرة: أنتم على الضلال، إنّما يخاطبهم بهذه
الصيغة: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

ويقول في هذا السياق: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥].

كان مقتضى المقابلة في السياق أن يقول: قل: لا تُسألون عما أجرمنا ولا تُسأل عما تجرمون، ولكن القرآن لم يشأ أن يصفهم بالإجرام، يريد أن يصل إلى قلوبهم، فلم ينسب إليهم الإجرام، قال عن المسلمين: لا تُسألون عما أجرمنا، ولكنه لم يقل: ولا تُسأل عما تجرمون، وإنما قال: ﴿وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

حوار أهل الكتاب:

القرآن يأمر بحوار أهل الكتاب بالتي هي أحسن: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أي: اذكروا عند الجدل بالتي هي أحسن نقاط الاتفاق، المواضع التي تتفقون فيها بعضكم مع بعض، ولا تذكروا نقاط التباين والتمايز والاختلاف؛ ليقرب بعضكم من بعض: ﴿وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

على هذا الأساس رحبت بالحوار مع غير المسلمين، ومع هؤلاء النصارى والمستشرقين.

وفي كتبي دعوتُ إلى الحوار مع كلِّ المخالفين: المخالفين في الدين، والمخالفين في الفكر، والمخالفين في السياسة، لسنا مغلقين، نحن منفتحون على غيرنا، وليس عندنا ما نخافه أو نخاف عليه أحداً.

ذهبتُ إلى باريس، وبدأنا الحوار، ولكن كان هناك موضوع حيّ وساخن، فرض نفسه على ساحة الحوار، وأخذ منا معظم الوقت، ولا بدّ أن أشرككم في هذا الأمر.

الحجاب على رأس موضوعات الحوار:

كان هذا الموضوع الحار الساخن هو موضوع «الحجاب»، حجاب الطالبات في مدارس فرنسا، هذا الموضوع الذي تتحدث عنه فرنسا كلها، ويتابعه الإعلام: مرئية ومسموعة ومقروءة.

هؤلاء التلميذات، الطالبات اللائي يردن أن يلتزمن بتعاليم دينهنّ، وأحكام شرعهنّ، وفرض ربّهنّ في غطاء الرأس.

الحجاب مفروض في مُحكم القرآن:

يُراد بالحجاب: الخمار، تغطية الرأس، وهذا أمرٌ فرضه الله تعالى في مُحكم القرآن، حيث يقول تعالى في سورة «النور»: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وما ظهر منها على ما رأى ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين: الوجه والكفان، أو الكحل والخاتم، فما عدا ذلك ينبغي أن يُستر ويُغطى ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

الخمار هو غطاء الرأس، فلا بدّ للمسلمة أن تغطي بخمارها على جيبها، أي: على فتحة الصدر، وفتحة الجيب، القميص؛ فقد كان نساء الجاهلية يبدن هذا النحر وهذا الصدر؛ لتظهر فيه القلائد والزينة وغير ذلك.

فجاء الإسلام يأمر بضرب الخمار على الجيوب: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ

﴿بُعُولَتِهِمْ﴾ [النور: ٣١] إلخ، وذلك في الزينة الباطنة، ﴿وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِعِلْمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، جاء هذا في سورة «النور».

وجاء في سورة «الأحزاب»: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، لتُعرف المسلمة الجادة من اللعوب العابثة، لتُعرف المسلمة العفيفة المحصنة من تلك التي تحاول إغراء الرجال ولفت الأنظار والانتباه إليها.

هذا أمر الله تعالى في كتابه للمؤمنات، فلا عجب أن تلتزم أولئكم الطالبات المسلمات المؤمنات في فرنسا بهذا الأمر، وأن يذهبن إلى المدارس بهذا الخمار أو بهذا الحجاب.

موقف المتعصبين من مديري المدارس في فرنسا:

ولكن للأسف جُنَّ جنون هؤلاء من مديري مدارس البنات المتعصبين، وقامت قيامتهم ولم تقعد، وحاولوا منع هؤلاء الطالبات المسلمات، وأرادوا أن يفرضوا عليهن أن يتخلين عن الحجاب، ولماذا؟ قالوا: لأنَّ الحجاب رمز ديني، ونحن لا نسمح بالرموز الدينيّة، ولا نريد هذه الرموز الدينيّة المعبرة عن شخصيات دينيّة مختلفة!

هل الحجاب رمز ديني كالصليب؟

قلت لهم: هذا ليس بصحيح، الحجاب ليس رمزاً دينيّاً، الرمز ما ليس له وظيفة إلّا أنّه شعار وإعلان مثل: الصليب على صدر

النَّصراني، ونجمة داود السداسية على صدر اليهودي، والطاوية المعروفة على رأس اليهودي، هذه هي الرموز الدينيَّة؛ لأنَّه لا وظيفة لها إلَّا الإعلان.

ولكن هذا الحجاب له وظيفة، وهو وظيفة الستر والحشمة، وهذا أمرٌ من الله للمسلمة، فكيف تفرضون على المسلمة أن تتخلَّى عن فرضٍ من فروض دينها؟ أين الحرية الشخصية؟ وأين حرية التدين التي توفرها دساتيركم، والتي يحميها ميثاق حقوق الإنسان، وتحميها مواثيق الأمم المتحدة؟!

أنتم بلاد الثورة التي نادت بالحرية كما تزعمون، وتقولون عن فرنسا: أمَّ الحريَّات! أين هي الحرية إذا لم يكن للمسلمة الحقُّ في حريَّتها الشخصية: أن تلبس ما تشاء؟ وحريَّتها الدينيَّة: أن تلبس ما يطلبه منها دينها؟! كما أنَّ هناك من النِّساء ومن البنات من يلبسن القصير والميني والميكرو ومثل هذه الأشياء، ولا تعترضون عليهنَّ، لماذا تعترضون على الفتاة المسلمة؟!

أين حرية التدين إذا لم تمارس المسلمة حقَّها؟! وهو واجب عليها في دينها، وليس مجرد حقٍّ لها.

التسامح الإسلامي بلغ القمة:

لا ترتقون إلى المستوى الذي ارتقى إليه الإسلام؟

الإسلام بلغ الغاية، وبلغ الذروة في التسامح مع المخالفين.

هناك درجة دنيا في التسامح: أن تتسامح مع الإنسان المخالف لك فيما يوجبه دينه عليه، لا تفرض عليه أمراً يحرمه دينه، ولا تلزمه بأمرٍ يتخلَّى به عن واجب من واجبات دينه، هذه هي الدرجة الأولى في التسامح.

ولكن هناك درجة أرقى وأعلى، وهي: أن تتسامح مع مخالفك فيما هو مباح له في دينه، وليس واجباً، وليس فرضاً.

وهذا ما صنعه المسلمون في أمور مباحة يعتقد أهل الكتاب من النصارى أنها مباحة في دينهم، مع أن الإسلام يحرمها أشد التحريم، وذلك مثل أكل الخنزير وشرب الخمر، فقد أجاز المسلمون جميعاً لأهل الكتاب أن يأكلوا الخنزير، وأجاز جمهورهم أن يشربوا الخمر، ما داموا لا يروجون هذه الأشياء بين المسلمين، والكلمة المأثورة عن الصحابة في ذلك: اتركوهم وما يدينون^(١).

شيء مباح لا يوجب الدين عليهم - فلم يوجب الدين على المسيحي أن يأكل الخنزير ولا أن يشرب الخمر ولكن أباح له ذلك^(٢) - وهو محرم في الإسلام، ومع هذا تسامح المسلمون في هذا وقالوا: لا نضيّق عليهم في أمر أباحه لهم دينهم.

فكيف تريدون أنتم من المسلمين أن يتخلّوا عن فرض ربّاني، وواجب شرعي، وحكم ديني من أحكام الإسلام؟! أين التسامح الذي تدعون؟!!

أين أنتم من الحضارة الإسلامية؟

لماذا لا تقلّدون الحضارة الإسلامية؟ تلك الحضارة التي وسعت الأديان، ووسعت الثقافات، وشاركت فيها عناصر شتى، منهم يهود، ومنهم نصارى، ومنهم سريان، ومنهم عروقي وأديان مختلفة، ولم

(١) ذكره ابن الهمام في فتح القدير (٣٦٢/٩)، نشر دار الفكر.

(٢) بل إن بعض النصارى ينازع في إباحتهم شرب الخمر في دينهم، ولهم في ذلك وجهة نظر يدلّون على صحتها.

تفرض على غير المسلمين ولا على غير المسلمين ما لا يفرض عليهم دينهم.

كان غير المسلمين يعيشون في المجتمع الإسلامي حاسرات الرؤوس، لم يفرض عليهن الإسلام أن يغطين رؤوسهن، لماذا لا تفعلن مثلما فعلت الحضارة الإسلامية؟ لماذا لا تقبلون التنوع والتعدد، والتنوع إثراء للحضارة، وهذا أمر مطلوب؟

كيف تلزمون المسلمة بضد ما ألزمها الله تعالى به؟!

أين الحرية؟ أين الحقوق؟ أين الحرمات؟ أين كرامة الأفراد؟

بلاد المسلمين التي تمنع الحجاب:

هذا ما قلناه للقوم، وحاولوا أن يتملصوا من هذا الأمر، وقال بعضهم فيما قال: إنَّ الحجاب ليس واجباً دينياً، وليس فرضاً شرعياً، بدليل أنَّ هناك بلاداً إسلامية تمنع الحجاب! وضربوا مثلاً لذلك بـ «تركيا» و«تونس».

فقلت لهم: إنَّ هذه ليست بلاداً إسلامية، هذه بلاد علمانية، العلمانية هي الحاكمة فيها، والمسلمون لم يسلموا في تركيا إلا بعد أن ضحوا بالآلاف ومئات الآلاف، قاوموا هذه العلمانية التي فرضت على المجتمع، علمانية التشريع، وعلمانية التعليم، وعلمانية الثقافة، وعلمانية الإعلام، وعلمانية التقاليد، كلها فرضت بالحديد والنار.

«خلع الحجاب» فرضه أتاتورك وحزبه فرضاً، وأصبح مفروضاً على المسلمة لعقود من السنين تحت نير العلمانية المتجبرة: ألا تتحجب، ولكن هذا ليس من الإسلام في شيء.



وتونس، تبيح الزنى وتحرم تعدد الزوجات، وتعتبر الحجاب جريمة، لا تجيز للمسلمة دخول المدرسة أو الجامعة أو تولي أي وظيفة حكومية، بل تمنع المحجبة من العلاج في أي مستشفى حكومي، حتى الحامل لا تدخل مستشفى الولادة إلا بعد أن تُجبر على خلع الحجاب! هذه البلاد التي تمنع الحجاب تخالف أمر الله، وتحاد الله ورسوله، جهاراً نهاراً، عياناً بياناً، صراحة لا شك في ذلك، ولم يُعرف هذا قبل عصر العلمانية في زمننا.

البلاد الإسلامية أنواع:

هناك بلاد تُلزم الطالبة المسلمة الحجاب، وذلك مثل السعودية، ومثل قطر في مدارسها، ومثل السودان، ومثل إيران.

وهناك بلاد تدع هذا الأمر حرية شخصية، من أردات أن تتحجب فلتحجب كما في مصر، وعندما أراد وزير التعليم في مصر أن يصدر قراراً فيه مساس بهذه الحرية، هاج الناس وثارَت الدنيا، وقامت ولم تقعد، حتى اضطر الوزير أن يتنازل عن قراره ويقول: لا تمنع محجبة من الدخول إلى مدرسة، وهذا هو معنى العلمانية.

وهذا ما قلناه لهم: إن العلمانية هي التي تدع الناس أحراراً في مسائل الدين.

والنوع الثالث من البلاد الإسلامية هو الذي يحارب الحجاب، وأنا أقول: بلاد إسلامية، أي أن شعوبها إسلامية، وإن لم تكن أنظمتها إسلامية.

هذه البلاد هي التي تمنع الحجاب وتعتبره جريمة، ولا تسمح للطالبة في المدرسة أو في الجامعة أو في أي وظيفة من وظائف الحكومة أن ترتدي الحجاب وتلبس الخمار!

يُسمح للمتبرجة أن تلبس ما تشاء، يُسمح للكاسيات العاريات المائلات المميلات أن يدخلن المدارس والجامعات، وأن يوظفن في سائر وظائف الدولة، إلا المسلمة الملتزمة بالحجاب!

بل يوجبون على المرأة إذا أرادت أن تدخل مستشفى للعلاج أو للولادة، أن تخلع الحجاب قبل أن تعمل العملية الجراحية أو نحو ذلك!

الأصل في العلمانية الحياد مع الدين:

وهذا عجب؛ فالأصل في العلمانية أنها تقف موقفًا محايدًا من الدين. هذه هي العلمانية الليبرالية كما يسمونها، لا تؤيد الدين ولا ترفضه، لا تواليه ولا تعاديه، تدع الناس أحرارًا، هي لا تدرس لهم الدين ولا تعلمهم الدين، ولا تقف من الدين موقفًا إيجابيًا، لا موقف التأييد ولا موقف الرفض.

العلمانية المعادية للدين:

هناك علمانية أخرى: العلمانية الماركسية الشيوعية، هي التي تقف موقفًا مضادًا من الدين، مناقضًا للدين، معاديًا للدين؛ لأن الدين في نظرها أفيون الشعوب، ومخدّر الجماهير، والأصل أنها ضد الدين.

ولكن أنتم يا دعاة العلمانية الليبرالية لماذا تعادون الدين وتعادون أحكامه الملزمة في الشؤون الشخصية؟!

دعوا الناس أحرارًا في حياتهم الشخصية، ولا تتدخلوا فيها رغم أنوفهم. هذه المسلمة التي اختارت الحجاب طوعًا وبإرادتها، لماذا تُقسر قسرًا، وتُقهر قهراً، على أن تخلع حجابها؟!

ليس هذا من العلمانية التي نعرفها عنكم يا آل فرنسا.



هل الحجاب أمر جديد على الحياة الإسلامية؟

قالوا أيضًا: هذا الحجاب أمر جديد على المسلمات، جاء به الأصوليون المسلمون! وخلال السنوات الماضية لم يكن هناك هذا الحجاب، وكانت المسلمة كغيرها من النساء، تخرج متبرجة لابسة الملابس الإفرنجية، وملابس الحضارة الحديثة، لا تميز مسلمة من غير المسلمة.

قلت لهم: هذا صحيح، ولكن هذا كان بتأثير الاستعمار الغربي على الحياة الإسلامية.

ظلت المسلمة ثلاثة عشر قرنًا، لم يُعرف خلال هذه القرون أنَّ مسلمة واحدة خلعت غطاء رأسها، هذا ما لم يحدث طوال التاريخ.

بل كانت المرأة المسلمة لو حدث منها حركة اضطرارية سقط بها حجابها أو طار منها، تعتبر نفسها كأنها عارية، وتحاول أن تغطي رأسها بأي شيء.

هذا ما كان عليه المسلمات خلال القرون الماضية، حتَّى دخل الاستعمار الغربي بلاد المسلمين، وبدأ يغيّر الشخصية الإسلامية، ويغيّر معالم الأمة ومعالم هويّتها، ويفرض سلوكه بمؤثرات شتّى، فبدأ تقليد الخواجات والأجانب، الطبقة العليا من القوم بدأن يقلدن نساء الخواجات، ثمّ الطبقة التي بعدهن ثمّ التي بعدهن، حتَّى أصبح هذا في وقت من الأوقات أمرًا شائعًا.

كنا في وقت من الأوقات، في الستينيات من هذا القرن يمرُّ الإنسان في العواصم الكبرى في البلاد العربية والإسلامية، فلا يكاد يجد امرأة

محجبة، تجدها عجوزًا أكل الدهر عليها وشرب، ومع هذا تلبس ما يسمّى: «الجبونيز» أو «الميني» أو «الميكرو» أو هذه الأشياء، هذا بتأثير الاستعمار، وتأثير سلطان الحضارة الغربية المادية الإباحية.

عودة المسلمات إلى الحجاب حركة نسائية تحررية:

الآن بعد الصحوّة الإسلاميّة المعاصرة، بعد أن امتدّ هذا البعث الإسلامي شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا، بعد أن اكتشف المسلمون واكتشفت المسلمات ذواتهم وذواتهنّ، وعرفوا من هم، بدأت المسلمة تعود إلى رشدّها، وترجع إلى ربّها، وتلتزم الحجاب طواعية، هي حركة نسائية إسلاميّة طوعية اختيارية إرادية تحررية، فكثيرًا ما التزمت الفتيات هذا الأمر برغم آبائهن وبرغم أزواجهن.

أجل هي حركة تحررية، استردت المسلمة شخصيّتها الحقيقية، واستعادت الثقة بنفسها، وتمردت على التقليد الأعمى للحضارة الغربيّة، والمرأة الغربيّة.

كانت المسلمة قبل ذلك تقلّد المرأة الغربيّة، وتمشي وراءها، وتتبع سننها، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، كما ذكر لنا النّبي ﷺ: «حتى لو دخلوا جُحر ضبّ تبعتموهم»^(١). أي: أصبح جُحر الضبّ «موضة» ينبغي أن يسلكها الجميع، وتظهر «موضة» اسمها: موضة جحر الضب!

ولكن المسلمين خرجوا من جحر الضب، خرجوا من قوقعة التقليد إلى باحة الحرية، تحرّروا من الاتباع، وبدأت المسلمة تعود إلى دينها.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٣٢٠)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

دعوى أن مفكرين مسلمين أنكروا الحجاب:

وقال هؤلاء فيما قالوا: إنَّ هناك من مفكري المسلمين وعلمائهم من يقول: إنَّ الحجاب ليس من الإسلام!

قلت لهم: مَنْ هؤلاء الذين يزعمون أنَّهم مفكرون؟

هناك قوم دخلاء على العالم الإسلامي وعلى الفكر الإسلامي، يُراد تلميعهم، ويُراد إعطاؤهم ألقاباً جديدة: المفكر الإسلامي، العالم الإسلامي، وهو لا يفقه من الإسلام شيئاً، ما درس القرآن، ولا درس السُّنة، ولا درس الأصول، ولا درس العربية، ولا غاص في بطون الكتب الإسلامية، ومع هذا يدَّعي له أنه مفكر، ويأتي أحدهم ليقول: إن هذا كان في أيام البعثة، أراد القرآن أن يعالج وضعاً معيناً، وقد زال هذا الوضع!

كأنَّ القرآن إنما أنزل لبضع سنوات، ثمَّ يجب أن يُشطب ويُنسخ ولا يُعمل به بعد ذلك.

هذا القرآن، كتاب الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاب محفوظ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، يخاطب الأُمَّة في عصر النبوة، وفي عصر الصحابة، وفي سائر العصور، وإلى أن تقوم الساعة.

والأمة ملزمة بأحكام ربِّها، لا يغنيها عن ذلك شيء: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ولقد وجدنا من هؤلاء العصريين من يُنكر تحريم الخمر، وهي من قطعيات الدين، وممّا علّم منه بالضرورة، ومن يُنكر تحريم الربا، وهو ممّا أجمعت عليه الأمة بكلّ مذاهبها وطوائفها.

فليقل هؤلاء الشاردون المحرّفون ما شاؤوا؛ فالقرآن والسُّنة وإجماع الأمة طوال قرونها حجة عليهم، ولا تجتمع هذه الأمة على ضلالة.

الحكام الذين أنكروا وجوب الحجاب:

وقالوا فيما قالوا: إنّ هناك من حكام المسلمين من قال: إنّ الحجاب ليس بواجب!

قلنا لهم: حكام المسلمين هؤلاء ليسوا حجة على الإسلام، بل الإسلام حجة على الحكام وعلى المحكومين، الإسلام هو القرآن والسُّنة، الإسلام هو إجماع الأمة وخاصّة في خير قرونها، أمّا هؤلاء المبتدعون، المتنكرون للشرعية، المقلّدون للخواجات، فلا عبرة بهم ولا وزن لهم.

ما قيمة حاكم يقول: الحجاب هو أمر يتبع التقاليد، يتبع العُرف، وأنا بناتي يسبحن في الحمامات مع الرجال، ويلعبن الرياضة في المتنزهات، وفي الأندية أمام أعين الرجال؟! ما قيمة هذا الحاكم؟ مهما يكن أمره فإنّ الإسلام حجة عليه، الإسلام يعلو ولا يُعلى.

لهذا سقطت كلّ تلك الشُّبهات التي أثارها هؤلاء وبقي الحجاب فرضاً دينياً، وواجباً شرعياً، يجب أن تُمكن منه المسلمة.

موقف مخجل للمسؤولين المسلمين:

ومن المؤسف أنّ أحداً من المسؤولين في بلاد الإسلام، لم يُثر هذا الأمر مع هؤلاء، لم تحتج دولة إسلاميّة، لم يُثر هذا الموضوع، حتّى إنّ

وزير الخارجية الفرنسي زار عددًا من البلدان العربية ولم أر صحفيًا أخرجته وسأله: ما هذه الضجة التي تقيمونها على حجاب الطالبات المسلمات في فرنسا؟

لم نرَ أحدًا اهتمَّ بهذا الأمر، كأنَّ المسلمين أصبحوا جماعة مفككة، لا يهتم بعضهم بأمر بعض، و«من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحًا لله، ولرسوله، ولكتابه، ولإمامه، ولعامة المسلمين، فليس منهم»^(١).

إنَّها عُقدة من رواسب الحروب الصليبيَّة:

قلنا لهؤلاء: هب أن هذا رمز كما تدَّعون - وهو ليس برمز، وإنَّما له وظيفة ووظيفته الستر والحشمة - أتمنعون من يضع الصليب على صدره؟ أتمنعون اليهودي الذي يضع الطاقية على رأسه؟ أتمنعون السيخي الذي يلبس عمامته ولا يخلعها؟ حتَّى إنَّهم عندما يصرِّحون لمن يركبون الدَرَاجات النَّارية يُلزمونه أن يكون معه خوذة، وهذا السيخي لا يمكن أن تدخل الخوذة مع العمامة في رأسه، ومع هذا يسمحون له؛ لأنَّ هذا أمر من أمور دينه، لماذا تتسامحون مع كلِّ أهل الأديان إلَّا المسلمين إذن؟!

قلنا لهم: الأمر إذن فيه شيء، إذا سمحتم لنا أن نقول بصراحة وحرية: هذا راسب من رواسب الحروب الصليبيَّة، هي عُقدة قديمة مع الإسلام والمسلمين، يجب أن تتحرَّروا منها.

(١) سبق تخريجه ص ١٨٢.

لا ينبغي - إذا كنّا نريد أن نتحاور بحقّ - أن نتحاور ونفوسنا مليئة بالعُقد، يجب أن نحلّ هذه العُقد وأن نتعامل معًا ونتحاور معًا ندًا لندّ.

نحن أبناء اليوم لا بقايا الأمس، دعونا من الحروب الصليبيّة وما حدث فيها، ولنبدأ صفحة جديدة.

أمّا إذا أصررتم على أن تعاملوا المسلمين بهذه الروح، فلن يُفلح حوار، ولن يُفلح لقاء.

لماذا الخوف من الإسلام؟

لماذا تخافون الإسلام؟ ما هذه المقولات التي تظهر ما بين الحين والحين تحمل التخويف من الإسلام، التخويف ممّا سموه: الخطر الأخضر؟

لقد زال الخطر الأحمر بزوال الاتحاد السوفيتي، دولة الشرّ كما سمّاها «ريجان»، وزال الخطر الأصفر الصيني بتقارب الصين مع الغرب، قالوا: وبقي خطر واحد، هو المخوف وهو المرعب وهو المهدّد، وهو خطر الإسلام!

وعلى هذا وقفوا جميعًا مع الصرب ضد المسلمين في البوسنة والهرسك، وقف معهم الكاثوليك الفرنسيون، ووقف معهم البروتستانت البريطانيون، ووقف معهم الأرثوذكس الروس واليونان، وقفوا جميعًا لتأييد هؤلاء الذين يقولون عن أنفسهم: نحن فرسان الصليب، نحن ندفع عن أوروبا خطر الإسلام الزاحف إليها، نحن نقدّم خدمة للغرب كلّها؛ فيجب أن يساعدنا الغرب.

وقد ساعدتهم الغرب بالفعل! هذا هو للأسف ما يجري.

إِنَّ الإسلام يفتح ذراعه للجميع، وهو ليس خطراً إلا على المادية والإلحاد، وعلى الإباحية والفساد.

ليس الإسلام خطراً، ولكنّه رحمة الله للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولن ينقذ البشرية المعذبة، الحائرة، القلقة ذلك القلق المَرَضِي، لن ينقذها ممّا تعاني من أزمات وويلات، إلاّ هذا الإسلام، يوم يحمله مسلمون، صادقون، واعون، صدقوا الله ما عاهدوه عليه: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أسأل الله تعالى أن يجعل يوم المسلمين خيراً من أمسهم، وأن يجعل غدهم خيراً من يومهم، وأن يغفر لنا ما مضى، ويُصلح لنا ما بقي، إنّه سميع قريب.

أقول قولي هذا - أيّها الإخوة والأخوات - وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

جنون إسرائيل بعد الضربات الفدائية:

جُنَّ جنون إسرائيل بعد أن ضُربت تلك الضربات الفدائية القوية في عَقر دارها، في تل أبيب، وفي القدس التي تحكمها، ضربات الشباب الذين باعوا أنفسهم لله، وضخّوها بها رخيصة ليؤدّبوا إسرائيل، وهي الآن تحاول الانتقام!

دمّرت بيت الشاب الفدائي المؤمن الذي ضحّى بنفسه لله تعالى، وتريد الآن أن تحاصر وتعلن الحرب، سرية وعلمية، واتخذت من الخطوات ما تريد به القضاء على الحركة الإسلامية، حركة المقاومة الإسلامية «حماس».

تريد إسرائيل أن تحتل الأرض، وتنتهك العرض، وتشردّ الأهل، ولا يقف أحد ضدها.

ماذا أخذ الفلسطينيون منها إلى الآن؟ كلامًا ووعودًا، ولم يحصلوا منها على شيء ذي بال للأسف.

ولهذا لا بدّ أن تظلّ المقاومة حيّة وقائمة، لا بدّ أن يظلّ الجهاد، ولا يمكن أن تُستردّ الحقوق إلّا بالجهاد.

فلسطين كلّها أرض إسلاميّة، واغتصاب اليهود لها لا يعطيهم الحقّ ولا المشروعية في البقاء فيها، هم أخذوها بالقوة فيجب أن يُطردوا منها بالقوة.



قد يفعل الساسة ما يفعلون، ويرضخون لما يرضخون، ولكن أحكام الشرع باقية، أرض الإسلام يجب أن تظل أرضاً للإسلام.

أرض الإسراء والمعراج، أرض النبوات، والأرض التي بارك الله فيها للعالمين، ووصفها القرآن بالبركة في ستة مواضع، هذه الأرض يجب أن تظل إسلامية.

قالوا: الأرض مقابل السلام! أي أرض وأي سلام؟!

أرضنا مقابل سلامهم! يجب أن نسلّمهم أرضنا، أو نسمح لهم بالبقاء في أرضنا، أو نسمح لهم بمشروعية امتلاك أرضنا، في مقابل أن يعيشوا في سلام!

أي صفقة هذه؟!

ومع هذا فما سلّموا الأرض إلى اليوم، يريدون سلاماً بلا مقابل!

ولهذا ينبغي أن يظلّ الجهاد، وأن تظلّ المقاومة.

وما دام هناك شباب باعوا أنفسهم لله، ووضعوا رؤوسهم على أكفّهم، وأرواحهم في أيديهم، وقالوا: يارياح الجنة هبي، ويا خيل الله اركبي. ما دام هذا الشباب المؤمن الذي لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، هؤلاء الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة، وقد باعوا الأنفس حتّى يستحقّوا الثمن، ما دام هؤلاء الشباب باقين ماضين في طريقهم، فنحن بخير إن شاء الله.

وليفعل اليهود، ولتفعل إسرائيل ما تشاء، ولتهدد ما تهدد؛ فإنها لن
توقف ذلك الفدائي الذي لا يبالي بما يصيبه في سبيل الله:
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي^(١)
اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام
هي السفلى.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في فلسطين، وفي
لبنان، وفي كشمير، وفي البوسنة والهرسك، وفي كل مكان من
أرض الإسلام.

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالصربيين الحاقدين،
اللهم عليك بالوثنيين المتعصبين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين.

اللهم ردّ عنا كيدهم، وفلّ حذهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك
سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين.

اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم أيد إخواننا المضطهدين في سبيلك، اللهم أمدهم بملاً من
جندك، وأيدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم
في كنفك الذي لا يضام.

(١) أنشده سيدنا خبيب بن عدي. رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٤٥)، وأحمد (٧٩٢٨)، عن
أبي هريرة.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء وسائر بلاد الإسلام.
اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا.
اللهم آمين.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

منع كتاب «الحلال والحرام» في فرنسا^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

طلب إليّ بعض الإخوة أنْ أُحدِّثكم في قصّة كتابي «الحلال والحرام في الإسلام»، ومنعه من وزارة الداخلية الفرنسيّة، وأسباب هذا المنع، وقد نشر ذلك في عامّة الصحف ووسائل الإعلام.

تساؤلات من أنحاء العالم حول منع الكتاب:

والحقيقة أنّي طوال هذا الأسبوع كنتُ في شغلٍ شاغلٍ حول هذا الأمر، منذ مساء الجمعة الماضية، والاتّصالات الهاتفية والاتّصالات برسائل «الفاكس» من العالم العربي ومن العالم الأوربي، ومن أمريكا ومن غيرها، تسأل عن سرّ هذا المنع، ما الَّذي في الكتاب حتّى يُمنع؟

(١) فوجئ المسلمون والعالم الإسلامي في يوم الجمعة ٥ ذو الحجة ١٤١٥هـ - ٥ مايو ١٩٩٥م، بقرار وزير الداخلية الفرنسي «شارل باسكوا» بمصادرة كتاب: الحلال والحرام في الإسلام، واعتبر القرار الذي نُشر في الجريدة الرسمية الفرنسية أن «تداول هذا الكتاب في فرنسا من شأنه أنْ يتسبب في أخطار للأمن العام؛ نظرًا إلى نبرته المعادية للغرب، وأفكاره المخالفة للقوانين والقيم الأساسية التي تقوم عليها الجمهورية الفرنسية»!



الكتاب كتاب للتعليم لا للمواجهة:

قلت لهم: في الحقيقة إنني في غاية الاستغراب والدهشة، لا أجد في الكتاب شيئاً يمكن أن يكون سبباً للمنع، هذا كتاب تعليمي، وليس كتاب مواجهة، كتاب يُعلّم المسلمين ما ينبغي أن يكون عليه سلوك المسلم في حياته الفردية، وفي حياته الأسرية، وفي حياته العامة، في كل ما يتعلّق بفكرة «الحلال والحرام» في هذه الأمور، وهي فكرة أساسية في كل دين.

الكتاب متهم من المتشددّين بالتساهل والتيسير:

لا يتعرض الكتاب للمواجهة ولا يدعو إلى عنف، وليست لهجة لهجة تشنج، بل لهجة تسامح وتيسير.

والذين انتقدوا هذا الكتاب من المسلمين إنما انتقدوه لأنّه كتاب ميسّر، وكتاب متسامح أكثر من اللازم، حتّى قال بعض الإخوة المتشددّين على سبيل النكته: هذا كتاب «الحلال في الإسلام»، إشارة إلى أنّه كتاب يضيق دائرة المحرّمات.

ولما سئلت في دولة البحرين منذ عدة سنوات: ما لك تميل إلى تضيق المحرّمات؟

قلت لهم: لست أنا الذي يميل إلى تضيق المحرّمات، الإسلام هو الذي ضيق في المحرّمات، المحرّمات محدودة، وكلّ ما عدا ذلك مباح؛ فالأصل في الأشياء الإباحة، والنبي ﷺ يقول: «ما أحلّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته؛ فإنّ الله لم يكن لينسى شيئاً». ثمّ تلا النبي ﷺ قول الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، هذا هو الحديث الذي رواه أبو الدرداء عن النبي ﷺ^(١).

الكتاب متهم بالتساهل والتيسير والتسامح، فكيف يُمنع مثل هذا الكتاب؟! الكتاب؟!

الكتاب ليس ابن اليوم:

ثم إن هذا الكتاب ليس ابن اليوم ولا وليد الأمس، إنَّ له نحو ست وثلاثين سنة يوزع ويُنشر في آفاق العالم الإسلامي كله.

نُشر باللغة العربية في مصر، في لبنان، في سوريا، في الجزائر، في المغرب، في الكويت، حتَّى في أمريكا.

أعتقد أنَّه نُشر بالعربية ما لا يقلُّ عن خمسين مرة، بعضها بإذن المؤلف، وبعضها من غير إذنه.

ترجمة الكتاب إلى لغات العالم المختلفة:

ثم تُرجم إلى لغات عدة، لا أكاد أعرف لغة ذات قيمة إلَّا وتُرجم إليها الكتاب، أحيانًا بإذن المؤلف، وأحيانًا بغير إذنه.

كنتُ منذ سنوات في اجتماع منظمة الدعوة الإسلامية في «أوغندا» وفي عاصمتها «كمبالا»، وبعد صلاة الجمعة قُدمت لألقي كلمة في النَّاس، وقال مقدمي: إنَّ هذا هو فلان صاحب كتاب «الحلال والحرام»

(١) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحيا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون.

الذي قرأتموه بلغتكم السواحلية، وسألت الأخ بعد ذلك: هل تُرجم الكتاب إلى السواحلية؟ قال: نعم، ومن سنوات عدة، وطبع عدة طبعات. ومنذ سنوات كنت في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد في باكستان، والتقيت بالطلبة الصينيين والطالبات الصينيات - حوالي خمسين طالبًا جاؤوا من الصين ليدرسوا في هذه الجامعة - وبعد أن فرغت من المحاضرة والأسئلة، وإذا بعدد من الطلاب جاؤوا بكتاب «الحلال والحرام» يريدون مني التوقيع عليه، قالوا: هذا كتاب تُرجم إلى لغتنا الصينية، وما عرفت هذا من قبل.

الكتاب والحمد لله انتشر في الآفاق، بالعربية وبغير العربية، باللغات الإسلامية وباللغات الأجنبية.

أصل تكليفي بتصنيف هذا الكتاب:

وأصل هذا الكتاب في الواقع، كان تأليفه بتكليف من مشيخة الأزهر، في عهد شيخها الأكبر وشيخنا الشيخ محمود شلتوت رحمته الله، وبتكليف مباشر من المدير العام لإدارة الثقافة الإسلامية الأستاذ الدكتور مُحَمَّد البهي رحمته الله، وكان ذلك بناء على طلبات من الجاليات والأقليات الإسلامية في الأقطار المختلفة، في أوروبا وأمريكا وأستراليا وغيرها.

طلبات عدة جاءت تطلب من الأزهر ومن وزارة الأوقاف في مصر: الكتابة في عدة موضوعات، ثلاثين موضوعًا، من هذه الموضوعات: ما يحلُّ للمسلم وما يحرم عليه، وكُلِّفت بالكتابة في هذا الموضوع.

كان الأصل في الكتاب أن يؤلَّف ليترجم إلى اللغات الأخرى، ليقرأه المسلمون باللغات الأخرى، وتقرأه الجاليات المختلفة في البلدان المختلفة.

والحمد لله ألفت الكتاب منذ سنة (١٩٥٩م)، وأثنت عليه اللجنة المختصة، وأقرته مشيخة الأزهر، وكتب فيه المفكر الإسلامي المعروف الأستاذ مُحَمَّد المبارك تقريرًا قال فيه: إنَّ هذا الكتاب هو خير كتاب في موضوعه فيما أعلم.

كتاب أَقَرَّ من أكبر هيئة علمية إسلامية في العالم، وهي «الأزهر الشريف»، ماذا بعد ذلك؟!!

ثم تلقاه العالم الإسلامي كُلُّه بقبول حسن، وأثنى عليه كبار العلماء، حتى قال الفقيه الكبير الأستاذ مصطفى الزرقا: إنَّ اقتناء هذا الكتاب واجب على كلِّ أسرة مسلمة، وقرَّره الأستاذ الكبير الشيخ علي الطنطاوي في تدريس مادة الثقافة الإسلامية، حينما كان يقوم بتدريسها في كلية الشريعة وكلية التربية بمكة المكرمة. وكتب إليَّ الأستاذ أبو الأعلى المودودي حين وصلته نسخة من الكتاب يقول: إنِّي أعتزُّ بهذا الكتاب وأعتبره إضافة جلية إلى مكتبي. وخَرَجَ أحاديثه المحدث المعروف الشيخ ناصر الدين الألباني^(١).

وقدَّمت طالبة في أوائل الستينيات من جامعة البنجاب بـلاهور في باكستان: دراسة حوله، حصلت بها على الماجستير، وكذلك طالب في جامعة كراتشي.

العالم الإسلامي تلقَّى الكتاب كُلُّه بالقبول، ولم أرَ أحدًا قال: إنَّ الكتاب يحمل دعوة إلى العنف أو أي شيء من هذا.

(١) في كتابه: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، وهو نوع من التكريم للكتاب وصاحبه، فعلماء الحديث من قديم لا يخرجون أحاديث الكتب المغمورة أو التافهة، إنَّما يخرجون الكتب التي لها قيمة ووزن علمي وشهرة عند أهل العلم وجماهير النَّاس.

فالغريب أن يصدر من وزارة الداخلية الفرنسية، هذا القرار الذي يمنع تداول الكتاب وبيعه ونشره، باللغتين العربية والفرنسية^(١).

أسباب المنع عند الداخلية الفرنسية وتفنيدها: لماذا؟ وهذا أعجب.

التعليل والحيثيات التي استند إليها هذا القرار المتعسف: أن هذا الكتاب فيه لهجة تحمل عداً واضحاً للغرب، وأنه مخالف ومعارض للقيم والقوانين الأساسية التي تقوم عليها الجمهورية الفرنسية!

هل في الكتاب لهجة معادية للغرب؟

حينما سُئلت عن هذا، قلت: إن هذا كلام غير صحيح بالمرة، لا يحمل الكتاب أي لهجة أو أي نبرة عداية لا للغرب ولا للشرق. من قرأ الكتاب من أوله إلى آخره لا يلحظ فيه هذه اللهجة؛ لأنه - كما قلت - كتاب يعلم المسلمين ما ينبغي أن يعرفوه من أمور الحلال والحرام، ليس فيه أي نبرة عداية إطلاقاً.

بالعكس، الكتاب في فصله الأخير يتحدث بإجمال عن «علاقة المسلم بغير المسلم»، وهي علاقة تقوم على آيتين من كتاب الله؛ كما حدّد ذلك الكتاب في سورة «الممتحنة» تعتبران دستوراً للعلاقات مع غير المسلمين يقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ﴾ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿ [الممتحنة: ٨، ٩].

(١) علماً بأن الكتاب كان يوزع في فرنسا منذ عام (١٩٩٠م) بالتعاون بين داري النشر: عكاظ في باريس، وريحان في المغرب، فما كان سرُّ هذا التوقيت؟!

هنا انقسم غير المسلمين إلى هذين النوعين:

نوع لم يقاتل المسلمين في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم، وليس بيننا وبينهم عداوة، فهؤلاء لا ينهى الإسلام ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾.

العلاقة بيننا وبينهم قائمة على القسط والبر، القسط: العدل، والبر: الإحسان، البر كلمة أعظم من العدل وأوسع، العدل: أن تعطي الإنسان حقه، والبر: أن تتفضل فتعطيه فوق الحق، وأن تتنازل عن حَقِّك أحياناً.

هذا هو البر، وهي الكلمة التي يعبر بها المسلمون عن أقدم الحقوق البشريّة وهو: حقّ الوالدين، حين يقولون: برّ الوالدين.

فالإسلام جاء يحثّ على أن نعامل غير المسلمين الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا، بأن نبرّهم ونقسط إليهم؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

منزلة أهل الكتاب في الإسلام:

هذا في شأن غير المسلمين عامّة؛ لأنّ هذه الآيات نزلت في شأن المشركين الوثنيين، أمّا أهل الكتاب فلهم منزلة خاصّة في الإسلام.

أباح الإسلام للمسلمين أن يأكلوا ذبائحهم، وأن يتزوجوا من نسائهم، كما صرّحت بذلك آية من كتاب الله من سورة «المائدة»، وهي من أواخر ما نزل من القرآن: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج من الكتابية، أي: أن تكون ربّة بيته، وشريكة حياته، وأمّ أولاده، وأن يكون أصهاره من أهل الكتاب، وأن

يكون أجداد أولاده وجداتهم، وأخوالهم وخالاتهم، وأولاد أخوالهم وأولاد خالاتهم من هؤلاء الكتابيين؛ لأنَّ الله ربط بين النَّاسِ بلُحْمَتَيْنِ: لُحْمَةُ النِّسَبِ، وَلُحْمَةُ المِصَاهِرَةِ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

فما دام قد أجاز التزوج من هؤلاء فمعناه: أباح مخالطتهم، وأباح أن يكونوا أقرباءه، وأن تقوم بينهم المودة والرحمة.

أي سماحة أعظم من هذه السماحة؟!

لا يمكن أن يرقى دين في السماحة إلى هذا الحدِّ.

وأكثر من ذلك أن «النَّصَارَى» لهم وضعيّة خاصّة، لهم منزلة أخصّ في أهل الكتاب؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى﴾ [المائدة: ٨٢].

بل الإسلام يوصي بالرحمة بكل ذي روح:

هذا ما ذكرته في الكتاب فقلت: كيف يبيح الإسلام للمسلم أن يسيء إلى غير المسلم أو يؤذيه، وهو يوصي بالرحمة بكلّ ذي روح، وينهى عن القسوة على الحيوان الأعجم.

لقد سبق الإسلام جمعيات الرفق بالحيوان بثلاثة عشر قرناً؛ فجعل الإحسان إليه من شُعَبِ الإيمان، وإيذاؤه والقسوة عليه من موجبات النَّار.

ويحدّث رسول الله ﷺ أصحابه عن رجل وجد كلباً يلهث من العطش، فنزل بئراً فملاً منها ماء، فسقى الكلب حتّى روي. قال

الرسول ﷺ: «فشكر الله له فغفر له». فقال الصحابة: يا رسول الله، إن لنا في البهائم أجراً؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر»^(١).

وإلى جوار هذه الصورة المضيئة التي توجب مغفرة الله ورضوانه يرسم النبي صورة أخرى توجب مقت الله وعذابه فيقول: «دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»^{(٢)(٣)}.

فإذا كان الإسلام رحمة عامة للحيوانات والبهائم فكيف لا يكون رحمة للإنسان؟ هذا ما جاء به الكتاب.

فكيف يقال: إنه يحمل لهجة واضحة عدائية للغرب؟!

وأنا قلتُ لمندوب القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية حينما سألني عن هذا: أنا أتحدّى الوزير الفرنسي أن يأتي لي بشيء يدلُّ على أن الكتاب يحمل لهجة عدائية للغرب، في أيِّ فصلٍ من الكتاب؟ وفي أيِّ صفحةٍ منه؟ وفي أيِّ سطر؟ ليدلّني على هذا.

الكتاب لا يحمل أي شيء من هذا الذي قاله.

هل في الكتاب خطر على القيم والقوانين الأساسية لفرنسا؟

كيف يقول: إن الكتاب يشكّل خطراً على الأمن العام في فرنسا؛ لأنّه يحمل لهجة معادية للغرب بوضوح، ولأنّه يعارض القيم والقوانين الأساسية في فرنسا؟!

قلت لهم: ما القيم التي يعاديها الكتاب وتقوم عليها فرنسا؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه ص ١٢٦.

(٣) انظر كتابنا: الحلال والحرام في الإسلام ص ٣٨١ - ٣٨٣.

قال لي مندوب الإذاعة البريطانية: إنهم يقولون: إنَّ الكتاب يدعو المرأة إلى طاعة زوجها، وهذا تفريق بين الجنسين، والدستور الفرنسي يسوّي بينهما.

وعرفت من الإخوة في فرنسا أنهم قالوا: إنَّ الكتاب يقول: إنه يجوز للزوج أن يضرب امرأته الناشز، صحيح إنَّ الكتاب قال: إنه يضربها ضرباً خفيفاً غير مبرّح ولا يكون في الوجه إلخ، ولكن أجاز الضرب، وهذا معارض للقوانين الفرنسيّة.

قلت له: هذا ليس رأي الكتاب، وليس رأي المؤلف، هذا هو الإسلام، هذا ما جاء في القرآن، القرآن يقول: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ ۖ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ ۖ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٣٤] هذا في حالة النشوز، وليس في الحالة العادية.

والقرآن لم يأمر بالضرب ابتداءً، وإنما قال: ﴿فَعِظُوهُمْ ۖ﴾. وينبغي للرجل - عند حالة النشوز - أن يبدأ بالوعظ، بالكلمة المؤثرة، بالإرشاد الحكيم، بتخويف امرأته من الناحية الدنيّة ومن الناحية الدنيوية، وينبغي أن يستمر في ذلك فترة من الزمن.

فإذا لم يُجدِ هذا انتقل إلى المرحلة الثانية وهي: الهجر في المضجع، في السرير، لا يعتزل عنها في حجرة أخرى، بل في نفس المضجع؛ لعله يوقظ فيها غريزة الأنثى، فتراجع نفسها، وتتخلى عن نشوزها.

ثم إذا لم تُجدِ هذه الوسيلة ولا تلك، يلجأ إلى هذه الوسيلة الأخيرة: الضرب، لجوء المضطر.

وقلت في الكتاب: إنَّ هذا قد يصلح لبعض النساء، وفي بعض الأحوال،

وبقدرٍ معين، وليس أمرًا عامًا؛ لأنَّه قد يُفسد في بعض النساء، بعض النساء لا تحتمل الضرب، ولا تقبله، ولكن بعض النساء ربما تتلذذ بالضرب. والزوج الحكيم هو الذي يعرف متى يستخدم هذا الأمر، إن اضطر إليه، وأجبر عليه.

والنبي ﷺ حينما علّق على هذا الأمر قال: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثمّ يجامعها في آخر اليوم»^(١)، يعني: حسن العشرة لا يليق منه أن يضرب الرجل امرأته.

وقال ﷺ عن الذين يضربون النساء: «ولا تجدون أولئك خياركم»^(٢)، خيار الناس لا يضربون نساءهم.

ولذلك نجد النبي ﷺ لم يضرب في حياته امرأة ولا خادماً، ولا دابة ولا شيئاً ما.

وإذا اضطر الإنسان للضرب، فليس معنى هذا أن يأتي بسوط أو بخشبة ويضرب بها امرأته، إنّما هو من نوع ممّا قاله النبي ﷺ لخادمة عنده أغضبته في أمر من الأمور، فأمسك بالسواك وقال لها: «لولا مخافة القود - أي: القصاص - يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك»^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٠٤)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٥٥)، عن عبد الله بن زمعة.

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٦)، وابن ماجه (١٩٨٥)، كلاهما في النكاح، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٢)، وابن حبان في النكاح (٤١٨٩)، وقال الأرناؤوط: صحيح. وحسنه الألباني في غاية المرام (٢٥١)، عن إياس بن أبي ذباب.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجوّد إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٤١١)، وضعّفه الألباني في الصحيحة (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود (يوم القيامة) ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

فهذا ما جاء به الكتاب، ولم يفتح الكتاب الباب ليقول للرجال: اضربوا نساءكم.

حدود طاعة المرأة للرجل:

أمّا مسألة أنّ المرأة تطيع الرجل، فهذا مبني على قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ لِحَتِّ قَيْنَتِ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، الرجال هم المسؤولون.

أي شركة لا بدّ أن يكون لها مدير، لا بدّ أن يكون لها رئيس، لا يمكن أن يكون لها رئيسان متكافئان في السلطات، المركب التي فيها رئيسان - كما يقولون - تغرق، لا بدّ من رئاسة مسؤولة، فمن أحقّ بالرئاسة: الرجل أو المرأة؟

القرآن قال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]، ومن لطائف التعبير القرآني أنّه لم يقل: الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله الرجال على النساء، لا، ولكنه قال: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، أي أنّ النساء مفضّلات في بعض الجوانب، والرجال مفضّلون في بعض الجوانب.

المرأة مفضّلة بما لديها من جهاز عاطفي هيّأه الله فيها لتكون أمّاً، والرجل عنده الجهاز العقلي أقوى، فهو أبصر بالعواقب ويمكن أن يتحكم في عواطفه أكثر من المرأة، ثمّ هو الذي ينفق على تأسيس الأسرة، يدفع مهرًا، ويؤسس بيتًا، فإذا انهدمت الأسرة انهدمت على أم رأسه.

من أجل هذا جعل الله الرجال قوامين على النساء.

وهذا لا ينفي المساواة؛ لأنَّ أصل المساواة ثابت بالكتاب والسُّنة:

القرآن الكريم قال: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بِعَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، أي أنَّ المرأة من الرجل والرجل من المرأة، كلُّ صنف يكمل الآخر، ليس أحدهما خصمًا لصاحبه، ولا عدوًّا له.

والمرأة مكلفة مثل الرجل تمامًا، فالتكاليف القرآنيَّة للجميع، حينما يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. موجهة إلى الرجال وإلى النساء جميعًا، حتَّى التكاليف الاجتماعيَّة يقول القرآن الكريم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١]، المرأة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل الرجل.

فليست المرأة دون الرجل في الإنسانيَّة، ولا في الواجبات الاجتماعيَّة والواجبات الدِّينيَّة، هي مكلفة مثل الرجل، وتجازى بالجنة مثل الرجل، أو بالنار مثل الرجل، المسؤولية واحدة، والجزاء واحد، هذا هو ما جاء به الإسلام.

والنبي ﷺ يقول: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»^(١).

(١) رواه أحمد (٢٦١٩٥)، وقال مخرَّجوه: حديث حسن لغيره. وأبو داود (٢٣٦)، والترمذي (١١٣)، وقال: وإِنَّمَا رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرِو، وَعَبْدُ اللَّهِ ضَعَّفَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ مِنْ قَبْلِ حِفْظِهِ. كلاهما في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢٣٥)، عن عائشة.

عبد الله بن عباس رضي الله عنه وقف أمام المرأة يوماً يجمّل من نفسه، ويأخذ من لحيته، ويرجّل من شعره، فقال له نافع مولى ابن عمر: ما هذا يا ابن عم رسول الله، أتقف أمام المرأة تجمّل في نفسك، وإليك يضرب الناس أكباد الإبل من شرق وغرب ليستفتوك في دين الله؟! 

قال: وماذا في هذا يا نافع؟ إنني أتزيّن لامرأتي، كما تتزيّن لي امرأتي، وإنني أجد هذا في كتاب الله. قال له: أين هذا في كتاب الله؟

قال: في قول الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ^(١).

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي: كما أن على المرأة أن تتجمل لزوجها، على الرجل أن يتزيّن لزوجته ويتجمل لها.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: بعض المفسرين يقول: هي درجة القوامة والمسؤولية.

وبعض المفسرين كالإمام الطبري يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، أي: في رعاية حقوق النساء، أن الرجل عليه أكثر من المرأة، ممّا ينبغي أن يراعى في حفظ الحقوق، وفي رعاية الأمور ^(٢).

(١) رواه ابن أبي شيبة في الطلاق (١٩٦٠٨).

(٢) قال الإمام الطبري بعد أن عدّد أقوال أهل التأويل في هذه المسألة: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ما قاله ابن عباس، وهو أن الدرجة التي ذكر الله تعالى ذكره في هذا الموضع: الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغضاؤه لها عنه، وأداء كلّ الواجب لها عليه، وذلك أن الله تعالى ذكره قال: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ عقيب قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فأخبر تعالى ذكره أن على الرجل من ترك ضرارها في مراجعتها إياها في أقرائها الثلاثة وفي غير ذلك من أمورها وحقوقها، مثل الذي له عليها من ترك ضراره في كتمانها إياه ما خلق الله في أرحامهن وغير ذلك من حقوقه، ثم ندب الرجال إلى الأخذ عليهن =

هذا ما جاء به الإسلام، وهذا ما كان وجهة الكتاب فيه، فكيف يقال: إنَّ الكتاب يعارض القيم والقوانين التي تقوم عليها الجمهورية الفرنسيَّة ويشكِّل خطرًا على الأمن العام؟!

استياء المسلمين والأحرار في فرنسا:

الواقع أنَّ المسلمين استأؤوا في فرنسا، واتحاد المنظمات الإسلاميَّة قاد حملة طيِّبة، وكتب مذكرة إلى وزارة الداخليَّة، وتجاوب الإعلام الفرنسي بحق في هذه القضية، حتَّى كتب أحد الكُتَّاب الفرنسيين في جريدة «ليموند» يدافع عن الكتاب، وينوّه بما فيه من سماحة، واتحاد الناشرين الفرنسيين قال: إنَّنا سنطبع الكتاب بالفرنسية ونوزعه رغم أنف وزارة الداخليَّة، وتجاوب الكثيرون وقالوا: إنَّ الكتاب يحمل روح الاعتدال، وليس فيه روح العنف بالمرة، ولا يشكِّل أي خطر كما تدَّعي وزارة الداخليَّة.

كان الرأي العام في غالبه ضد هذا القرار المتعسِّف الظالم، ولذلك سرعان ما تراجع الوزير، وبعث مستشاره إلى عميد مسجد «باريس» يطلب إليه أن يلتمس الإفراج عن هذا الكتاب والرجوع عن هذا القرار، حفظًا لماء الوجه.

= بالفضل إذا تركن أداء بعض ما أوجب الله لهم عليهن فقال تعالى ذكره: ﴿وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ بتفضلهم عليهن، وصفحهم لهن عن بعض الواجب لهم عليهن، وهذا هو المعنى الذي قصده ابن عباس بقوله: ما أحبُّ أن أستنظف جميع حقِّي عليها؛ لأنَّ الله تعالى ذكره يقول: ﴿وَلِلرَّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، ومعنى الدرجة: الرتبة والمنزلة، وهذا القول من الله تعالى ذكره، وإن كان ظاهره ظاهر الخبر، فمعناه معنى ندب الرجل إلى الأخذ على النِّساء بالفضل يكون لهم عليهن فضل درجة. تفسير الطبري (٥٣٦/٤).

وفعلًا كتب عميد مسجد «باريس» كتابًا يلتمس فيه هذا الأمر وذهب الوزير في يوم الثلاثاء الماضي إلى المسجد، وأعلن أنه سيلغي هذا القرار، وأنه كان خطأ إداريًا سخيًّا!

بل هو خطأ سياسي وثقافي وحضاري:

وهو في الواقع خطأ إداري، وخطأ ثقافي، وخطأ سياسي، وما كان ينبغي لبلد مثل فرنسا، يزعم أنه بلد الحريّات وأبو الحريّات إلخ، أن يقع في مثل هذه الغلطة الواضحة الفاضحة، ويمنع كتابًا في بلد يدّعي أن فيه حرية الرأي وحرية النشر وحرية التعبير إلخ.

حينما أرسل إليّ بالأمس هذا الكلام، قالوا: ما تعليقك على هذا؟

قلت: والله أنا أرحّب بهذا، الرجوع إلى الحقّ فضيلة، وقد قال سيّدنا عمر رضي الله عنه في رسالته الشهيرة في القضاء: لا يمنعك قضاء قضيتّه بالأمس وهديتَ إلى رشدك فيه اليوم أن تراجع فيه نفسك؛ فإنّ الحقّ قديم، وإنّ الرجوع إلى الحقّ خير من التماسي في الباطل^(١). فإذا كان الوزير رجع إلى الحقّ فنحن نرحّب بهذا ونحيّيه على هذا.

ولكنّي - كما قلت لجريدة الشرق - أريد خطوة أخرى تكمل هذه الخطوة، وتكتب في سجلّ هذا الوزير، وهي الرجوع عن القرار المتعسف في مسألة الحجاب، فقد منعوا الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب في مدارس فرنسا!

والحجاب فرض ديني على المسلمة، الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، فالمسلمة

(١) رواه الدارقطني في الأقضية (٤٤٧١)، والبيهقي في آداب القاضي (١١٩/١٠).

ملتزمة بأن تغطي رأسها، وتغطي نحرها وذراعيها وساقها، هذا فرض من الله تعالى، وليست المسلمة حرّة فيه.

فينبغي أن تُترك للمسلمة حرية ممارسة دينها، ولا تجبر على أمر يخالف شرع ربّها؛ فهذا يُنافي الحرية الدينيّة، ويُنافي الحرية الشخصية.

وهذا ما قلته لهم حينما اشتركت في المؤتمر الذي كان بين المسلمين وغير المسلمين في شهر أكتوبر من العام الماضي.

العبرة من هذا الدرس:

هذه أيّها الإخوة هي قصّة هذا الكتاب، وقصة وزارة الداخلية الفرنسية. والعبرة من هذا: أننا - نحن المسلمين - ينبغي لنا أن نتمسك بحقنا ولا نفرط فيه.

صحيح أنّه للأسف لم تقم أيّ جهة من الجهات المسؤولة - لا منظمة المؤتمر الإسلامي، ولا جامعة الدول العربية، فيما عدا المنظمة الإسلامية للثقافة والتربية والعلوم لم يقم أحد من هؤلاء - بأيّ خطوة، وهذا يدلّنا للأسف على أنّ مؤسساتنا متخلّفة ولا تحسّ بالأمور، ولكن إخوتنا في فرنسا قاموا بما ينبغي عليهم.

نحن أصحاب الحقّ، نحن ندعو إلى الدين الحقّ، وما دمنا ندعو بالحكمة والموعظة الحسنة ونحاور بالتي هي أحسن، فلا يمكن أن نتخلّى عن موقفنا.

نحن أصحاب الرسالة الخالدة، الرسالة التي وضع الله فيها الهداية للبشريّة، الهداية التي تتضمن كلمات الله الأخيرة للبشر: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

نتمسك بحقنا ولا نفرط فيه أبداً، وندعو إلى ديننا، والحمد لله هذه الدعوة تلقى صدى واسعاً.

كان من أسباب منع الكتاب أنهم قالوا: إنَّ الكتاب يلقي رواجاً وانتشاراً واسعاً بين المسلمين^(١)!

هل هذا سبب؟!!

الكتاب يلقي رواجاً؛ لأنَّه يحمل كلمة الإسلام الصادقة، فلا بدَّ أن يلقي رواجاً بين المسلمين، وبين غير المسلمين، كثير من غير المسلمين والحمد لله قرأ الكتاب وهداهم الله بسببه.

كلمة الحق لا بدَّ أن تستمر، ولا بدَّ أن نستمسك بها، والله غالب على أمره، والله تعالى يقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨] وصدق الله العظيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) والغريب العجيب أن يصرح بذلك مستشار وزير الداخلية للشعائر التبعية «أندري داميان» حيث قال: «نحن اخترنا هذا الكتاب؛ لأنَّه لقي نجاحاً كبيراً فهو إجراء بيداغوجي»! وهنا بيت القصيد؛ فالكتاب أصبح ممنوعاً في جميع الأراضي الفرنسية لمجرد كونه وجد إقبالاً كبيراً لدى المسلمين الفرنسيين، وهذا في حد ذاته يسبب مصدر إحراج للإدارة الفرنسية التي تتابع باهتمام وقلق شديدين تنامي الوعي الإسلامي بين الجاليات الإسلامية في فرنسا، بالإضافة إلى تزايد عدد معتنقي الدين الإسلامي من الفرنسيين أنفسهم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

فضل عشر ذي الحجة:

نحن الآن في عشر ذي الحجة، أفضل أيام العام التي جاء فيها حديث ابن عبّاس في البخاري: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام». يعني: أيام العشر^(١).

يُستحبُّ فيها الصيام، ويُستحب فيها الذكر، ويُستحب فيها الصدقة، ويُستحب فيها صلة الرحم، ويُستحب فيها كلُّ عمل خير، وهو يضاعف أجره عند الله تعالى.

ومن أعظم هذه الأيام أجراً يوم التاسع منها، وصيامه - كما جاء عن النبي ﷺ - يكفر ذنوب سنتين، قال: «صيام يوم عرفة إنِّي أحتسب على الله أن يكفر السنّة التي بعده، والسنّة التي قبله»^(٢).

فصيام هذا اليوم ينبغي أن نحرص عليه.

ومن فجر يوم عرفة يبدأ التكبير عقب الصلوات، إلى عصر آخر أيام التشريق (٢٣ صلاة).

وفي هذه الأيام ينبغي للمسلم القادر أن يحرص على الأضحية، ضحوا فإنها سنّة أبيكم إبراهيم، إنّها تذكّرنا بما حدث بين إبراهيم وإسماعيل من ذلك الموقف الخالد، الذي أسلم الوالد فيه ولده، وأسلم

(١) رواه البخاري في العيدين (٩٦٩).

(٢) رواه مسلم (١١٦٢)، وأبو داود (٢٤٢٥)، كلاهما في الصوم، عن أبي قتادة.

الولد فيه رقبته لله تعالى، ففداه الله بذبح عظيم^(١)، وكانت سنة الأضاحي تذكيرًا بهذا الموقف الإنساني الخالد.

الأضحية مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع، ويستطيع المسلم أن يضحي بنفسه، أو يوكل من يضحي عنه، ومن أجل ذلك قامت جمعية قطر الخيرية، وقامت المصارف الإسلامية، وقامت الجهات المختلفة للتبرع بثلث الأضحية في بلد آخر.

فتستطيع إن كنت تريد أن تجمع الحسنتين: أن تضحي هنا وتضحي في بلد آخر، أو كنت لا تريد أن تضحي هنا ما دام الناس يجدون اللحم، وتكون أضحيتك في البوسنة والهرسك، في فلسطين، في الفلبين، في بنغلاديش، في الصومال، في السودان، في أي بلد آخر من بلاد المسلمين الفقيرة.

والأضحية هناك أرخص من هنا، تستطيع بثلث الأضحية الواحدة هنا أن تضحي بثلاث في البلاد الأخرى، وهم أشد حاجة، ووكيلك هناك يذبح باسمك، فكأنك حاضر، الوكيل يقوم مقام الأصيل.

فعلينا أن ننتهز هذه الفرصة، ونعطي إخواننا بعض ما تجود به أنفسنا؛ فالمسلمون بعضهم أولياء بعض، والمؤمنون إخوة، والمسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله، ولا يتركه.

هذه مناسبة العيد، وهي مناسبة عظيمة وكريمة، لا ينبغي أن

(١) قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ۚ قَالَ يَأْتِيَنَّكَ أَعْمَلُ مَا تَوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ۚ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَقَلَّ لِلْجَبِينِ ۚ وَتَدِينُهُ أَنْ يَتَأَبَّرَهُمَا ۚ قَدْ صَدَقَتِ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۚ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلَتُ الْبَلِيغُ ۚ وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ۚ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۚ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۚ [الصافات: ١٠٢ - ١٠٩].

يأتي العيد على إخواننا المسلمين وهم لا يجدون ما يقوتهم، فنوسّع عليهم كما وسّع الله علينا، شكرًا لنعمة الله ﷻ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧].

أسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، وأن يفقّهنا في ديننا، وأن يجعل لنا من أمرنا رشدًا، وأن ينصر الإسلام ويعزّز المسلمين.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في فلسطين ولبنان، وفي البوسنة والشيشان، وفي كشمير والسودان، وفي كلّ مكان يقاتل فيه أبناء الإسلام.

اللهم خذ بأيدي إخواننا المضطهدين والممتحنين، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولّ بعنايتك أمرهم.

اللهم اجعل هذا العيد بشير خير ونصر لأمة الإسلام، واجعله نذير وبال وحسرة على أعداء الإسلام حيثما كانوا.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم ولّ أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا سخيًا رخاء وسائر بلاد المسلمين.



عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





مؤتمر السَّكَّانِ بالقاهرة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في هذه الأيام ينعقد في القاهرة، القاهرة الأزهر، القاهرة الدعوة إلى الإسلام، القبة الثقافية للمسلمين في أنحاء الأرض، يشاء الله أن ينعقد فيها مؤتمر يسمى: مؤتمر السَّكَّانِ والتنمية، تعقده الأمم المتحدة في مصر.

ليته لم ينعقد بمصر:

وكما قلت في مصر: كنَّا نربأ بمصر - بلد الأزهر وعاصمة العروبة وقلب الإسلام الخافق - أن تستضيف مثل هذا المؤتمر؛ حتَّى لا يسير في جنباتها أولئك الشواذ: دعاة الشذوذ الجنسي، الَّذِينَ يتزوَّجون من جنسهم: الرجال بالرجال والنساء بالنساء!

هذه الجمعيات الشاذَّة ما كان للقاهرة أن تستقبلها، كان عليها أن تغلب القيم الدِّينية والاعتبارات الأخلاقية على القيم الاقتصادية والاعتبارات السياحية.

(١) انعقد في (٥ - ١٣ سبتمبر ١٩٩٤م)، تحت رعاية هيئة الأمم المتحدة، وبمشاركة أكثر من عشرين ألفاً من أعضاء الوفود يمثلون (١٩١) دولة من أعضاء المنظمة الدولية.



ولدينا العبرة من السيرة النبوية، بل من القرآن الكريم ذاته.

حينما أرسل النبي ﷺ أبي بكر في موسم الحج من العام التاسع للهجرة؛ ليعلم في الناس مبادئ أساسية منها: أنه لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان^(١)، وكان في إعلان هذه المبادئ خسارة مادية واقتصادية على أهل مكة، قالوا: كُنَّا نستفيد من هؤلاء كثيرًا.

ولكن القرآن نزل يحسم القضية، ويبين الحقائق، فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾، أي: فقرًا وحاجة، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بموارد أخرى لا تحسبون حسابها، وقد كان، فقد فتح لهم البلاد، وأقبل عليهم الفيء غدقًا، ووسّع الله عليهم من فضله.

وثيقة المؤتمر المثيرة:

كُنَّا نودُّ أن ترفض القاهرة هذا المؤتمر، أمّا وقد انعقد هذا المؤتمر، فقد ثار لغط كبير، وثارَت مجادلات شتّى حول مشروع برنامج هذا المؤتمر، الذي أُعدَّ في شكل وثيقة أعدّها المسؤولون عن هذا الجانب في الأمم المتحدة.

هذه الوثيقة، أو هذا المشروع، تُرجم باللغة العربية، في مائة وإحدى وعشرين صفحة من الصفحات «الفولسكاب» الدقيقة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٦٢٢)، ومسلم (١٣٤٧)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

لم يذكر فيها اسم الله قط:

وثيقة مطوّلة لم يُذكر فيها اسم الله قط، لا في أولها، ولا في أوسطها، ولا في آخرها، و«كلُّ أمرٍ ذي بال لا يبدأ بسم الله فهو أبتَر»^(١). فكيف بأمرٍ يتعلق بالعالم كلّهُ لا يُذكر فيه اسم الله أبداً، لا تُذكر فيه القيمُ الإيمانية ولا الأخلاقية باعتبارها محركات وضوابط، دوافع لفعل الخير، وروادع عن ارتكاب الشرِّ؟!

هذه هي الوثيقة، أو هذا هو المشروع الذي قُدِّم ليكون أساس المناقشات في مؤتمر القاهرة.

عُزل الدين، وعُزل الإيمان بالله، وعُزل الإيمان باليوم الآخر، وعُزلت قيم السماء عن هذه الوثيقة.

لا تلازم بين زيادة السكان والفقر:

تربط هذه الوثيقة - أو هذا المشروع - ما بين زيادة السكان ونموهم المطّرد في العالم وما بين الفقر ربطاً لزومياً، كأنّها معادلة حسابية رياضية: إذا زاد السكان وُجد الفقر!

وهؤلاء أناس ينقصهم الإيمان بالله، الإيمان بأنّ لهذا الكون ربّاً خالقاً رازقاً، تكفل منذ خلق هذه الأرض برزق من فيها وما فيها من الأحياء.

ليس لهذا الأمر ذكر عندهم، ولا يجري في بالهم، ولا يدور في خواطرهم.

(١) رواه أحمد (٨٧١٢)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في النكاح (١٨٩٤)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٥٥)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكِر في تعليقه على المسند (٨٦٩٧)، عن أبي هريرة.

إذا زاد السكان وُجد الفقر! وهذا قاله أحد الاقتصاديين منذ القرن الماضي اسمه: «مالتوس»، كان ينذر العالم بكارثة خطيرة بعد سنين قليلة، أو عقود قليلة من السنين.

ومرّت عشرات السنين، ومرّ قرن أو أكثر، ولم تحدث الكارثة؛ لأنّ الله هيّأ للناس أسباباً لم يكونوا يعلمونها، الحاجة تفتق الحيلة، وقد علّم الله الإنسان ما لم يكن يعلم: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

استطاع النَّاس أن يزرعوا أراضي جديدة، وأن يعرفوا فنّ زراعة الصحراء، وأن يقلّلوا من استخدام الماء، بعد أن كانوا يروون بغمر الأرض بالماء، أصبحوا يروون عن طريق الرشّ أو عن طريق التنقيط، ويحاولون أن لا يتبخر الماء ويضيع سدى.

بل حاولوا زيادة الإنتاج في الأرض المزروعة نفسها عن طريق تحسين البذور، أصبحت الأرض - المساحة نفسها - تُؤتي أكلها أضعاف ما كانت تُؤتي من قبل.

هيّأ الله للنَّاس بواسطة قوانين الوراثة والتطعيم والتهجين في الحيوانات والنباتات، تحسين النوعية وتحسين الكيفية، واستطاع الإنسان أن يستخدم الطاقة الشمسية.

هيّأ الله للنَّاس أسباباً لم تكن تخطر لهم على بال، وهؤلاء يظنون أنّ العالم اليوم سيكون عالم الغد وما بعد الغد، ما يديركم أنّ الله سيفتح للنَّاس أبواباً لا تخطر لأحد على بال؟ ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

الله هو الرزاق:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ أَسْمَائِهِ: «الرزاق»، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ هذا تكفل من الله تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

الرزق موجود، مبثوث في هذا الكون، مذكور في باطن الأرض، أو منشور على ظاهرها، منه ما عرفه الناس ومنه ما لا يعرفونه، منه ما لا يزال الإنسان يجهله، حوالي ثلاثة أرباع هذه الكرة مياها: بحار ومحيطات، سخرها الله للإنسان، ولم يكتشف الإنسان كل ما في البحر، ولم يصل إلى كل ما في البحار، ولم ينتفع بكل ما يعرفه من البحار.

الأرزاق موجودة، وعلى الإنسان أن يبحث ويفكر ويسعى في مناكب الأرض، ويلتمس الرزق في خباياها، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [المُلْك: ١٥].

فمن مشى في مناكب الأرض، من فكر وبحث وسعى واجتهد وكدح، فإنه جدير أن يأكل من رزق الله في هذه الأرض، ومن تقاعس وتقاعد وتكاسل، فهو جدير أن يحرم من رزق الله.

إِنَّ السَّمَاءَ لَا تَمُطِرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً كَمَا قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(١)، ولكن على النَّاسِ أَنْ يَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَيَتَغَوَّسُوا فِي فَضْلِ اللَّهِ، وَيَبْحَثُوا عَنْ رِزْقِهِمْ لِيَصِلُوا إِلَيْهِ.

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٦٢/٢).

بين الجاهلية القديمة والجاهلية الحديثة:

إنَّ أهل الجاهلية قديمًا كانوا يقتلون أولادهم، إما من إملاق واقع، أو خشية إملاق متوقع، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إذا كان الفقر واقعًا، فقدم كفالة رزقهم على رزق أولادهم، وفي سورة أخرى قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ رزقهم مكفول لهم قبل أن يُخلقوا ﴿إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خَطَاً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٣١].

والجاهلية الجديدة تريد أن تقتل الأطفال، ولكن في بطون أمهاتها، عن طريق الإجهاض.

لا، لا ينبغي أن يُقتل الأولاد، لا ينبغي أن نستسلم لهذه الجاهلية الحديثة. الرزق موجود، مبثوث في الأرض، منذ خلق الله هذه الأرض: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴿فُصِّلَتْ: ١٠، ١١﴾. قبل أن يسوي الله السماء خلق الأرض ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ * الأقوات مقدرة في هذه الأرض.

صحيح أن الله لا ينزل الرزق للناس بكثرة وبسطة، حتَّى لا يطغوا ولا يبغيوا في الأرض: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧] ينزل كلَّ شيء بقدر * وإنَّ مِن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿[الحجر: ٢١]، حسب تقدير الله وحكمته، يُظهر الشيء في أوانه.

الله تعالى يقول في سورة أخرى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ * وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴿[الأعراف: ١٠، ١١]، أي: قبل أن يخلق الله آدم ويخلق البشرية،

مَكَّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ لَهُمْ فِيهَا مَعَايِشَ، هَيَّا لَهُمْ مَعَايِشَهُمْ ثُمَّ خَلَقَهُمْ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ كَأَنَّمَا يَعْتَزُّونَ عَلَى اللَّهِ، وَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ مُتَحَكِّمُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَيَنْسَوْنَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ، وَأَنَّهُ مُدَبِّرُ الْأَمْرِ كُلِّهِ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونُس: ٣١].

الرزق بيد الله، فلا ينبغي أن نربط ما بين زيادة السكان والفقر لا محالة؛ فإنَّ الله سيهدي النَّاسَ إلى طرق وأساليب تهَيِّئُ لَهُمُ الْمَعَايِشَ وَالْأَرْزَاقَ الَّتِي ضَمَّنَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ.

تنظيم الأسرة لنسلها لمبررات شرعية مقبول:

لا مانع من أن تتدبَّر الأسرة المسلمة أحوالها، وأن تحاول تنظيم النَّسْلِ، لا مانع أن يتفق الزوج والزوجة - كلاهما مع صاحبه - على أن يكون الحمل في فترات معقولة، ما بين كلِّ طفل وآخر فترة من الزمن؛ حتَّى تستريح الأمُّ من ناحية، وحتَّى يتهيأ للأسرة الرعاية الصحية، والرعاية التعليمية، والرعاية الاجتماعية، فقد أصبح النَّاسُ الآن يعيشون مستقِلِّين، وغدت تربية الأطفال تحتاج إلى جهد جهيد، ومتابعة مستمرة.

في الزمن الماضي كانت الأسرة يعيش بعضها مع بعض، يعيش الولد مع أبيه وأمه، وتأتي زوجة الابن فتقول لها حماتها - أم الزوج -: عليك أن تلدي وتنجبي أولادًا، وعليَّ أن أربي! الآن لم يعد هذا، أصبح النَّسل يكلِّف أهله تكاليف كثيرة، فلا مانع من تنظيمه.

على أن يكون هذا من حقِّ الأسرة، ومن اختيار الأبوين، أمَّا أن يكون هذا فلسفة عامَّة للبشريَّة كُلِّها وللنَّاس جميعًا، فهذا ما نرفضه.

وسائل مرفوضة لغايات غير محمودة:

هذه الوثيقة، أو هذا المشروع الذي قُدِّم للمؤتمر، قام على هذا الأساس، وأراد أن يعالج هذا الهدف، الذي هو نفسه ليس بمقبول في نظر القيم الدينية الأصيلة، بوسائل وأساليب أكثرها أيضًا أو كثير منها على الأقل: مرفوض في ميزان الدين، في ميزان الخلق، في ميزان الشرائع السماوية كلها.

يريدون إباحة الإجهاض بلا قيود:

من هذه الوسائل ذكروا الإجهاض، وتحت عناوين شتى: الإجهاض المأمون، تخفيف الأمر على المرأة الحامل، الحمل غير المرغوب فيه إلخ، وهذا كله ليس بمقبول إسلاميًا ولا دينيًا، حتَّى بابا الكاثوليك وقف ضد هذا بقوة، وهنا اتفق الأزهر والفاطيكان، ووقف المسجد والكنيسة معًا ضدَّ الطوفان المدمر للأديان.

احترام الإسلام لحياة الجنين:

إنَّ الإسلام يُعطي للجنين حقَّ الحياة، ولا يُجيز لأحد - ولو كان أباه أو أمه - الاعتداء عليه؛ لأنَّه كائن حيٌّ محترم، ولو جاء من حرام.

المرأة التي جاءت إلى النبي ﷺ تطالبه أن يطهرها، ويقيم حدَّ الله عليها، وتقول له: إنَّها حُبلى من الزنى، فماذا قال لها النبي ﷺ؟ قال لها: «فاذهبي حتَّى تلدي». أي: إن كان لنا سبيل عليك فما لنا سبيل على ما في بطنك، ما في بطنك مخلوق لا ذنب له حتَّى نقيم الحدَّ عليك وعليه، وذهبت المرأة أشهرًا ثمَّ عادت وقد وضعت وليدها، فقالت: ها أنا قد وضعت يا رسول الله. قال: «اذهبي فأرضعيه حتَّى تفتميه»^(١).

(١) رواه مسلم في الحدود (١٦٩٥)، وأحمد (٢٢٩٤٩)، عن بريدة بن الحصيب.

هكذا يحترم الإسلام الجنين الكائن الحي في بطن أمه، ويرتب على ذلك أحكاماً، فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تصوم رمضان إذا كان صيامها يضر بجنينها، وعليها أن تفطر حتى لا تؤذي هذا المخلوق في رحمها، هذا ما يريده الإسلام.

ولكن هؤلاء يريدون الإباحية الجنسية، أطلقوا العنان للشهوات، ثم إذا حملت المرأة أعطوها حقّ التخلص منه، وقالوا: إنها حرّة في جسدها! إنّ هذا ليس جسدها، هذا كائن آخر أدخله الله عليها، فليس من حقّها أن تقتله؛ لأنّها لم تهب له الحياة، الله هو واهب الحياة، فلا يجوز لأحد من مخلوقاته أن يستلبها بغير إذنه.

الإجهاض من الأمور الخطيرة التي تضمّنتها هذه الوثيقة، المتضمّنة لمشروع برنامج هذا المؤتمر.

تعدد أشكال الأسرة في الوثيقة:

من الأشياء الخطيرة التي تضمنها هذا المشروع، ما جاء في الصفحة التاسعة والعشرين: أنّه ينبغي على الجميع أن يقدّموا الدعم للأسرة، مع الأخذ في الاعتبار تعدد أشكال الأسرة!

نحن نعرف شكلاً واحداً للأسرة، هذا الشكل هو ارتباط بين رجل وامرأة، بعقد شرعي له أركانه وشروطه، وبهذا العقد وهذا الارتباط تنشأ الحياة الزوجية، تنشأ الأسرة المسلمة، وهذا آية من آيات الله، ذكرها الله تعالى في كتابه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرّوم: ٢١].

هؤلاء يقولون: هذا شكل من أشكال الأسرة، ولكن هناك أشكال أخرى.

هناك أسرة بلا عقد، اثنان يعيشان معًا وليس بينهما عقد زوج، ليس بينهما ارتباط شرعي يكلف كلاً منهما حقوقاً وواجبات تجاه الآخر.

وهذا للأسف ما لاحظته في أوروبا: إن كثيراً من الشبان والبنات يرتبط بعضهم ببعض ويعيشون معًا، ولكن دون زواج.

حينما كنت أعالج في صيف سنة (١٩٨٥م) في مدينة «بون» بألمانيا، سألت الممرضات اللائي كنَّ يشرفن على تمريضي: هل هنَّ متزوجات؟ لم أجد منهن متزوجة، كلهن «Miss» أي: آنسة. وليس «Mrs» أي: متزوجة كما يقولون.

وعرفت السبب في هذا: أنَّ الزواج مسؤولية، ولماذا يتحملون المسؤولية؟

الشاب ينتقل من واحدة إلى أخرى، والفتاة تنتقل من واحد إلى آخر، وإذا أعجبها شخص تعيش معه سنة، سنتين، ثلاثة، ثمَّ تبحث عن غيره، كما يبحث هو عن غيرها.

فهذا شكل من أشكال الأسرة: الحياة معًا دون ارتباط ودون عقد.

الأسرة ذات الجنس الواحد!

ومن أشكال الأسرة: الأسرة ذات الجنس الواحد، أي: الأسرة المكوّنة من رجلين، أو مكونة من امرأتين، يتزوج الرجلُ الرجلَ، وتزوج المرأةُ المرأةَ!

جمعيات الشذوذ المنتشرة في العالم، هؤلاء للأسف جعلوا هذا شكلاً من أشكال الأسرة ينبغي أن يُدعم!

كيف ندعم هؤلاء الذين خرجوا على فطرة الله، وعلى شرائع السماء، وعلى قيم الأخلاق كلها؟!

يتزوج الرجلُ الرجل! وللأسف أقرّت هذا بعض القوانين في أوربا، وباركت ذلك بعض الكنائس، وبعض القسس يخرج في «التلفاز» ويقول: القس الفلاني يعقد عقود زواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء! هذا ما يريدون منا أن نقرّه: تعدد أشكال الأسرة.

الله ﷻ ذكر لنا قوم لوط، وكيف عاقبهم بعذابه، وأنزل عليهم نقمته، وصبّحهم بكرة عذاب مستقر، وجعل قراهم عاليها سافلها، وأمطر عليهم: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةٌ عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هُود: ٨٢، ٨٣]، أجل ليست عقوبة الله ببعيدة عن هؤلاء الظالمين!

كيف نقرّ عمل قوم لوط؟! وكيف نقرّ السحاق بين النساء؟! وقد خلق الله الزوجين الذكر والأنثى، ورغب في كلّ منهما الميل الفطري إلى الآخر، وجعل من وراء ذلك الإنجاب وبقاء الحياة البشريّة إلى ما شاء الله. هؤلاء وقفوا ضد فطرة الله، وفطرة الكون، وشرائع السماء كلها.

الوثيقة تدعو إلى تأخير الزواج:

هذه الوثيقة تتحدث عن العمل على تأخير الزواج، وأنّه لا ينبغي أن يتزوج الإنسان مبكراً، وتقدّم البدائل له إلى حين يتزوج، ومعنى تقديم البدائل إتاحة فرص الشهوات الحرام إلى أن يأتي وقت الزواج!



فهؤلاء لا يحترمون شريعة ولا ديناً.

هؤلاء وقفوا من هذا الأمر موقف الإباحية والتحلل.

القرآن يقول: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الثور: ٣٢]، والنبي ﷺ يقول: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»^(١)، وهؤلاء يقفون ضد هذا كله.

هذه الوثيقة وهذا المشروع المقدم لمؤتمر القاهرة تضمّن أشياء كثيرة مخالفة للإسلام، بل مخالفة لجميع الأديان، لا يقبلها دين من الأديان، ولا شريعة من الشرائع، بحال من الأحوال.

عزل الأسرة عن العلاقات الجنسية لأولادها:

جاء في هذه الوثيقة: إنّ على الجميع أن يساعدوا المراهقين والمراهقات، وأن يقدموا لهم الثقافة والمعلومات الجنسية والتناسلية، وأن يساعدوا مقدمي الرعاية الصحية، بحيث يكون هناك خصوصية، وسرية لهؤلاء المراهقين، ولا تتدخل الأسرة في شأنهم!

يريدون رفع وصايا الآباء والأمّهات عن الأبناء والبنات، النبي ﷺ يقول: «كلّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته»^(٢)، ولكن هؤلاء يريدون أن يمحووا هذه الرعاية، فلا تكون الأسرة مسؤولة عن أبنائها وبناتها، بل يمضي كلّ منهم وراء المتع والملذّات، كما يشتهي.

(١) سبق تخريجه ص ١٤١.

(٢) سبق تخريجه ص ٢١٧.



نحن لا نمانع، بل هو مطلوب شرعاً أن نقدّم لهم التثقيف الجنسي الصحيح، في جوٍّ من الجدّة والوقار والإيجابية، والإسلام أعطانا في هذا أشياء كثيرة وتوجيهات مفيدة، ولكن ليس معنى هذا أن نتيح لهم الاتصال المحرّم في فترة المراهقة، وإذا حملت الفتاة علينا أن نجهضها، ما هذا؟!

وصاية فكرية وأخلاقية علينا من العالم الجديد:

هذه مجتمعات غريبة، جاءت تريد أن تفرض نفسها علينا، تريد أن تفرض الوصاية الفكرية والأخلاقية، ولا تكتفي بالوصاية السياسية.

العالم الجديد، أو النظام العالمي الجديد، لا يكتفي بأن يفرض وصايته السياسية علينا، حتّى يريد أن يفرض الوصاية الفكرية، والوصاية الأخلاقية والسلوكية على حياتنا، وأن يلزِمنا بقيمه وأخلاقه وسلوكياته، وما خلقنا الله عبيداً لأحد، وما خلقنا الله أذناناً لأحد، نحن لنا ديننا ولهم دينهم.

ليسوا نصارى ولا مؤمنين بدين:

مع أنّهم لو كانوا نصارى حقاً، لو كانوا مسيحيين متّبعين لتعاليم المسيح ﷺ، لوجدوا دينهم نهاهم عن مثل هذا، ولكن هؤلاء لا دين لهم، ليسوا نصارى ولا مسلمين ولا بوذيين ولا غير ذلك، هؤلاء انخلعوا من كلّ دين، وأرادوا أن يفرضوا هذا على العالم.

لهذا وقف المسلمون ضدّ هؤلاء، وقف مجمع البحوث الإسلامية، ولجنة الفتوى بالأزهر، والجماعات الإسلامية، والنقابات المهنية في مصر، وفي المملكة العربية السعودية: هيئة كبار العلماء، ورابطة العالم الإسلامي، وفي البلاد الإسلامية المختلفة هاج الناس هنا وهناك، وطالبوا بمقاطعة المؤتمر، وكنا نودّ لو قوطع المؤتمر.

ولكن لا مانع من حضور المؤتمر، إذا حضرنا ونحن متماسكون لا مستسلمون، ونحن متحدون لا متفرقون، ونحن أمامنا قيمٌ عليا نؤمن بها ونكيّف حياتنا وفقًا لها، ليست ممّا صعد من الأرض ولكنها ممّا نزل من السماء.

نحن الأمة الوسط: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

نحن شهداء على البشرية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

الخوف من تنامي العالم الإسلامي:

إنّ هناك أشياء كثيرة في هذا المؤتمر لا يرضى عنها الله، ولا رسوله، ولا رُسله جميعًا، ولا المؤمنون.

وهناك أشياء خلف هذا المؤتمر لم يُعلنوا عنها، إنَّهم يخافون ما سمّوه: تنامي العالم الثالث، وفي الواقع هم يخافون من تنامي العالم الإسلامي^(١).

العالم الإسلامي يزداد يومًا بعد يوم، وهم يتناقصون يومًا بعد يوم، وهذا أمر طبيعي إذا كان الناس يخافون من تحمُّل أعباء الأسرة، قال لي أحد الأطباء - وكان يشرف عليه طبيب كبير في بريطانيا لكنّه لا ينجب - وسأله: لماذا لا تنجب؟ قال له: ولماذا أنجب؟ أعطني مبررًا واحدًا يجعلني أنجب!

(١) تشير أوراق المؤتمر الدولي للسكان والتنمية بوضوح إلى اختلال التوزيع الإقليمي لسكان العالم، وأنّه في الفترة من (١٩٩٥م) وحتى (٢٠١٥) يتوقع أن يتزايد سكان المناطق الأكثر نموًا (أي: أوروبا وأمريكا) بما يقارب (١٢٠) مليون نسمة، بينما سيتزايد سكان المناطق الأقل نموًا بما قدره (١٧٢٧) مليون نسمة أي أكثر من (١٤) ضعفًا.

هذا الإنسان كأنه يريد أن يحكم على البشرية بالفناء بعد جيل واحد، فلو أن كلَّ النَّاس امتنعوا عن الإنجاب لكان معناه: أن تنتهي البشرية.

البشرية أعطته وجوده، كان عليه أن يعطي كما أخذ، خصوصاً أنه رجل في القِمة من العلم، كان عليه أن يتحمَّل المسؤولية ويربي جيلاً، طفلاً أو طفلين على الأقل، لكنه يريد أن يعيش لنفسه.

العالم الغربي يريد أن يعيش على اللذة والمتعة، ولا يريد حتّى من أولاده أن يزاحموه في متعته ولذّته، كأهل الجاهليّة!

النَّبِيُّ ﷺ سُئِلَ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك». قيل: ثمّ أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك»^(١). أن يزاحمك في اللُّقمة، وهؤلاء لا يريدون لذريتهم أن تزاحمهم، يريدون أن يستمتعوا بالحياة وحدهم، فلا عجب أن يتناقص نسلهم^(٢).

كنتُ في فرنسا في هذا الصيف، فوجدت الفرنسيين يشكّون من تناقص النّسل وتكاثر المسلمين هناك، هناك أكثر من أربعة ملايين مسلم من أبناء الشمال الإفريقي والسنغال وغيرها من البلاد التي كانت مستعمرات فرنسية من قبل، هؤلاء يتكاثرون وأولئك يتناقصون، فهم يقولون: إنّه لو استمر الحال على هذا لأصبحنا بعد عقود قليلة من السنين ونحن أقلية، وصار هؤلاء أكثرية! فهم يخافون من المسلمين داخل بلادهم، ويخافون منهم خارج بلادهم؛ لأنّ الشعب الإسلامي شعب ولود.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٠١)، ومسلم في الإيمان (٨٦)، عن ابن مسعود.

(٢) بل تشير الوثائق إلى أنّ هناك بلداناً أوربية مهددة بالفناء التام خلال أقلّ من نصف قرن، إذا استمرت معدلات النمو السكاني فيها تتناقص كما هو الحال الآن.

ومن قديم قال أحدهم في كتابه «الإسلام قوة الغد العالميّة»: إنّ المسلمين لهم المستقبل، وجعل من أسباب هذا: كثرة النّسل بين المسلمين.

هؤلاء يخشون من تزايد العالم الإسلامي، من تزايد المسلمين في العالم، وقبل سقوط «الاتحاد السوفيتي» كانوا يخوّفون من كثرة المسلمين هناك، وأنّه بعد مدة قليلة سيصبح المسلمون هم حكام الاتحاد السوفيتي، ولعلّ هذا ما جعلهم يعجّلون بسقوطه؛ خشية أن يؤول في النهاية إلى المسلمين.

توزيع الثروة بين العالم المتقدم والبلاد النامية:

ثمّ هؤلاء الذين يربطون بين زيادة السكان والفقر، لماذا لا يذكرون سوء استهلاك الثروة في العالم وسوء توزيعها؟

الأمم المتحدة تقول: إنّ (٢٥٪) من السكان يعيشون في العالم المتقدم، أو العالم الغربي، أو العالم الأوّل كما يسمّونه، والأكثرية تعيش في العالم الثالث، ولكن (٢٥٪) تستهلك من موارد العالم (٧٥ - ٨٠٪) من الأخشاب، و(٧٠٪) من المعادن، و(٦٠٪) من الغذاء إلخ، هكذا يستهلك العالم الغربي.

في أمريكا وحدها نشرت الصحف: أنّ المسكرات والمخدرات والخمور وهذه الأشياء يُنفق عليها وحدها سنويًا: (٢٥ بليون دولار)!

أمّا ما يُنفق على التسليح، فهو بمئات المليارات، لماذا لا يوفّر هذا لتنمية العالم، وتنمية الدول الفقيرة؟

تطويق العالم الثالث بالديون المرهقة:

إنَّ العالم المتقدم، العالم الغربي، العالم الأوَّل، المسرف في استهلاكه، المتمتع بلذاته، طَوَّقَ العالم الثالث، العالم الفقير، العالم الكادح، طَوَّقَه بأغلال من الديون، أنهكتَه وأرهقته، وجعلته يلهث من أجل أن يعطي فوائد الديون (الرِّبا).

الدول المدينة بالمليارات وعشرات المليارات تلهث وتتعب من أجل أن تسدِّد الفوائد، أمَّا أن تسدِّد الأقساط فهيها هيهات.

لم يكف العالم الغربي ما نهبه من خيرات هذا العالم في آسيا وأفريقيا في أيام الاستعمار - نهب الثروات وأقام بنيته الحضارية هناك: الطُّرُق والمؤسسات والسِّكك التي تحت الأرض وغيرها من الأشياء التي أقامها من هذه البلاد التي يحتلها، واستنزف خيراتها ومواردها - لم يكفه هذا فبدأ يشتري المواد الخام منها بأرخص الأسعار، ثمَّ يصنُّعها ويعيدها إليها بأعلى الأسعار.

وهناك النَّاس لا يستطيعون أن يقوموا بمشروعات التنمية؛ فيحتاجون إلى الاستدانة ويمدُّون اليد إلى هؤلاء، ومعظم هذه الديون تعود إليهم في صورة أخرى؛ لأنَّهم يعطون الديون في صورة أدوات مستهلكة، وفي صورة خبراء من عندهم، وفي صورة أشياء يستغنون عنها، ولكن على هذه الدول أن تسدِّد خدمة الدين «الأقساط والفوائد» فلا يستطيع أداء الأقساط فتسدد الفوائد.

وكثيرًا ما تستدين من جديد لتوفِّي الدين القديم، فمتى يمكن أن توفِّي وقد قال الشاعر قديمًا:

إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن قضاء، ولكن كان غُرْمًا على غرم^(١)!

(١) هو ثعلبة بن عمير الحنفي. انظر: ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٣٢٥/٤)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.



هذه هي حالة هذا العالم الثالث والعالم الإسلامي، أمّا العالم
المقتدر المتمكّن، الذي يريد أن يفرض نفسه ويفرض وصيته على هذا
العالم، متجاهلاً دياناته، متجاهلاً شرائعه، متجاهلاً قيمه وأخلاقه.
لا، لا ينبغي أن نستسلم لهذا.

إننا مسلمون، وإسلامنا يفرض علينا أن نعتزّ بشخصيّتنا، وأن نعتزّ
بإيماننا، وأن نعتزّ بقيمتنا، وأن نعتزّ بأحكام شريعتنا، ولا نفرط فيها: ﴿وَمَنْ
أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣]،
﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزُّحُرْف: ٤٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور
الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ:

فقد ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبدٌ مسلمٌ يدعو الله بخيرٍ إلَّا استجاب له^(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللهمَّ أَصْلِحْ لنا ديننا الَّذي هو عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لنا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأَصْلِحْ لنا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كلِّ خيرٍ، واجعل الموت راحةً لنا من كلِّ شرٍّ.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمْسِنَا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ. اللهمَّ اجمع كلمة المسلمين على الهدى، وقلوبهم على التَّقَى، وعزائمهم على عمل الخير وخير العمل.

اللهمَّ اكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْظِنَا وَلَا تَحْرِمْْنَا، وَزِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وارضَ عَنَّا وَارْضْنَا.

اللهمَّ جنبنا كيدَ الكائدين، ومكر الماكِرين، وانصرنا على القوم الكافرين. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿[يُونُس: ٨٥، ٨٦].

اللهمَّ انصر إخوتنا في فلسطين، وانصر إخوتنا في البوسنة والهرسك، وانصر إخوتنا في كشمير، وانصر إخوتنا في الصومال، وانصر إخوتنا في سائر بلاد الإسلام.

(١) سبق تخريجه ص ٥٧.



اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم ردّ عنا كيدهم، وفلّ
حدّهم، وأدلّ دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً
على أحد من عبادك المسلمين.

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك
ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد
المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله
وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



التدخين آفة ضارة وهو حرام^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

التدخين آفة من آفات العصر:

طلب إليّ بعض الإخوة أن أحدثكم عن التدخين؛ بمناسبة اليوم العالمي للتدخين.

والتدخين آفة من الآفات، ابتلي بها الناس في عصرنا، وابتلي بها العرب والمسلمون خاصة، وأصبحت داء يتناقله الناس بعضهم عن بعض. هو كالأوبئة التي تُعدي كما يُعدي الأجرُ السليم، وسرعان ما تنتشر هذه الآفة انتشار النار في الهشيم، الصغير يقلد الكبير، والابن يقلد الأب، والفقير يقلد الغني، ويبدأ الناس كما قالوا: «أوله دلع وآخره ولع». فيصبح الإنسان عبداً لهذه الآفة، أسيراً لهذه العادة، لا يملك لها فكاكاً.

(١) أُلقيت في ١٤ محرم ١٤١٧هـ - ٣١ مايو ١٩٩٦م، وراجع كتابنا: فتاوى معاصرة (١/٦٥٤ - ٦٦٩)، فتوى: أحكام التدخين في ضوء النصوص والقواعد الشرعية.

اختلاف العلماء قديمًا في حكم التدخين:

لقد ظهرت هذه الآفة منذ حوالي أربعة قرون، على رأس الألف من الهجرة، واختلف العلماء عند ظهورها، في شأنها ما بين محرّم لها لما يرى ما تجلبه من ضرر، ومن قائل بكرهاتها، ومن مبيح لها يقول: إنّ الأصل في الأشياء الإباحة، ولم يرد ما يحرم هذا الأمر.

في عصرنا يجب أن نفتي بالتحريم:

ولكنّا في عصرنا ينبغي أن نجزم بحكم واحد لا ريب فيه ولا شبهة معه، هذا الحكم هو تحريم التدخين تحريمًا باتًا؛ وذلك لأنّ حكم الفقيه في هذه القضية مبني على رأي الطبيب، فإذا قال الطبيب: إنّ هذا الأمر ضارّ، وليس فيه نفع، فينبغي للفقيه أن يقول: إنّ هذا الأمر حرام ولا شكّ فيه. وهذا ما أجزم به، ويجزم به الفقهاء المحقّقون: أنّ هذا التدخين آفة محرّمة؛ وذلك لعدة أسباب:

التدخين ضدّ الضروريات الخمس:

أولاً: إنّ هذا التدخين ضرر لا شكّ فيه، ضررٌ على النّفس، وضررٌ على العقل، وضررٌ على الدين، وضررٌ على المال، وضررٌ على النّسل. ضررٌ يؤثر في المصالح التي سمّاها الفقهاء: الضروريات الخمس، التي لا تقوم حياة إنسانيّة إلّا بها.

التدخين ضرر على النّفس والحياة والصحة:

هو ضررٌ على نفس الإنسان وعلى صحّته، أجمع على ذلك أطباء العالم، والهيئات العلميّة في العالم، ولذلك فرضوا على الشركات التي

تبيع هذا الدخان - أو التبغ أو التتن أو سُمُّوه ما تسمُّونه - أنْ تعلن أنْ التدخين ضارٌّ بالصحة.

هو ضارٌّ بصحة الإنسان، مسببٌ لأنواع من السرطانات، منها سرطان الرئة والمريء والبلعوم وغير ذلك، ومسببٌ لأمراض تصيب شرايين القلب إلى غير ذلك. فهو ضررٌ على حياة الإنسان، وعلى صحة الإنسان. صحيح أنه ليس ضررًا فوريًا، ولكنه نوع من الانتحار البطيء. هناك سُمٌّ يقتل في الحال، وهناك سُمٌّ يقتل بعد سنة أو سنتين أو عشر سنين. هو سُمٌّ قاتل، فيه من هذه المواد: الزفت، والقطران، والهباب الأسود، والنكوتين، والمواد الكيماوية، والمواد السامة، ما يؤثر في جسم الإنسان على المدى الطويل.

فالإنسان الذي يتناول هذا الشيء، يتناول سُمًّا بطيئًا، ينتحر ولكن بالقطارة.

فهل يجوز للإنسان أن يقتل نفسه والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]؟!!

لقد قرّر العلماء أنه لا يجوز للمسلم أن يتناول شيئًا يضره في الحال أو في المال، ولو كان أكل الطين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، والنبي ﷺ يقول: «لا ضرر ولا ضرار»^(١). لا تضر نفسك ولا تضارَّ غيرك، فكيف يجوز للإنسان أن يضر نفسه؟!!

(١) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس. ورواه الدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري، وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، =



وفلسفة الإسلام هنا واضحة كلُّ الوضوح، بيّنة كالشمس في رابعة النهار: إنَّ الإنسان ليس ملك نفسه، بحيث يؤدي نفسه كما يشاء، ويضرها كما يشاء، لا أنت لم تخلق نفسك، الله هو الذي خلقك: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ ﴿١﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٢﴾﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

كيف تضر نفسك باختيارك؟! هل يفعل هذا إنسان له عقل؟! لا، فكيف إذا كان المدخن يضر نفسه ويضار غيره؟! لا، فكيف إذا كان المدخن يضر نفسه ويضار غيره؟!

لقد أثبت لنا العلم، وأثبت لنا الطبُّ: أنَّ المدخن يؤدي غيره قهراً. أنا لست مدخناً، ولكن إذا جلست في مكان فيه مدخن، فأني أصاب - بقدر ما - بما يسمونه: التدخين القسري! أي: أنا أدخن رغم أنفي؛ لأنني استنشقت الهواء الذي فيه أثر التدخين.

المدخن يؤثر على مَنْ حوله: على زوجته، على أولاده، على البيئة التي يعيش فيها، فهو يضر نفسه ويضار غيره.

ولذلك نقول: إنَّ الضرر على النفس، على الصحة، على الحياة، من هذه المصيبة ضررٌ مؤكَّد، لا يجوز لعاقل أن يدخل من هذه المصيبة ضرراً مؤكداً على نفسه، لا يجوز لعاقل أن يدخل هذا السم على جسده مختاراً، وعنده ذرة من عقل.

= ورواه مالك في الموطأ مرسلًا، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النبي ﷺ، فأسقط أبا سعيد. وله طرق يقوي بعضها بعضًا. قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم في شرحه للحديث: وقال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد قبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به، وقول أبي داود: إنَّه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف، والله أعلم. وقال ابن الملقن: وصحَّحه إمامنا - أي الشافعي - في حرملة. خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢)، نشر مكتبة الرشد، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م. وقال ابن رجب: وقد استدلل الإمام أحمد بهذا الحديث. في جامع العلوم والحكم (٢١٠/٢)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

التدخين ضارٌ بالعقل:

الله وهبنا العقول لنفكر بها، فكيف يفكر الإنسان أن يضر نفسه مختاراً ولم يُكرهه أحد على هذا؟!!

التدخين ضارٌ بالعقل، يؤثر على العقل؛ ففيه نوع من الإسكار، ونوع من التفتير، يشعر به الإنسان حينما يتناول أول سيجارة، فيذهل على نفسه، ويكفي أن ترى المدخنين وسلوكهم، فتستيقن من ذلك.

هؤلاء الذين ينفقون أموالهم فيما يضرهم، وربما كانت أسرهم وأطفالهم في حاجة إلى القوت الضروري، وهم لا يبالون!

هل هذا إنسان عاقل؟!!

لا أحسب هذا إنساناً عاقلاً بحال، ولا أدري ما يقوله العلم المعاصر والطب المعاصر عن تأثير التدخين على مخ الإنسان.

التدخين ضارٌ بالدين:

والتدخين كما يضرُّ بالنفس، ويضرُّ بالعقل، يضرُّ بالدين.

أعرف أناساً لا يصومون رمضان، لماذا؟

يقول أحدهم: لا أستطيع أن أستغني عن السجارة؛ إنها حياتي!

وكثير من الناس يصوم وأول ما يؤذن المغرب يُفطر على هذا الخبث الخبيث، على التدخين.

ثم إن التدخين يجري المدخن على ارتكاب ما نهى الله عنه من التبذير والإسراف، وإيذاء الغير، إلى جانب تقصيره فيما أمر الله به من الواجبات الدنيوية والدنيوية، فلا يستطيع مدخن أن يقوم بواجب

الجهاد في سبيل الله، دفاعًا عن الدين أو الأرض، أو العرض؛ لأنّ التدخين يُضعفه بدنيًا، ويحرّمه من القوّة اللازمة لأعباء الجهاد ومشقّاته.

التدخين ضارٌّ بالنّسل:

والتدخين ضررٌ بالنّسل؛ فالمدخن يؤثّر على أولاده، ويضرُّ بأطفاله، وهذا أمرٌ مؤكّد.

أثبتت أحدث الدراسات أنّ الأولاد والأطفال الذين يترعرعون في بيئة مدخنة، ومع أب مدخن، أو أم مدخنة، هؤلاء تكون جدران شرايينهم - شرايين القلب - أضعف من غيرهم، ويكونون معرّضين لآفات وأمراض لا يعلمها إلّا الله.

وهؤلاء ما داموا يعيشون مع أب مدخن أو أم مدخنة، فهم في بيئة ملوثة يقينًا، ويدخنون قهراً عنهم؛ لأنّهم يستنشقون هواء التدخين، ثمّ بعد ذلك يقلّدون الأب المدخن، ويظنّون أنّ التدخين من علامات الرجولة، ولذلك كثير من الأولاد الصغار يبدأ التدخين ويمسك بالسيجارة والعلبة؛ ليثبت أنّه قد بلغ، وأصبح رجلًا من الرجال، والآفة من الأب المدخن.

التدخين ضارٌّ بالمال:

التدخين يضرُّ بالضروريات الخمس كلّها، ومنها: الضرر المالي. الإنسان المدخن ينفق ماله فيما لا ينفع في الدُّنيا ولا في الآخرة، وقد اتفق العلماء على أنّ إضاعة المال فيما لا ينفع لا في الدُّنيا ولا في الآخرة حرام، لا يجوز.

لا يجوز إضاعة المال، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال^(١)، المال مال الله، وأنت مُستخلف فيه، فلا يجوز لك أن تضيّع مالك فيما لا ينفعك: لا ينفع رُوحك، ولا ينفع بدنك، ولا ينفع عقلك، ولا ينفع نفسك، ولا ينفع أسرتك، ولا ينفع أمتك.

المدخن يشتري ضرره بحرّ ماله، يضُرُّ نفسه بالثمن، ليته يضُرُّ نفسه مجاناً، يضُرُّ نفسه بما يدفع. هل هذا عقل؟! هل هذا دين؟!

وممن يشتري؟ يشتري من الشركات العالمية التي تبيع السجائر: شركات «المارلبورو» وغيرها، التي يعلنون عنها، وهذه شركات استعماريّة، يملك الكثير منها اليهود وأشباه اليهود، تنفق على الدعاية وحدها في السنة عدّة مليارات - لا أذكرها، قرأتها قريباً ونسيت العدد، أرقام ضخمة - كيف بما تكسبه هذه الشركات؟! تكسب شيئاً هائلاً.

ونحن المسلمين نشترى منها بالمليارات، وبعض البلاد الإسلاميّة المحدودة الدخل والمدينة، من أكثر البلاد تدخيناً، مثل: الباكستان ومصر، النَّاس يدخنون بشراهة، وهم لا يكادون يجدون القوت.

ومن عجب: أن ترى الرجل يشتري السجائر ويدخن وأولاده ربما كانوا في حاجة إلى رطل من اللحم - أو كيلو من الفاكهة - يأكلوه، وربّما كانوا في حاجة إلى ملابس تستر أجسادهم، وربّما كانوا في حاجة إلى أدوات مدرسية، إلى كتب، إلى هذه الأشياء الأساسيّة، فيذهب الرجل يشتري السجائر ويدع أسرته المسكينة تعاني ما تعاني.

هذا ما تقع فيه الأمّة.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٥)، ومسلم في الأفضية (٥٩٣)، عن المغيرة بن شعبة.

نحن إذن ننفق سلع هذه الشركات العالمية، ندفع لها المليارات سنوياً، من قوت أولادنا، وعصارة أرزاقنا!
فهذا هو الضرر المالي.

التدخين ليس من الطيبات:

ثانياً: الإسلام يكره الإسراف في الحلال: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، فكيف بهذا الأمر الذي لا يمكن أن يُعدَّ في الطيبات!؟

وُصف النبي ﷺ في كتب الأقدمين بأنه: «يحلُّ لهم الطيبات ويحرِّم عليهم الخبائث»^(١)، في أيِّ خانة نضع هذه السجائر؟

في خانة الطيبات أم في خانة الخبائث؟

الذي عنده حسُّ فطري لا شك أنه سيضعها في خانة الخبائث؛ لأنه ليس فيها أيُّ شيء من النفع والطيب.

لولا اعتياد الناس لها ما تذوقها الإنسان، لكرهها، لرمها، لكنَّ الإنسان إذا اعتاد شيئاً ولو كان أكل الطين، فإنه يسهل عليه، ويحلو له، وهذه آفة - أيضاً.

استعباد إرادة الإنسان:

ثالثاً: من آفات هذا التدخين: أنه يستعبد إرادة الإنسان.

(١) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِنِجِيلٍ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

الإنسان المدخن عبدٌ لهذه الآفة، عبدٌ لهذه العادة، ليس حرًّا، لا يستطيع أن يحرّر نفسه إلا بإرادة قويّة، كأن تكون «حُكم الطبيب»، يقول له: إمّا أن تقلّع عن التدخين، أو أن تعرّض نفسك للموت، هذا ما رأيناه، رأينا أناسًا بعد أن عاشوا ثلاثين سنة، وأربعين سنة، وخمسين سنة يدخنون.

لكنهم بعد إنذار الطبيب ألقوا عن التدخين؛ لأنّه إمّا حياة وإمّا موت، وهم لا يريدون أن يموتوا، فيقلعون عن التدخين بعد هذه السنين الطويلة.

استعباد الإرادة هذه آفة:

لماذا تعبّد نفسك لغير الله؟!

لماذا تجعل إرادتك رهناً بشيء ليس هو من الأساسيات، ولا من الضروريات، ولا الحاجيات، ولا التحسينيات، شيء يمكن الاستغناء عنه تمامًا؟!

بل هو شيء مؤذٍ وشيء كرهه، رائحته نفسها مؤذية.

أنا من النَّاس الذين لا يطيقون رائحة التدخين، ولو ابتليت بإنسان يُدخن أكاد أختنق، وأقول له: يا أخي ارحمني.

والغريبون عرفوا هذا الأمر، فجعلوا في الطائرات أماكن للمدخنين، وأماكن لغير المدخنين، وكذلك في القطارات وفي الحافلات «الباصات»، يجعلون هناك عربات أو مقاعد للمدخنين، حتّى لا يؤذوا غيرهم، وبلادنا قد قلّدتهم وإن كانت للأسف لا تلتزم، كثيرًا ما ركبت بعض الطائرات العربية، ورأيت في أماكن غير المدخنين من يُشعل السيجارة ولا يبالي بالناس.

رابعًا: هناك أناس يقولون: التدخين مكروه وليس حرامًا؛ لأنَّ التحريم يحتاج إلى نصٍّ مُحْكَم، ولا نصٍّ، وأنا أقول لهؤلاء: النصُّ موجود، وهو كلُّ ما يحَرِّم إضرار الإنسان بنفسه أو غيره، وكلُّ ما يحَرِّم الإسراف في المال أو إنفاقه فيما لا ينفع، وكلُّ ما يحَرِّم الخبائث من الأطعمة والأشربة ونحوها. وهبْ أننا سلَّمنا لهؤلاء المجادلين والممارين بأنَّ هذا أمرٌ مكروه، فهي كراهة تحريم بلا ريب.

وقد قلت لأحدهم يومًا: كم تفعل هذا المكروه في كلِّ يوم؟ فقال: أربعين مرة أو تزيد! قلت له: اجمعها بعضها على بعض، فلن تقلَّ عن حرام بيقين. جاء في الحديث: «إياكم ومحَقَّرات الذنوب؛ فإنهن يجتمعن على الرجل حتَّى يهلكنه»^(١)، وفي حديث آخر: «إياكم ومحَقَّرات الذنوب؛ فإنَّما مثل محَقَّرات الذنوب كمثِّل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتَّى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإنَّ محَقَّرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»^(٢).

ومثل ذلك يقال في اجتماع المكروهات التحريمية المتكررة أبدًا.

هدايا المدخنين غير جائزة:

والتجار للأسف يشجعون المدخنين، تجد هناك أشياء كثيرة تتبرع بها الشركات من أجل التدخين: الأطباق التي توضع في المجالس

(١) سبق تخريجه ص ١٦٥.

(٢) رواه أحمد (٢٢٨٠٨)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. والطبراني في الكبير (١٦٥/٦)، وفي الأوسط (٧٣٢٣)، وفي الصغير (٩٠٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٤٦٢): رواه أحمد، عن سهل بن سعد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين، ورجال أحدهما رجال الصحيح، غير عبد الوهاب بن الحكم وهو ثقة. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٦). عن سهل بن سعد.

و«الصالونات» لإطفاء السجاير، وعلب السجاير، وقدّاحة لإشعال السجاير، وغير ذلك، وهذا لا يجوز.

لا يجوز للإنسان أن يضع في بيته مطفأة أو «طفاية»، من جاء إلى بيته فليحترم البيت، ولا يدخن؛ حتّى لا يؤذي أهل البيت.

لا نشجع الناس على التدخين بأن نضع لهم «طفايات» السجاير في بيوتنا ومجالسنا، ليوؤوا بإثمهم، إن كان ولا بدّ فليحملوا أوزارهم وحدهم، ولا يحملونا هذه المصيبة.

لا أيّها الإخوة:

السجاير هذه آفة ومصيبة ابتلي بها الناس، لا يجوز لنا - نحن المسلمين - أن نشارك فيها، بل ينبغي أن نقف ضدها حرصاً على سلامتنا، حرصاً على صحّة أجسامنا، حرصاً على صحّة عقولنا، حرصاً على صحّة ديننا، حرصاً على صحّة أولادنا، حرصاً على صحّة جيراننا، حرصاً على سلامة أموالنا، حرصاً على قوة مجتمعنا، فإنّ مردود هذه الآفة في النهاية هو ضعف الأمة، وإصابتها بضرر عام في الحياة كلّها.

بيع التبغ (الدخان) وزراعته غير جائزة شرعاً:

لا يجوز أن ندخن، ولا يجوز لنا أن نبيع السجاير والدخان؛ لأننا نبيع الحرام، ومن باع الحرام شارك فيه.

الإسلام حينما حرّم الخمر لعن معها عشرة: «عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقها، وبائعها، وأكل ثمنها،

والمشتري لها، والمشتري له»^(١)، كلُّ من ساهم فيها من قريب أو من بعيد ملعون على لسان مُحَمَّد ﷺ.

ولذلك نقول: إنّ زراعة «التبغ» هذا محرّمة، وللأسف هناك بعض البلاد الإسلاميّة تزرع هذا الدخان.

لا يجوز أن يُزرع، ولا يجوز أن يُباع، ولا يجوز أن يُتاجر فيه، كثير من البقالات، والمحلات التجارية تبيع السجائر؛ لأنّ وراءها مكسبًا كبيرًا، ولكنّه كسب من سُحت، لا يبارك الله فيه؛ لأنّه كسب من أذى النَّاس، من ضرر النَّاس.

والله لأنّ تكسب قليلاً من حلال يبارك الله لك فيه، خير من أن تكسب الحرام من وراء هذه الآفة.

ينبغي للمسلمين - أصحاب البقالات والمحلات التجارية - أن يقاطعوا السجائر، ولا يبيعوها، من يريد أن يشتري السجائر عليه أن يبحث ويتعب، من أراد أن يدخل جهنّم فليدخلها وحده، لكن إذا كنت أنت حريصاً على الجنّة، وحريصاً على النّجاة من النّار والسلامة من العذاب، فلا تشارك في هذه الآفة.

استيراد الدخان لا يجوز:

لو استطعنا أن نمنع استيراد هذه البضاعة الأثيمة، فلننفع؛ لأنّ استيراد المواد المضرة لا يجيزه شرع ولا قانون ولا أخلاق، فليت حكوماتنا تحزم أمرها وتمنع هذه السلعة الضارة.

(١) سبق تخريجه ص ٨٨.

منع التدخين في الأماكن العامة:

لقد سعدت بما صدر من قرارات في دولة قطر تمنع التدخين في مستشفى حمد العام، وتمنع التدخين في جامعة قطر، وتمنع التدخين في مدارس وزارة التربية والتعليم، وتمنع التدخين في الأماكن العامة، كما سعدت بمنع التدخين في طائرات الخليج بين دول مجلس التعاون.

وينبغي أن نوسّع في هذا ما استطعنا؛ حتّى نضيّق على هؤلاء الذين يؤذون أنفسهم بأنفسهم، ويؤذون من حولهم بالرغم منهم.

هؤلاء مرضى، فينبغي ألاّ نمكّنهم من أن يؤذوا أنفسهم ويؤذوا المجتمع من حولهم.

المشكلة أنّهم لا يؤذون أنفسهم فقط، تبين لنا أنّهم يؤذون الغير شاؤوا أم أبوا.

دعوة المدخنين إلى وقفة مع النفس:

نحن في حاجة إلى وقفة مع النفس.

أدعو الإخوة والأبناء الذين ابتلوا بهذه الآفة أن يقفوا مع أنفسهم وقفة حزم، وقفة إرادة، لا يحتاج الأمر إلّا إلى إرادة، أليس المسلم يصوم رمضان فيمتنع خمس عشرة ساعة أو أكثر في اليوم عن هذه الآفة، ولا يحدث له شيء؟!!

الإرادة هي التي فعلت هذا:

نحن نريد الإرادة القوية التي يعزم فيها صاحبها: ألاّ يعود إلى هذه الآفة، سيدوخ في أوّل الأمر، ويشعر بالغثيان، ولكن ثمن هذا ثمن

عظيم: سينجو من هذه الآفة، سينجو ممّا تسببه من أمراض خطيرة، سينجو هو وأولاده، سينجو المجتمع من حوله.

نحن في حاجة إلى هذه الإرادة، وكما يقول الشاعر قديماً:
إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإنّ فساد الرأي أن تتردداً
وإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلاً فإنّ فساد العزم أن يتقيداً^(١)

هناك من يقول: يمكن أن تأخذ الأمر بالتدريج بعد أن كنت تدخن ثلاثين سيجارة دخن عشرين، ثم عشرة، ثم خمسة إلخ.

وهناك من يقول: الأمر يحتاج إلى الإرادة الجازمة، إلى الإرادة القوية، وهذا هو الأصوب: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

إنني أدعو إخواني المسلمين، وأدعو أبنائي المسلمين، إلى أن يملكوا هذه الإرادة المؤمنة، أن يملكوا هذه العزيمة الصادقة، وأن يتوكلوا على الله، وينووا ترك هذه الآفة، ويصبروا على ما يصيبهم أياماً أو أسابيع، ثم يصبح الأمر عادياً بعد ذلك.

أمّا النساء اللاتي يدخنن فهي آفة عظيمة دخيلة على مجتمعنا، ما كنّا نعرف في بلاد العرب والمسلمين أن امرأة تدخن، وما أقبح المرأة التي تمسك السيجارة وتدخن، وأسنانها صفراء، ورائحتها كريهة.

النبي ﷺ قال: «من أكل بصلاً أو ثومًا، فليعتزلنا» - أو قال: «فليعتزل مسجدنا» -، وليقعد في بيته»^(٢)، وأمر بعض الناس أن يخرج من المسجد

(١) البيت الأول للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور بالله، والبيت الثاني لمحمد بن داود وزير المأمون. انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (٢٥٧/١)، نشر دار الجيل، بيروت، والمستطرف في كل فن مستطرف ص ٨٤.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٥٥)، ومسلم في المساجد (٥٦٤)، عن جابر.

لسوء رائحته، ممّا أكلَ من الثوم والبصل والكراث وهذه الأشياء^(١)، مع أنّها نافعة، فيها «فيتامينات» وغيرها من مواد الغذاء، ولكن رائحتها كريهة.

لا ينبغي للإنسان أن يؤذي غيره، فكيف يؤذي الرجل امرأته برائحته الكريهة؟ وكيف تؤذي المرأة زوجها؟ أو تؤذي أولادها؟!

كلُّ هذا ينبغي أن نقف معه وقفةً حازمة، نراجع فيها أنفسنا، ونثوب فيها إلى رشدنا، وننوي نية صادقة ألا نعود إلى هذه الآفة أبداً: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه خطب يوم الجمعة فقال في خطبته: ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين لا أراها إلا خبيثتين: البصل والثوم، لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به فأخرج إلى البقيع، فمن أكلهما فليؤمتهما طبخاً. رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٦٧)، وأحمد (٨٩).

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

من حقّ الشعب أن يختار من يريد:

كنت أبداً مع اختيار الشعب الجزائري في انتخاباته المعروفة التي أُلغيت، وكنت أرى أن من حقّ هذا الشعب أن يختار من يريد أن يحكمه، فهو ليس شعباً قاصراً.

من حقّه أن يختار لنفسه كما تختار الشعوب لنفسها، كما يختار الأمريكيان لأنفسهم، وكما تختار إسرائيل لنفسها، وكما يختار الأوروبيون لأنفسهم، وكما يختار الهنود لأنفسهم، العالم كله يختار من يريد.

ومن حقّ الشعوب أن تحكّم بمن تريد، ولا تُكره على أحد، الإسلام لا يحب أن يُكره النَّاسُ حتّى على إمام الصلاة، ومن الثلاثة الذين لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: «رجل أمّ قومًا وهم له كارهون»^(١).

كنت مع الشعب الجزائري، ولكنّي لست مع هذه الجماعات المسلحة، التي تقول: إنّها جماعات مسلمة وتقتل البراء بغير حقّ، وبغير ذنب، وتقتل العزل من النَّاسِ ومن المدنيين، وتقتل قتلاً عشوائياً.

الإسلام يرفض هذا، الدماء في الإسلام مصونة، والحياة محترمة، والقرآن يقرّر ويؤكد ما جاء في الأديان السابقة أن: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

(١) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٧١)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٩/١): إسناده صحيح ورجاله ثقات. وابن حبان في الصلاة (١٧٥٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والطبراني (٤٤٩/١١)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٢٠٦)، عن ابن عباس.

ولهذا اقشعر بدني، حينما سمعت قتل الرهبان الفرنسيين السبعة في الجزائر، ما صدّقت أن يحدث هذا من مسلم، الإسلام لا يجوز أن يُقتل الإنسان - في غير حرب - بغير نفس قتلها عمداً، وبغير فساد في الأرض، ولم يفعل ما يبيح دمه، فلماذا يُقتل هؤلاء الرهبان.

الإسلام نهى في الحرب العلنية الرسمية بينه وبين أعدائه أن يُقتل الرهبان، لا يُقتل إلا من يقاتل.

رأى النبي ﷺ في بعض الغزوات امرأة مقتولة، فأنكر ذلك، وقال: «ما كانت هذه لتقاتل»^(١)، ونهى بعد ذلك عن قتل النساء والصبيان، كما نهى عن قتل العُصفاء، أي: الأجراء الذين يعملون بالأجرة.

ونهى الخلفاء الراشدون عن قتل الفلاحين، الذين لا ينصبون للمسلمين في الحرب، وقال سيّدنا أبو بكر حينما وجّه جيشاً: ستجدون أناساً في الصوامع، فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له^(٢).

هكذا قال أبو بكر، وأقرّه الصحابة رضوان الله عليهم، فلماذا يُقتل هؤلاء الرهبان؟

أخذوهم رهائن، والإسلام لا يجوز مسألة الرهائن، لا يحيز أن ترهن إنساناً من أجل وزر إنسان آخر.

ما ذنب هذا الإنسان؟

الذين يخطفون الطائرات أو يخطفون السفن، ويهدّدون الآخرين: إذا لم تسلّموا من عندكم، أو تسلّمونا كذا، سنقتل هؤلاء! ما ذنب هؤلاء المخطوفين؟

(١) رواه أحمد (١٥٩٩٢)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٩)، عن رباح بن ربيع.

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٢٢٦/٣، ٢٢٧)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.



هذا لا يجوز في الإسلام قط، لا يجوز أن تهدد إنساناً بريئاً من أجل جرم غيره. الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وهذا أمر مقرر في الرسالات الإلهية جميعاً: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ ﴿أَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٨].

لا تزر وازرة وزر أخرى:

وقد روى أهل التاريخ: أنَّ الحجاج بن يوسف الثقفي، المشهور بالعسف والجبروت، اعتقل إنساناً، ثمَّ جيء به إليه في مجلس الحكم، فسأله عن قضيتِهِ، فقال له: جنى جانٍ من عرض العشيرة، فأخذت به - يعني: أنَّ أخاه أو ابن عمه أو واحداً من عصبته جنى جناية، بحثوا عنه فلم يجدوه؛ فأخذوا هذا به - فقال له: أمّا سمعت قول الشاعر:

جانیک مَنْ یجني علیک وقد
ولرب مأخوذ بذنب عشيرة

تعدي الصحاح مبارک الجرب^(۱)!
ونجا المقارف صاحب الذنب!

فقال له: أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِذَا كَانَ الشَّاعِرُ قَدْ قَالَ ذَلِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ. قَالَ: وَيْحَكَ، وَمَاذَا قَالَ اللَّهُ؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ إِخْوَةِ يُوسُفَ: ﴿قَالُوا يَكَايُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعْنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ﴾ [يوسف: ٧٨، ٧٩]، صَاحِبُ الْجَرِيرَةِ يُؤْخَذُ بِجَرِيرَتِهِ، وَلَا يُؤْخَذُ أَحَدٌ مَكَانَهُ.

(١) يعنى: الأجرب يمكن أن يُعدي السليم.

سمع الحجاج هذه الآية من الرجل فقال: صدق الله وكذب الشاعر! خلّوا سبيل هذا الرجل^(١).

الحجّاج الظالم يخضع لنصّ القرآن: ﴿إِنَّا إِذَا ظَلَمُومٌ﴾!

لا يجوز أن نقتل الرهبان من أجل أننا نطالب فرنسا بشيء، ما ذنب هؤلاء الرهبان؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

لا يجوز أن نظلم أحداً بسبب أحد، ولذلك سرّني أنّ السياسيين من جبهة الإنقاذ الذين يعيشون خارج الجزائر أنكروا هذه الجريمة، وتبرؤوا منها، وقالوا: إنّ الإسلام بريء من مثل هذا، وهذا هو الحقّ الذي ينبغي أن يُقال وأن يصرّح به.

ليس هناك أحد أكبر من أن يُلام، ومن أخطأ ينبغي أن يتحمل نتيجة خطئه.

الإسلام دين سمح، ودين عدالة، ولا يظلم أحداً، ولا يأخذ أحداً بذنب أحد؛ لأنّه يمثل عدل الله تعالى في الأرض، والله تعالى هو العدل الذي لا يظلم أحداً.

كلمة عن نتائج الانتخابات الإسرائيلية:

أيّها الإخوة:

قبل أن أدع مقامي هذا، أحبّ أن أقول كلمة عن نتائج الانتخابات الإسرائيلية:

(١) العقد الفريد (٢٩/١، ٣٠).

العرب كانوا معلقين كل آمالهم على نجاح «بيريز»، وقد سقط «بيريز». وهذا ممّا نحمده في إسرائيل، ونتمنى أن تكون بلادنا مثلها، وأن يكون الشعب هو الذي يحكم، ليس هناك التسعات الأربع (٩٩،٩٩) أو التسعات الخمس (٩٩،٩٩٩) التي نعرفها في بلادنا! إنّ الله تعالى وهو خالق الخلق ورازقهم ومدبر أمرهم لا يأخذ هذه النسبة كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ولكنه الكذب والغش والخداع!

ونحن لا يهمنا في الحقيقة إن نجح «بيريز» أو نجح «نتنياهو» فكلاهما شرّ، كما قال أحد الشباب أمس: إنّ كليهما يريد أن يأكلنا، واحد يريد أن يأكلنا بيديه، وواحد يريد أن يأكلنا بالشوكة والملعقة، إنّما نحن المأكولون، نجح «الليكود» أو نجح «العمل» نحن المضيّعون.

ينبغي ألا يعلق الناس أملاً إلا على الله تعالى.

لعلّ الإخوة الفلسطينيين يجمعون صفوفهم، ويعرفون أنّ هذا السلام الهزيل سلام يقوم على ساقين مريضتين، سلام هش لا قيمة له ولا وزن.

ينبغي أن يضعوا كلهم أيديهم، بعضهم في يد بعض.

وينبغي للعرب أن يعودوا إلى أنفسهم، ويتضاموا بعد هذه الجفوة التي حدثت، لا منجى لنا ولا مهرب إلا بأن نتحد، إلا بأن نتضام، إلا بأن نصبح كتلة واحدة كالبنيان المرصوص.

هذا ما ينبغي أن نفعله.

ليس أمامنا إلا أن نعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرق: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْمَعَ كَلِمَتَنَا عَلَى الْهَدْيِ، وَقُلُوبَنَا عَلَى التَّقَى،
وَأَنْفُسَنَا عَلَى الْمَحَبَةِ، وَعِزَّائِمَنَا عَلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَخَيْرِ الْعَمَلِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ يَوْمَنَا خَيْرًا مِنْ أَمْسِنَا، واجْعَلْ غَدَنَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِنَا،
وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا
شَأْنَنَا كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ انصِرِ الْإِسْلَامَ وَأَعِزِّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ هِيَ
الْعُلْيَا، واجْعَلْ كَلِمَةَ أَعْدَائِهِ هِيَ السُّفْلَى، وانصِرِ إِخْوَانَنَا الْمَجَاهِدِينَ فِي
سَبِيلِكَ حَيْثَمَا كَانُوا مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ، وَأَنْقِذْ إِخْوَتَنَا الْمُضْطَهَدِينَ
وَالْمَمْتَحِنِينَ وَالْمَأْسُورِينَ، اللَّهُمَّ افكِكْ بِقُوتِكَ أَسْرَهُمْ، واجبر برحمتك
كُسْرَهُمْ، وتولَّ بعنايتك أَمْرَهُمْ.

اللَّهُمَّ وَلِّ أُمُورَنَا خِيَارَنَا، وَلَا تَوَلِّ أُمُورَنَا شَرَارَنَا، وارفع مقتك
وغضبك عَنَّا، وَلَا تَهْلِكْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا، وَلَا تَسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا
مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مَطْمَئِنًّا، سَخَاءَ رِخَاءٍ وَسَائِرَ بِلَادِ الْإِسْلَامِ.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْنَ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



جولة حول العالم صورتان متناقضتان

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

كنتُ في جولة في العالم الإسلامي، وخارج العالم الإسلامي. زرت المسلمين في أقطارهم وأوطانهم، وزرت أيضًا بعض المسلمين خارج الأقطار والأوطان الإسلاميّة، حيث يعيشون أقليات - أو جاليات - في مجتمعات غير إسلاميّة.

والذي خرجت به صورتان متناقضتان:

صورة مشرقة مضيئة، تملأ النَّفس بهجة وسرورًا.
وصورة أخرى مظلمة معتمّة، تفتت الأكباد، وتقطع نياط الفؤاد.
هاتان الصورتان نطالعهما في كلّ مكان.

صورة معتمّة لبعض المسلمين:

صورة بعض أولئك الذين ينتسبون إلى الإسلام، ويتسمّون بأسماء المسلمين، وقد نسلوا من بين ظهراني المسلمين، آباؤهم مسلمون

وأمهاتهم مسلمات، ولكنهم يعيشون عيشة بعيدة عن الإسلام، ويحيون حياة غير إسلامية.

هذه الطائفة من الناس نراها في كل مكان، نراها هنا وهناك وهناك في أرض العرب، وفي أرض الإسلام.

ترى أولئك الذين يحملون الأسماء الإسلامية، ولكنهم لا يحيون الحياة الإسلامية.

ترى ذلك الشاب الذي نشأ من أبوين مسلمين، ولكنه لا يقيم الصلاة، لا يعظم شعائر الله، لا يلتزم بأدب الإسلام، ولا بخلق الإسلام، يشرب المسكرات، ويتناول المخدرات، ويمشي وراء الفتيات، ويعيش عيشة الغربيين الذين لا دين لهم، وإن تسموا في بعض الأحيان بأسماء المسيحية وغيرها.

هذا من ثمار «تيار التغريب» الذي يعمل عمله منذ مدة من الزمن في قلب الأمة الإسلامية.

كان هناك مستعمرون احتلوا ديار الإسلام حيناً من الزمن، طال أو قصر، ثم جلت جيوش هؤلاء الأجانب، رحلت عساكرهم، ولكن لم ترحل أفكارهم وثقافتهم وقوانينهم وتقاليدهم ومخططاتهم، بقيت تعمل عملها في الأنفس والعقول والحياة، وهذا هو الاستعمار الأخطر والأعمق.

الاستعمار السياسي والعسكري يحتل الأرض، ولكن الاستعمار الفلسفي والفكري والثقافي والاجتماعي يحتل نفس الإنسان وعقله وقلبه، يحتل حياته، ويحتل تقاليده وآدابه ومفاهيمه، وهذا هو الخطر.



رأينا الاستعمار قد رحل عن بلاد المسلمين، ولكن ترك وراءه من يعمل عمل المستعمرين، بل وجدنا من أبناء المسلمين من هو شرّ من المستعمرين.

كان المستعمرون يستحيون أن يحاربوا الإسلام جهرة وعلانية، فوجدنا من حكام المسلمين من يقف جهرة ضد الإسلام، من يحارب الله جلّ جلاله علانية، من يتحدى أحكام الإسلام وشرائعه جهاراً.

هؤلاء بعض من رضع لبان الاستعمار، بعض من ربّاهم الاستعمار على يديه، وصنعهم على عينيه.

كان من نتيجة هذا أن وجدنا بلاداً إسلاميّة تنكر للإسلام، ولا يبقى فيها من الإسلام إلّا اسمه، ولا من القرآن إلّا رسمه، ووجدنا من أبناء المسلمين من وصفت لكم، ووجدنا من بنات المسلمين من تخرج من أدبها وزيّها وحجابها، تخرج تراقص الأجانب، وتمشي في الطرقات مكشوفة الذراعين والساقين، بل ما هو فوق الذراعين والساقين، لا تعترف بخُلُق إسلامي، ولا بأدب إسلامي، من الكاسيات العاريات، المائلات المميلات.

رأينا هذا كلّه في بلاد المسلمين، ورأينا أكثر منه خارج بلاد المسلمين.

رأينا مسلمين في جاليات قد نسوا إسلامهم، وبعضهم - ممّن ذكر إسلامه - قد نشأت له ناشئة لا يعرفون عن الإسلام ألفاً ولا باء.

بعض المسلمين الذين هاجروا إلى ديار بعيدة قد وُلد لهم أولاد، أبناء وبنات، ولكن هؤلاء نشؤوا في مجتمعات غير إسلاميّة، ولم يجدوا من الآباء

والأمّهات من يربّهم على الإسلام، ومن ينشئهم على الإيمان والإحسان، فنشئوا نشأة بعيدة عن المسلمين، فقدّم أهلّوهم، أصبحوا أناساً آخرين.

هذا ما حدّرت منه أولئك المسلمين في تلك البلاد، وقلت لهم: إن كنتم قد جئتم لتجمعوا الدُّنيا وتخسروا الدين، فما أسوأ هجرتكم، وما أقبح غُربتكم! إذا كسبتم دنياكم وخسرتم أولادكم وذرايكم، ولم تحمّوهم من النَّار، فما كسبتم شيئاً.

وجدنا هذا في بلاد كثيرة، صورة معتمّة، صورة مظلمة، نراها في كلّ مكان.

صورة مضيئة لأبناء الإسلام:

ولكن بجوار هذه الصورة المعتمّة، الصورة السوداء: صورة أخرى مضيئة، مشرقة بالنُّور، فوّاحة بالعطر، فيّاضة بالجمال، موحية بالخير والبركة، مبشرة بالظهور والانتصار بإذن الله.

هذه الصورة: صورة أبناء الصّحوة الإسلاميّة، صورة الرجعة إلى الإسلام، صورة أولئك التّوّابين المتطهرين، صورة أولئك الذين نراهم في كلّ مكان، من أبناء الإسلام وبناته.

كنت في مدينة «إستانبول» التي كانت عاصمة الخلافة الإسلاميّة العثمانية، فوجدت الصورة المظلمة، ووجدتها في أولئك الذين لا تفرّقهم عن الأوربيين في شيء في بلاد السياحة التي أعمت أعين النّاس، وأصبحت «صنماً» يتعبّد له الكثيرون.

ولكن بجوار هذا: ترى أولئك الذين يعمرّون المساجد، ويملأونها أيام الجُمع، فتضيق بهم، ويصلُّون في الشوارع، وهذه ظاهرة عامّة في بلاد الإسلام، وهي صورة مضيئة بلا ريب.

رأيت في تركيا آلاف المدارس القرآنيّة: البنين والبنات، والأطفال من الجنسين، يقرؤون القرآن ويحفظونه، وقد تجد منهم من يحفظه عن ظهر قلب، وهو لا يعرف معنى كلمة في اللغة العربية، وهذا من معجزات هذا القرآن العظيم: أن يحفظه من لا يفهم لغته.

ازدياد البنوك الإسلامية:

كنت في «سويسرا» أحضر اجتماعاً لدار المال الإسلامي في «جنيف» ولبنك التقوى في «لوجانو»، وقلت: سبحان الله، في وقت من الأوقات كانوا يقولون: إنّه لا يمكن أن تستغني الحياة عن الربا، الفوائد الربوية ضرورة من ضرورات الحياة المعاصرة، الحياة عصبها الاقتصاد، والاقتصاد عصبه البنوك، والبنوك عصبها الفوائد الربوية، فلا تحلموا ببنوك بغير ربا.

هكذا كانوا يقولون لنا في وقت من الأوقات.

ثم شاء الله أن تتحطم هذه الأسطورة، وأن يقف علماء المسلمين من كلّ الاختصاصات: الاقتصاديون، والقانونيون، والإداريون، والمحاسبون، بجوار رجال الفقه والشرعية، يُجمعون على أنّ الربا والفوائد الربوية، وفوائد البنوك هي: الربا الحرام، الحرام، الحرام^(١).

(١) وإذا بنا نفاجأ في صيف عام (١٩٩٠م) يقوم يثيرون قضية الفوائد على صفحات الصحف المصرية من جديد، بعد أن كانت المجامع والمؤتمرات العلمية الإسلامية قد حسمتها منذ أكثر من ربع قرن، وحاولوا جاهدين أن يحولوا المُحكّمات إلى متشابهات والقطيعات إلى ظنيات، وبلغت بهم الجرأة أن أفتوا بحلّ فوائد البنوك، وكأنه قد كُتب علينا أن نظلّ ندور حول أنفسنا كالثور في الساقية، فلا نحسم معركة يوماً، ولا نغلق قضية بحال من الأحوال، وقد تصدّيت لبيان الحقّ وكشف الزيف والرد على الشبهات والأباطيل، فنشرت كتابي: فوائد البنوك هي الربا الحرام، والذي كان صدهاء قويّاً في إبلاغ هداية الله وإسماع صوت الحقّ.

ثم بعد ذلك يبحثون عن البدائل الشرعية، فإذا البنوك الإسلامية تتعدى الآن «السبعين»، والمهم أنها تدخل أوروبا وتدخل بلاد الغرب! في سويسرا: دار المال وبنك التقوى، وفي لندن بنوك البركة، وفي الدنمارك: بيت التمويل الإسلامي، وهكذا بدأت البنوك الإسلامية تغزو عالمنا الإسلامي، وتخرج من العالم الإسلامي إلى العالم الأوربي. صحيح أنها تقاسي وتعاني وتحارب من جهات شتى، في داخل بلاد المسلمين وخارجها، ولكنها تقف على أرض صلبة، بسبب مؤازرة المسلمين لها.

أصبح هناك شعور إسلامي عام يريد أن لا ييؤ بلعنة الله ورسوله، فقد لعن أكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال: «هم سوء»^(١).

أصبح هناك شعور إسلامي يريد أن لا يأذن بحرب من الله ورسوله، ولهذا يحرص المسلمون على البحث عن المال الحلال، والرزق الحلال، لا يريد أن يدخل جيبه درهم من حرام، ولا أن يدخل بطنه لقمة من حرام، ولا أن يغذي أولاده بالحرام أو يكسوهم من الحرام، هذا شعور إسلامي عارم عام.

شباب الصحوة الإسلامية:

هناك في العالم الإسلامي كله: ألوف وملايين الشباب الذين شرح الله صدورهم للالتزام بالإسلام الصحيح علماً وعملاً، يعمرن مساجد الله، بعد أن كانت شبه مقصورة قديماً على الشيوخ الكبار، الذين اقتربوا من حافة القبر، وهؤلاء الشباب هم الذين يملؤون مواسم الحج والعمرة

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد (١٤٢٦٣)، عن جابر بن عبد الله.



كلّ عام، وهم الذين يلتهمون الكتب الإسلامية من معارض الكتب، وهم الذين يسارعون إلى الجهاد كلّما دعاهم داعي الجهاد في سبيل الله.

وبجوار هؤلاء نجد الشابات المسلمات في الجامعات والمعاهد والمدارس، وغيرها من المؤسسات، يُقبلن على «الحجاب» طائعات مختارات، مستجيبات لأمر الله تعالى للمؤمنات: ﴿وَلَا يَبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُوهِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

لقد تمردن على أزياء الحضارة الغربية المستوردة، التي توارثتها عن أمهاتهن وقريباتهن، والتزمن بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ.

هذه بعض معالم الصورة المضيئة.

في «إنجلترا» حضرتُ هناك مخيمًا للشباب المسلم في مدينة «ليفربول». مخيم الشباب المسلم هذا يجمع صفوة الشباب الذين ذهبوا إلى تلك البلاد ليدرسوا «البكالوريوس» أو «الماجستير» أو «الدكتوراه». كانوا قديمًا يبعثون بالشباب إلى أوروبا وأمريكا ليُصنعوا هناك، ويُصهروا هناك، ويعودوا بعد مدة من الزمن خواجهات بأسماء مسلمين، يعودون بوجوه عربية إسلامية، وعقول غربية أوروبية.

اليوم تغيّر الحال، أصبح كثير من الشباب يذهبون إلى تلك البلاد ودينهم قليل، وتدينهم ضعيف، وصلاتهم خفيفة، ولعله لا صلاة لهم، فإذا هم هناك يشعرون بالتحدي للإسلام والمسلمين، وإذا هم يجدون شبابًا قد سبقوهم إلى الإسلام الصحيح، والالتزام الإسلامي الصادق، فإذا هم يتأثرون بهذا الجو الإسلامي والمناخ الإسلامي، ويلتزمون بالإسلام اعتقادًا وفكرًا وشعورًا وسلوكًا وعبادة ومعاملة.

وإذا هؤلاء الشباب يصبحون دعاة إلى الإسلام، لم يكتفوا بأن يكونوا متديّنين في أنفسهم، بل يحملون الإسلام إلى غيرهم، وقيمون في ديار الغرب، في ديار غير إسلاميّة: مخيمات ومعسكرات إسلاميّة، يكبر الله فيها، ينادى فيها بالإسلام، يؤذن فيها الأذان، تُلقى فيها المحاضرات الإسلاميّة، والأناشيد الإسلاميّة، وتُعقد فيها الندوات الإسلاميّة، من قبل الفجر إلى ما بعد العشاء.

مؤتمرات إسلاميّة في أمريكا:

والله لقد حضرت مخيمًا أو مؤتمرًا في إحدى مدن أمريكا فرأيت عجبًا: فندقان كبيران قد حُجزا، أحدهما للرجال، والآخر للنساء، الطوابق الثلاثين قد أجّرها الشباب في عيد ممّا يسمونه «أعياد الكريسماس»، الناس يأخذون الإجازات في تلك الفترة ليشربوا الخمر ويمارسوا الفجور، وهؤلاء الشباب استغلّوا هذه الفترة ليستأجروا فنادق يقيمون فيها دينهم!

من قبل الفجر بساعة تسمع في الحجرات دويًا بالقرآن كدوي النحل، حتّى إذا جاء الفجر الصادق سمعت الأذان يؤذن في قلب أمريكا: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، فإذا جاء الصباح رأيت التمرينات الرياضية، ثمّ رأيت الأناشيد الإسلاميّة، ثمّ رأيت حلقات القرآن ودراسة الحديث والسيرة، وحلقات للفقه وتعلم الأحكام، ثمّ رأيت المحاضرات والندوات والمناقشات.

حياة إسلاميّة لعدّة أيام:

قلت لهم: والرجل صاحب الفندق رضي بهذا؟ قالوا: نعم، وفرح به؛ لأنّه يؤجره للمسيحيين في مثل تلك الفترات فيكسرون الأطباق، ويخربون الأشياء، ولكنّه يأخذ الأشياء منّا بعد رحيلنا أفضل ممّا كانت!

نماذج وضّاءة، نماذج مسلمة، تقرُّ بها الأعين، وتنشر بها الصدور، وتبتسم لها الثغور.

إذا كانت هناك صورة مظلمة معتمة، فبجوارها صورة مضيئة مشرقة في كل مكان.

صحوة في أستراليا:

في «أستراليا» بجوار أولئك الذين ذابوا في المجتمع غير المسلم، وذاب أبناؤهم وبناتهم وضاعوا، وجدنا آخرين حريصين على دينهم، غيورين على أبنائهم وبناتهم، يربونهم على الإسلام، وينشئونهم على القرآن منذ الصغر، فمن شبَّ على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه.

رأينا هؤلاء يتجمعون في المسجد في كل حين، خاصة في أيام الجمعة والسبت والأحد؛ ليعلموا أبناءهم القرآن والسيرة النبوية والفقه وغير ذلك من أحكام الإسلام، ويجتمعون في حلقات وفي أسر ليقوا على حياتهم الإسلامية.

وهم في تلك البلاد لا ينسون إخوانهم في البلاد الإسلامية الأخرى. أعجبني بعد أن خطبت الجمعة في أحد المساجد في مدينة «مربول» - وفيها جالية إسلامية وعربية كبيرة وخاصة من اللبنانيين - بعد الصلاة تنادوا بالتبرع لإخوانهم في السودان!

كانت أنباء الفيضانات في السودان على أشدها، فهم تنادوا بالتبرع للسودان، رغم بُعد الشُّقة، ورغم طول المسافة، هم يشعرون بأنهم جزء من الأمة الإسلامية: «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ١٨٢.

صورة من الصور المضيئة:

دُعيت هناك إلى مؤتمر إسلامي في تلك المدينة، همه ومحوره:
البحث عن حلول لمشكلات المسلمين المغتربين هناك.

فهم يريدون أن يحيوا بالإسلام، وأن يحيوا للإسلام، وأن يموتوا
على الإسلام، كما قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا
تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

حكوا لي: أنه قبل أكثر من قرن - حوالي قرن ونصف - استدعي
إخوان لهم من أفغانستان، بإبلهم وجمالهم؛ ليجوبوا الصحراء،
ويكتشفوها، وينتفعوا بها، ولكنهم ذهبوا بغير زوجاتهم، فتزوجوا من
أهل أستراليا نفسها، واستطاع الجيل الأول أن يحتفظ بإسلامه، ولكن
الأجيال التالية بعد ذلك لم تستطع أن تحتفظ بإسلامها، فتاهت وذابت
وماعت في المجتمع الكبير، وهذا هو الخطر، وقالوا: لا نريد أن تتكرر
التجربة، نريد أن نحفظ بأبنائنا مسلمين، وبناتنا مسلمات.

هذه هي الروح الإسلامية، هذه هي الصورة المضيئة التي
لمسناها هناك.

في «إندونيسيا» وجدنا هناك تيارات، تيارات كبيرة، تيارات تريد أن
تسلخ هذا البلد الكبير، أكبر بلد إسلامي، مائة وستون مليوناً، حوالي
(٩٠٪) أو ما يقرب من (٩٠٪) منهم مسلمون.

تيارات التنصير تعمل عملها:

هناك تيارات التنصير تعمل عملها، على قدم وساق، من أوروبا
 وأمريكا، ومن كل بلاد التنصير تجيء الإرساليات.



إندونيسيا مجموعة من الجزر تبلغ ثلاثة آلاف جزيرة، المسلمون يتصلون بهذه الجزر عن طريق القوارب، أو السفن الشراعية، أو البخارية على أقصى تقدير، ولكن هذه الإرساليات التبشيرية التنصيرية تملك أكثر من خمسين مطارًا! بالطائرات تنتقل بين الجزر، إمكانات هائلة أعطيها هؤلاء، إنهم يريدون أن يعملوا عملهم في ذلك البلد الكبير.

وللأسف أقول لكم بصراحة: لقد بدأت نسبة المسلمين في التناقص، يجب أن نصارح أنفسنا، وهذا ما قاله لي الإخوة المسؤولون عن الدعوة هناك، وعلى رأسهم الأخ الكبير الدكتور مُحَمَّد ناصر رئيس وزراء إندونيسيا الأسبق. قالوا لي: إنَّ النِّسبة بدأت تتناقص لحساب التبشير، ليس تناقصًا كبيرًا، أقل من (١٪)، ولكن (١٪) في هذا التعداد الضخم يساوي مليونًا وستمئة ألف، و(٠,٥٪) معناها ما يقارب المليون، وهذا خطر.

الإسلام بطبيعته يزحف وينتشر، ولكن إذا وُجد في مثل هذه الظروف التي يُستغل فيها ثلوث «الفقر والجهل والمرض»، فإنَّ هؤلاء القوم يستطيعون أن يؤثروا.

إنَّ للتبشير وللتنصير في البلاد العربية هدفًا، وإنَّ له في خارج المنطقة العربية هدفًا آخر.

هدفه في المنطقة العربية - منطقة اللسان العربي الذي نزل به القرآن - أن يززع المسلمين عن الإسلام، وليس هدفه أن يدخلهم في النصرانية، فهو يجد هذا شيئًا بعيدًا.

أمَّا خارج هذه المنطقة حيث يوجد الفهم الضعيف للإسلام - توجد عاطفة إسلامية، ولا يوجد فهم إسلامي صحيح، لا توجد مناعة، لا توجد حصانة إسلامية - فهم يعملون على إخراج المسلم من دينه،

وإدخاله في الدين الآخر، وخصوصًا من الأطفال والفقراء والمشرّدين والضعفاء واليتامى وغيرهم، هم يبحثون عن مثل هؤلاء ويأخذونهم من أوّل الأمر ومنذ نعومة الأظفار ليعلموهم ويلقنوهم دينهم.

بجوار هذه الصورة، هناك سعي دؤوب من الدعاة، ومن المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية، ومن الغيورين على الإسلام، للمقاومة وللحفاظ على الذات، وللإبقاء على الشخصية الإسلامية التاريخية لإندونيسيا.

صنفان من المسلمين متقابلان:

الإسلام في كلّ مكان يجد هذين الصنفين:

صنّف المتغربين الذين انخلعوا من أصولهم، وقُطعوا من جذورهم، وسُلخوا من جلدتهم، أو من ذاتيتهم الإسلامية، هؤلاء الذين يتسمّون بأسماء المسلمين ولا يعملون عمل المسلمين.

ويجد الصنف الآخر: الصنف الذي يأبى إلا أن يعيش مسلمًا ويموت مسلمًا، الذي جعل الإسلام أكبر همه، ومحور حياته، ومدار تفكيره وسعيه.

ونحمد الله أنّ هذا الصنف بدأ يزداد يومًا بعد يوم، بفضل هذه الصحوّة الإسلاميّة التي نرى آثارها ونلمس مظاهرها في كلّ مكان من أرض الإسلام، وخارج أرض الإسلام.

صحيح أنّ أعداء الإسلام لها بالمرصاد، وأنّ أجهزة الرصد ترصدها وترقبها، وترصد الملايين لدراساتها؛ لكي تعمل على وأدها، فإمّا أن تتآكل من الداخل، وإمّا أن تُضرب من الخارج، تريد أن تشغلها بنفسها،

وتشغل فئاتها بعضهم ببعض، وتقيم بينها وبين الحكام عداوات وجفوات، وتقيم بينها وبين المجتمع فجوات وفجوات، وهكذا أعداء الإسلام بالمرصاد للصحة الإسلامية.

واجب أبناء الصحة:

وينبغي على أبناء الصحة الإسلامية أن يفوتوا على هؤلاء مقاصدهم، إذا وعوا دورهم وعيًا صحيحًا، إذا اهتموا بالكلّيات قبل الجزئيات، وبالأصول قبل الفروع، وبالقضايا الكبيرة قبل الأمور الصغيرة، وبالقضايا الكلية قبل المسائل الجزئية والخلافية التي يستحيل أن ينتهي الخلاف فيها بين الناس.

يجب على الصحة الإسلامية أن تدرك هذا الدور، وتدرك كيد الأعداء الذين يسعون سعيهم في تمزيق الصف الإسلامي عن طريق نشر ضلالات وبدع وانحرافات يروجون لها، فلا بد لأبناء الإسلام الواعين أن يعرفوا كيد القوم، وأن يحبطوا مكرهم، ويردوا سهامهم المسمومة إلى صدورهم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

إنَّ الصورة المضیئة تزداد والحمد لله، وعندنا أمل كبير أن ينصر الله الإسلام ويعز دينه، وعندنا بشائر من القرآن والسنة: أن هذا الدين منصور، وأن رأيته مرفوعة، وأنه ظاهر على الدين كله ولو كره المشركون، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

وصدق رسوله ﷺ إذ قال: «ليبلغن هذا الأمر»، أي: أمر هذا الدين «ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر»، أي: في البادية أو

الحضر «إلا أدخله الله هذا الدين، بعزٍّ عزيز، أو بذلٍّ ذليل، عزًّا يعزُّ الله به الإسلام، وذلاً يذلُّ الله به الكفر»^(١).

وإنَّا لهذا اليوم - يوم عزِّ الإسلام وذلِّ الكفر - إن شاء الله لمنتظرون:
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بَنَصَرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٤ - ٦].

أقول قولي هذا أيُّها الإخوة، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه
إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. والحاكم في الفتن والملاحم (٤٣٠/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣)، عن تميم الداري. وانظر كتابنا: المبشرات بانتصار الإسلام ص ٢٧، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

هناك أمور ثلاثة، أحبُّ أن أنبّه عليها:

الأمر الأول: أنّ إخوة لكم في «بنغلاديش» - ذلك البلد الإسلامي السني العريق، الذي يضم حوالي تسعين مليوناً، معظمهم مسلمون سنيون - يتعرضون لأزمة شديدة، نتيجة الفيضانات التي شرّدت الملايين، وهدّمت البيوت، وغرّقت النّاس. فهم بحاجة إلى المعونة: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»^(١).

لقد رأيتم إخوانكم في «أستراليا» يهتمون بإخوانهم في السودان، ونحن أولى أن نهتم بإخواننا في ذلك البلد المسلم - في بنغلاديش - الذي يتعرض لغزو تبشيري تنصيري - أيضاً، حرام علينا أن تذهب أولئك الفئات الذين يمثلون الجهات المسيحية، ولا توجد الجهات الإسلامية ممثلة تمثيلاً قوياً.

جزى الله دولة «قطر» خيراً، حيث بادرت بإرسال المعونة، وذهبت أوّل طائرة تحمل المعونات الطبية والغذائية إلى ذلك البلد، ونحن باعتبارنا مسلمين أفراداً علينا أن نقوم بهذا الأمر.

لقد قام الكثيرون بواجبهم نحو إخوانهم في السودان، حتّى قال لي بعض الإخوة السودانيّين: إنّ السودان وجد الكثير من المعونات من «قطر» جزاها الله خيراً.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأحمد (٧٤٢٧)، عن أبي هريرة.

والآن علينا جميعاً أن نوجّه المساعدة إلى «بنغلاديش»، وسنفتح إن شاء الله حساباً في مصرف قطر الإسلامي تحت اسم «الهيئة الخيرية الإسلامية» لمساعدة الإخوة في هذا البلد الإسلامي.

نسأل الله أن يعينهم على أزمته، وأن يخرجهم من كربتهم، وأن يكشف غمّتهم.

الأمر الثاني: أننا ودّعنا - في هذه الأيام - أخاً كريماً من الدعاة إلى الله، الذين طالما استمعنا إليهم وزارونا في أكثر من مناسبة، خاصة في رمضان، وفي رمضان الماضي كان هنا - في الدوحة - وحدّث الإخوة في الجامع الكبير.

ذلك هو الأخ الداعية الدكتور: يوسف حامد العالم^(١)، أحد الدعاة في السودان، توفي إلى رحمة الله تعالى، نسأل الله أن يتقبله في الصالحين، ويغفر له، ويرحمه ويجزيه عن الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي خير الجزاء.

الأمر الثالث: أن الله ﷻ شَرَّفَ «قطر»، بأن تضم قافلة الشهداء في أفغانستان أوّل شهيد من أبناء هذه البلاد، هو ذلك الشاب الصالح الغيور المتحمس ابن الثامنة عشرة: أحمد عبد الله صالح الخلفي، الذي أخذ إجازة من عمله، ولكنه استغل هذه الإجازة ليذهب إلى أفغانستان هناك، ويخوض المعارك، ويطلب الشهادة.

صحيح أنه كان يتمنى ويدعو الله أن يرده - بعد أن يأخذ الخبرة من أفغانستان - لتكتب له الشهادة في أرض «فلسطين»؛ لتحرير المسجد

(١) عميد سابق لكلية القرآن الكريم بالخرطوم، وهو صاحب كتاب: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، الذي أعدّه لنيل درجة الدكتوراه في الفقه وأصوله من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٣٨١هـ - ١٩٧١م.

الأقصى، كان يدعو بذلك ولكن الأجل وافاه، وكلُّ إنسان يذهب إلى موته حيث أراد الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

مَشِينَاهَا خُطَا كُتِبَتْ عَلَيْنَا وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطَا مَشَاهَا
وَمَنْ كَانَتْ مَنِئْهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا^(١)

استشهد هذا الشاب الصالح المجاهد، وضمَّ إلى قافلة الشهداء الأبرار، في أشرف قتال من نوعه في تلك الأراضي حيث يدافع المسلمون عن دينهم وأرضهم وعرضهم، في مقاومة تلك القوة الشيوعية الملحدة الطاغية.

نسأل الله الذي هياً لإخواننا في أفغانستان هذا الجهاد وهذا الشرف، أن يهيئ أمثاله لأبناء الإسلام على أرض الثبوات، على أرض المقدسات في فلسطين، وأن يهيئ الله النصر للمسلمين في كلِّ جهاد يجاهدونه، إنَّه سميع قريب.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة الذين كفروا هي السفلى.

اللهم أعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن.

اللهم إننا نسألك العفو والعافية في ديننا ودُنْيَانَا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغْتَالَ من تحتنا.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

(١) ذكرهما من غير نسبة للإبشيهي في المستطرف في كل فن مستظرف ص ٤٩١، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



خطبة عيد الفطر^(١)

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

يوم التكبير والمقصود منه:

هذا يوم العيد، هذا يوم التكبير، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ قُوَّةٍ تَظْهَرُ فِي هَذَا الْوُجُودِ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ طَغْيَانِ الطَّاغِيَيْنِ، وَمِنْ اسْتِكْبَارِ الْمُسْتَكْبِرِينَ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ مَنْ يَطْغِيهِ الْمَالُ أَوْ يَطْغِيهِ السُّلْطَانُ. إِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا بَرَقَتْ أَمَامَكَ، وَسَالَ إِلَيْهَا لِعَابُكَ، فَادْكُرْ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ، إِذَا رَأَيْتَ طَاغِيَةً مِنَ الطَّغَاةِ، وَأَرَدْتَ - أَوْ خَطَرَ بِبَالِكَ حِينًا - أَنْ تَطَّأُطِيَ لَهَا الرُّأْسَ، أَوْ تَحْنِي لَهَا الظَّهْرَ فَادْكُرْ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ.

عَلَّمَنَا الْإِسْلَامُ التَّكْبِيرَ: إِذَا أَدَّيْنَا كَبَّرْنَا اللَّهَ، وَإِذَا أَقَمْنَا كَبَّرْنَا اللَّهَ، وَإِذَا دَخَلْنَا فِي الصَّلَاةِ كَبَّرْنَا، وَإِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ كَبَّرْنَا اللَّهَ، وَإِذَا ذَبَحْنَا الذَّبِيحَةَ كَبَّرْنَا اللَّهَ، وَإِذَا خُضْنَا الْمَعَارِكُ كَبَّرْنَا اللَّهَ، وَإِذَا جَاءَ يَوْمُ الْعِيدِ رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا وَقَلْنَا: اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُ أَكْبَرُ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

(١) أُلْقِيَتْ فِي مِيْدَانِ عَابِدِينَ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةِ ١٤٠١ هـ.

فرحة العيد، ولماذا نفرح؟

أيُّها الإخوة:

هذا يوم العيد، هذا يوم عيد الفطر، أفطرننا وفرحنا فرحة الصائم عند فطره، وننتظر الفرحة الكبرى عند لقاء ربنا: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(١).

«فرح بفطره»، فرحة طبيعية؛ لأنه حصل على حرّيته، أبيح له ما كان حراماً عليه. و«فرح بفطره»، فرحة دينية؛ لأنه وفق إلى أداء واجبه نحو ربه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وهو يفرح هذه الفرحة كلّ يوم بعد الغروب، حين يفطر ويقول: ذهب الظمّاء، وابتلّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله.

ويفرحها بعد انقضاء شهر رمضان، وما وفقه الله فيه من الصيام والقيام، فيقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

لقد مضى رمضان إمّا شاهداً لنا وإمّا شاهداً علينا، مضى رمضان شفيحاً لقوم أحسنوا الصيام وأحسنوا القيام، إيماناً واحتساباً، فغفر لهم ما تقدّم من ذنوبهم.

ولكنّه سيشهد على قوم لم يحسنوا الصيام ولم يحسنوا القيام، فليس لهم من صيامهم إلّا الجوع والعطش، وليس لهم من قيامهم إلّا التعب والسهر.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

فما بالكم بأقوام لم يصوموا، ولم يقوموا، وهم في بلاد الإسلام وينتسبون إلى المسلمين؟! «من أفطر يومًا من رمضان من غير رخصة ولا مرض، لم يقض عنه صوم الدهر كله وإن صامه»^(١).

مضى رمضان شهيدًا لنا أو شهيدًا علينا، وإنا لندرجو أن يكون شهيدًا لنا، وأن يشفع لنا مع القرآن: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعتك الطعام والشهوة فشفّني فيه. ويقول القرآن: منعتك النوم بالليل فشفّني فيه. قال: فيشفعان»^(٢)، نرجو الله أن يشفع لنا القرآن ويشفع لنا الصيام.

مضى رمضان، وستمضي الشهور كلها، وستمضي الأعوام، وتنقضي الأعمار هكذا.

يفرح الناس بانقضاء شهرٍ مضى، ولا يدرون أن هذا الشهر إنما هو صفحات من كتاب حياتهم طويت، إنما هي أوراق ذبلت من شجرة العمر. وما المرء إلا راكبٌ ظهر عمره على سفرٍ يُفنيه باليوم والشهر! بيت ويضحى كل يوم وليلة بعيدًا عن الدنيا قريبًا إلى القبر!

(١) رواه أحمد (٩٧٠٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٢٣٩٦) والترمذي (٧٢٣) وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن ماجه (١٦٧٢)، ثلاثتهم في الصيام، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٠١٣). عن أبي هريرة. والحديث - كما قال البغوي - على طريق الإنذار والإعلام بما لحقه من الإثم وفاته من الأجر.

(٢) رواه أحمد (٦٦٢٦)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٣٨/١٣)، والحاكم في فضائل القرآن (٦٦٢٦)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٠٨١): رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح. عن عبد الله بن عمرو.

كلُّ يومٍ يمضي يقربك خطوةً إلى قبرك، يقربك مسافةً إلى نهاية أجلك.
ونفرح بالأعوام إمّا تصرّمت على أنّها من عمرنا تتصرّم^(١)!
يفرح الناس بانقضاء الأيام والشهور، وما دروا أنّ حياتهم تنقضي بها.
يقول الحسن رضي الله عنه: يا ابن آدم، إنّما أنت أيام مجتمعة، كلّما ذهب يوم ذهب بعضك^(٢)!

من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد مات:

هناك بعض الناس يُقبلون على الله في رمضان، فإذا ما انتهى رمضان انتهى ما بينهم وبين الله، قطعوا الحبال التي بينهم وبين الله، لا تراهم يرودون المساجد، لا تراهم يفتحون المصاحف، لا تراهم يرطبون ألسنتهم بالذكر والتسبيح، كأنّما يُعبد الله في رمضان ولا يُعبد في شوال وسائر الشهور.
من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت.

كان بعض السلف يقولون: بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلا في رمضان، كن ربانيًا ولا تكن رمضانياً^(٣).

كن ربانيًا: أي كن مع الله ربك في كلّ أوان، اتق الله حيثما كنت، ولا تكن رمضانياً: تصطلح على الله في رمضان، ثمّ تبارزه بالغفلة والمعصية بعد رمضان.

ربُّ رمضان ربُّ الشهور كلّها.

(١) البيت للشاعر المصري علي محمود يوسف الضاني، من قصيدة: العام الجديد.

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١٤٨/٢).

(٣) قال ابن رجب الحنبلي: سئل الشبلي: أيهما أفضل رجب أم شعبان؟ فقال: كن ربانيًا ولا تكن شعبانيًا، كان النبي ﷺ عمله ديمة. انظر: لطائف المعارف ص ٢٢٢.

صيام ستة من شوال وحكمته:

إنَّ الإسلام شرع لنا بعد رمضان صيام ستٍّ من شوال؛ ليكون المسلم على موعد مع الله دومًا، يفرغ من عبادة ليدخل في عبادة، وتنقضي طاعة ليبدأ طاعة، ليضع يده دائمًا في يد الله: «من صام رمضان، ثمَّ أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر»^(١)، أي: كأنما صام السنَّة كلّها، صيام شهر رمضان بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بشهرين، الحسنه بعشر أمثالها، وبهذا كأنما صام السنَّة، فإذا حافظ على هذه الست بعد رمضان مباشرة، أو خلال شوال كلّ، فكأنما صام الدهر كلّ.

أول عيد في قرن هجري جديد:

يا أيُّها الإخوة:

انقضى رمضان، وها نحن الآن نستقبل العيد، نستقبل عيدًا له معنى خاص، وله عنوان خاص، هذا أوّل عيد في قرن جديد، هذا هو العيد الأوّل في القرن الخامس عشر الهجري، أوّل عيد تستقبله أمتنا بعد أن قطعت في عمرها أربعة عشر قرنًا، منذ جاء الإسلام وهاجر النّبي ﷺ، وقامت دولة الإسلام في المدينة.

قرون حافلة بالمحَن والأُمجاد:

أربعة عشر قرنًا انقضت على هذا الإسلام حقّق فيها انتصارات وإنجازات هائلة، كما لقي فيها مصاعب ومحنًا قاتلة.

انتصارات الإسلام وإنجازاته:

حقّق الإسلام انتصارات وإنجازات أشبه بالمستحيلات، لم يحققها دين غيره، ولا أُمَّة غير أُمَّته.

(١) رواه مسلم في الصيام (١١٦٤)، وأحمد (٢٣٥٣٣)، عن أبي أيوب الأنصاري.

وَحَدَّ العرب بعد فرقة وشتات، وهداهم من ضلالة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعل منهم خير أُمَّة أُخرجت للنَّاس.

وانتصر على إمبراطورتي الفرس والرومان، وهما القوتان اللتان كانتا تتنازعان السيادة على العالم القديم، قوة الفرس في الشرق، وقوة الروم في الغرب، وقد ورثهما الإسلام وحملة رسالته، وأنفقوا كنوزهما في سبيل الله.

وصل الإسلام في أقلَّ من قرن من الزمان إلى الصين شرقاً، وإلى الأندلس في إسبانيا غرباً، وكاد يدخل فرنسا وأوربا الغربيَّة لولا ما قدَّر الله في معركة «بواتيه».

كان الفتح الإسلامي فتح تمدين للبلاد، وإصلاح للعباد، ولم يكن كالفاتحين القدامى ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤]، ولذا قال المؤرخون بحق: ما عرف التاريخ فاتحاً أعَدل ولا أرحم من العرب، يعني: المسلمين^(١).

لقد حكم المسلمون النَّاس بالعدل والإحسان، فشعر النَّاس بالأمان والاطمئنان، مسلمين وغير مسلمين، وأقام المسلمون حضارتهم المتميزة المتوازنة المتكاملة، التي جمعت بين العلم والإيمان، ومزجت بين الروح والمادة، وربطت الأرض بالسماء، ووفَّقت بين الإبداع المادي والسمو الروحي والأخلاقي، وكانت الأُمَّة المسلمة هي الأُمَّة الأولى، وحضارتها هي السائدة لعدة قرون في العالم كله.

(١) انظر: حضارة العرب لجوستاف لوبون ص ٦٠٥، ط ٣، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،

مِحن ينتصر فيها الإسلام:

ومع هذه الانتصارات والإنجازات، فقد لقي الإسلام خلال تاريخه شدائد ومحناً لو أصيب بها غيره لهلك وضاع، لقد لقي فيها الإسلام ما لقي، وقاسى فيها ما قاسى، ولكنه صبر وصابر، وصمد وثبت، على رغم قسوة الخطوب، التي أحاطت به في مختلف العصور، كان الناس يظنون بعدها أن الإسلام لن يُرفع له علم، ولن يقوم له شأن، ولن تعلو له كلمة، ولكن الإسلام العظيم - بقوته الذاتية - تغلب على المحن كلها.

انتصار الإسلام على المرتدين:

في فجر الإسلام ارتدّ العرب وقالوا: إنّا كنّا نتبع محمداً، ولا نتبع من بعده، وتبع بعضهم المتنبيين - أمثال: مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الحارث، والأسود العنسي، وغيرهم - عصبية لهم، حتّى قال قائلهم: كذاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مُضَرّ^(١)!

وهناك من قوتلوا حينما أنكروا الزكاة، وقالوا: نؤدي الصلاة ولا نؤتي الزكاة، وأبى خليفة رسول الله أبو بكر إلا أن يقاتلهم، وقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقاً - عنزاً صغيرة، أو عقال بغير - كانوا يؤدونه لرسول الله، لقاتلتهم عليه^(٢) ما استمسك السيف بيدي، وجهّز أحد عشر لواءً لمقاتلة المرتدين ومانعي الزكاة.

وكان هذا أوّل حاكم يعرفه التاريخ يعلن الحرب، ويجيش الجيوش، من أجل انتزاع حقوق الفقراء من براثن الأغنياء الأشحاء.

(١) قاله طلحة النمري، وقد قُتل مع مسيلمة يوم عُقْرَاء كافرًا. انظر: الكامل في التاريخ (٢/٢١٦)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٣٩٩، ١٤٠٠)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

قبل أن تعرف الدُّنيا الاشتراكية والشُّيوعية والماركسية، قاتل الإسلام من أجل الفقراء، لم يطالب الفقراء بحقوق لهم، لم يعقدوا مؤتمراً، لم يُسيروا مظاهرة، ولكنَّ الإسلام ضمن لهم حقوقهم التي قرَّرها لهم ربهم في أموال الأغنياء: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥].

وانتصر الإسلام على المتنبئين، وانتصر الإسلام على مانعي الزكاة، وانتشر نور الإسلام من جديد، وأصبح كثير من الذين ارتدوا وقاتلوا الإسلام يقاتلون نصراً للإسلام، ودفاعاً عن الإسلام، في فتوح فارس والروم.

انتصار الإسلام على التتار:

وجاءت حروب التتار، ودخلوا بغداد وحطّموها الخلافة العباسية، وذبحوا المسلمين تذييحاً، حتّى كانت الميازيب - التي جُعِلت للأمطار فوق سطوح المنازل - تسيل دماء من دماء المسلمين، وحتّى أصبحت هناك أسطورة القوّة التي لا تُقهر، فقد قال المثل السائر: إذا سمعت أنَّ التتار قد انهزموا فلا تصدّق!

وجاء من هزم التتار، وجاءت حملة خرجت من مصر بقيادة المظفر «قُطز» في شهر رمضان من سنة (٦٥٨هـ) - أي: بعد سقوط بغداد بسنتين فقط - وكانت معركة «عين جالوت» التي دارت الدائرة فيها أوّل الأمر على المسلمين، فصاح السلطان قطز صيحته التاريخية المعروفة - وألقى بخودته إلى الأرض - وقال: وا إسلاماه! وا إسلاماه! وا إسلاماه! هناك أثبت المتردّد، هناك تشجّع الجبان، هناك هجم المسلمون كالأسود الكاسرة، وكانت الدائرة للمسلمين

وعلى أعداء المسلمين، وانتصر المسلمون في عين جالوت على التتار، ولم تقم لهم قائمة.

انتصار الإسلام على الصليبيين:

وجاء الصليبيون بقضّهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم، جاؤوا يرفعون الصليبان من أوربا، باسم المسيح وقبر المسيح، والمسلمون في غفلة، متمزّقون شذر مذر، لا رابطة ولا راية تجمعهم، الخلافة ممزّقة.

في هذه الحالة استطاعوا أن يدخلوا أرض فلسطين، أرض الثبوات، وأن يستولوا على بيت المقدس، وأن يقيموا لهم إمارات وممالك ظلت نحو قرنين من الزمان، حتّى قيّض الله رجالاً للإسلام أمثال: عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود الشهيد، وتلميذه القائد صلاح الدين الأيوبي. قيّض الله للإسلام أمثال هؤلاء الذين أبوا إلّا أن ينصروا الإسلام، وأن يعيشوا للإسلام، وأن ينفخوا في الأُمّة الروح.

أبى صلاح الدين ومن قبله نور الدين محمود إلّا أن ينفخوا في الأُمّة من روحها، وأن يعيدوا إليها حيويتها، بتجديد الإيمان فيها، وبصناعة السلاح.

وهكذا قامت المعارك بين المسلمين وبين الصليبيين، وانتصر الإسلام، انتصر المؤمنون، انتصر الصائمون القائمون.

كان صلاح الدين يمرُّ على خيام جنود بالليل، فإذا رأى في الخيمة من يصلي، من يقرأ القرآن، من يسبح، من يستغفر أو يذكر الله، قال: من هنا يأتي النصر. وإذا رأى أهل الخيمة جميعاً نياماً، يغطّون في نوم عميق، قال: أخشى أن تأتي الهزيمة من هنا، من النائم الغافل.

بالصائمين القائمين المسبّحين الذاكرين انتصر صلاح الدين، وكانت معركة حطين، وكان فتح بيت المقدس، بعد أن ظلّ تسعين عامًا في يد الصليبيين.

انتصر الإسلام خلال القرون على أعدائه، رغم ما كان فيه من وهنٍ ظاهري، ولكنها القوة الذاتية للإسلام تظهر ساعة الشدائد، ساعة المحن، فيبدو أصلب عودًا، وأصفى جوهرًا، وأقوى شوكة، من كل ما يظن الظانون.

استعمار البلاد الإسلامية:

الاستعمار في العصر الحديث:

وفي العصر الحديث، في هذا القرن الذي انقضى وودعناه، في القرن الرابع عشر الهجري، ابتليت بلاد الإسلام بالاستعمار لم تنج إلا جزيرة العرب، أمّا بلاد المسلمين فتقسمتها دول الاستعمار فيما بينها، التهمتها التهامًا، جزّأتها لُقيّمت وابتلعتها، الإنسان لا يستطيع أن يتلّع «كيلو» من اللحم في لُقمة، أو رغيفًا كاملاً، ولكنه إذا قطعه تقطيعًا استطاع أن يأكله.

قُطعت بلاد الإسلام وأُكلت، وُزعت بين إنكلترا وفرنسا وإسبانيا وهولندا وغيرها، حتّى هولندا التي كانت نحو خمسة ملايين في ذلك الوقت، كانت تحتل بلدًا إسلاميًا يبلغ سكانه أكثر من ثمانين مليونًا في ذلك الوقت وهو: إندونيسيا.

الاستعمار يحمل روحًا صليبيّة:

احتلت بلاد المسلمين، ودخلها الاستعمار، وهو في الظاهر يحمل اسم «الاستعمار» وفي الباطن يحمل روحًا صليبيّة حاقدة، لم

يستطع القادة العسكريون أن يخفوها بما يخفيها السياسيون المداهنون.

لمّا دخل القائد العسكري البريطاني «النبّي» سنة (١٩١٧م) إلى القدس، قال كلمته المعروفة: اليوم انتهت الحروب الصليبيّة^(١)!

ولمّا دخل القائد العسكري الفرنسي إلى دمشق، ووصل إلى قبر القائد المسلم «صلاح الدين» وقف يقول بشماتة: ها قد عُدنا يا صلاح الدين^(٢)!

الاستعمار يلغي الشريعة ويفرض العلمانية:

إنّ من أهم الأحداث التي حدثت في القرن الرابع عشر هو «الاستعمار»، الاستعمار الذي دخل بلاد المسلمين وحكمها بغير ما أنزل الله، حكمها بغير شريعتها، طرد الشريعة الإسلاميّة، وأحلّ محلّها القوانين الوضعية، لأوّل مرة في تاريخ المسلمين.

لم يكن يجرؤ حاكم مهما طغى وتجبرّ أن يلغي شريعة الإسلام في مجتمع المسلمين، لم يستطع ذلك الحجاج الثقافي، ولم يستطع ذلك ظالم من الظّلام، وقد يجور أو ينحرف في حكمٍ من الأحكام، ولكن أن تُعطّل الشريعة، أن يُلغى حكم الله، هذا ما لم يحدث في تاريخ المسلمين إلّا بعد دخول الاستعمار.

(١) دروس وتأمّلات في الحروب الصليبية لأبي فارس ص ٣٥، نشر دار جهينة، الأردن، ط ١، ٢٠٠٢م.

(٢) دور نور الدين محمود في نهضة الأمة لعبد القادر أحمد أبو صيني ص ٢٢٢، نشر معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا، (رسالة دكتوراه).

دخل الاستعمار وفرض العلمانية بالحديد والنَّار، بقوة السلاح، على ديار المسلمين، علمانية في الحكم والسياسة، علمانية في القانون والتشريع، علمانية في التعليم والتربية، علمانية في الثقافة والتوجيه والإعلام، علمانية في مظاهر الحياة المختلفة، ومعنى العلمانية: فصل الدين عن الدولة وعن المجتمع وعن الحياة.

الإسلام غير النَّصرانية:

طَبَّقُوا هنا ما طَبَّقُوهُ من قبل في بلادهم، ولكنَّ بلادنا غير بلادهم، الإسلام غير المسيحية، والمسجد غير الكنيسة، وعلماء الدين غير رجال الكهنوت هناك.

إنَّ الإسلام لم يقف ضدَّ العلم كما فعلت الكنيسة في أوروبا، ولم يقف مع الملوك ضدَّ الشعوب، ولم يقف مع الأغنياء ضدَّ الفقراء.

لا، بل كان الإسلام مع العلم، مع الشعوب، مع الفقراء، مع الفئات الضعيفة دائماً، مع العدل، مع القسط بين النَّاس، فكيف ساغ أن يُفعل هنا ما فُعل هناك؟!

إنَّ الشعوب هناك ثارت وقالت في صيحاتها المدوية: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس! دلالة على هذا التعاضد والتساند بين الكنيسة وبين الظلام من الملوك، أمَّا الإسلام فليس الأمر كذلك.

وليس عندنا ما عند النَّصارى: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ليس عندنا قسمة الحياة، ولا تشطير الإنسان شطرين: شطر لله وشر لقيصر، وقسم لله أو للدين، وقسم للدولة أو للدنيا.

لا، عندنا: قيصر، وما لقيصر لله الواحد القهار، لله ما في السماوات وما في الأرض، ولله من في السماوات ومن في الأرض.

الاستعمار صنع قادة على عينه:

ولكن الاستعمار حين فرض العلمانية، لم يفرضها بالحديد والنار، ثمَّ يدع الأمور تجري في أعنتها، فلو فعل ذلك لنفض الناس أيديهم من العلمانية بعد قريب، ولكن الذي نجح فيه هو: أنه استطاع أن يصنع على عينه، ويربي على يديه، رجالاً من أبناء المسلمين، علمانيين كأسيادهم المستعمرين، يسيرون في خطته، وينهجون نهجه، ويتبنون أفكاره، ويعملون على تنفيذها بعد رحيله، هكذا صنع الاستعمار.

صنع المدارس التبشيرية، والمؤسسات الأجنبية، وطبخ فيها من يريد طبخه، صنع الخواجات من أبناء المسلمين في ديار المسلمين، ولم يكتف بذلك، فمن لم تنضجه الطبخة في بلاده، أرسل إلى هناك، على أوروباء؛ ليتم إنضاجه، ويعود بأسماء المسلمين، ولكنه يحمل عقل الأوربيين.

هكذا صنعوا، ونجحوا فيما صنعوا.

ولم يكتفوا بذلك، فعلمنوا التعليم، علمنوا المدارس والجامعات، وجعلوا من بلاد المسلمين بلاداً أوربية الفكر والاتجاه.

القوة الذاتية في الإسلام تبرز المجاهدين المحررين:

وظنُّوا بعد ذلك أن قد طاب لهم المقام، ظنُّوا أنه قد تهيأت لهم السُّبل، وأنَّ الأمر قد استقرَّ لهم في بلاد المسلمين بعد الذي صنعوه.

وما دروا أنَّ القوَّة الذاتية للإسلام كامنة كمون النار في الكبريت، كامنة كمون البركان تحت الرماد، وإذا بهم يرون هذه النار تشتعل من جديد في كلِّ بلاد الإسلام، يحركها صوت الإسلام، تحركها كلمة: الله أكبر، يحركها الإيمان، تحركها كلمات: هبي يا رياح الجنة.

ظهر المجاهدون، والراغبون فيما عند الله من الشهادة وفي سائر بلاد الإسلام، وظهرت حركات وثورات جهادية في كلّ البلاد تقاوم الاستعمار، تقاتل وتجاهد وتدافع، حتّى استطاع المسلمون أن يحرّروا بلادهم من الاستعمار العسكري، ورحلت عساكر الاستعمار من بلاد المسلمين، ولكن آثار الاستعمار بقيت للأسف.

المجاهدون يزرعون والعلمانيون يحصدون:

إنّ الثورات التي قامت باسم الإسلام، وتحركت بدوافع الإيمان وأحلام الجنة، قد سرقها العلمانيون، سرقها اللادينيون، هناك أناس مدرّبون على سرقات الحركات الشعبية والثورات الجهادية، قوم يغرسون ويتعبون ويرعون ويتعهدون، وآخرون يقطفون الثمرة.

المتدينون يزرعون، والعلمانيون يحصدون!

في تركيا وإندونيسيا والجزائر:

في تركيا: قام الشعب التركي باسم الإسلام وراء مصطفى كمال الذي كانوا يسمونه: الغازي مصطفى كمال، وظنّ الناس أنّه يحارب عن الإسلام وباسم الإسلام، ولما انتصر قام المسلمون في كلّ مكان يحتفلون ويقيمون الأفراح، ويقول الشاعر شوقي في ذلك الوقت:

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدّ خالد العرب^(١)!
كانوا يظنّون أنّه خالد الترك، خالد الجديد، بدل خالد بن الوليد.

(١) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/ ٥٩)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

وإذا به إنسان دونمي، من يهود الدونمة، إذا بهذا الإنسان يضع في صدر الإسلام خنجراً مسموماً، ويعلن أنه ضد الإسلام، يحارب الإسلام في تشريعه، وفي توجيهه، وفي تعليمه، حتى اللغة التركية كانت تُكتب بالحروف العربية، فأبى إلا أن تُكتب باللاتينية، حتى الأذان حرم على الأتراك أن يؤذّنوا بالعربية، ألا يقولوا: الله أكبر، وظلّ ذلك إلى عهد قريب، على عهد «عدنان مندريس» الذي أعاد الأذان بالعربية.

وهكذا في كثير من البلاد سُرقت الثورات الإسلامية.

ثورة إندونيسيا التي قامت باسم الإسلام، سرقها العلمانيون، ثورة المليون شهيد في الجزائر قامت باسم الإسلام، كان الصوت الذي حرّكها هو صوت «جمعية العلماء المسلمين»، صوت الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهو ينشئ المدارس القرآنية، ويعلم الجزائريين ويحفّظهم نشيده المعروف:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أضله أو قال مات فقد كذب^(١)

كانوا يريدون «فرنسة» الشعب الجزائري، فرنسة لغته وتعليمه وحياته كلّها، ولكن الإسلام هو الذي قاوم، كانت جهود ابن باديس، والإبراهيمي، والتبسي، وإخوانهم، هي البذور التي نبتت منها الثورة، فأين هذه الثورة الآن؟

الثورات قامت في كلّ مكان يساندها المسلمون، ويغذونها بدمائهم، ولكن يسرقها العلمانيون.

كان هذا ممّا حدث في هذا القرن.

(١) انظر: آثار ابن باديس (٣٣٤/٤)، تحقيق عمار طالبي، نشر دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط ١،

الاستقلال والهدف منه:

استقلت بلاد المسلمين، ولكن ما قيمة الاستقلال؟ لماذا تستقل الأمم؟ لماذا تستقل الشعوب؟

إنَّ الاستقلال ليس غاية في ذاته، إنَّ الأمم لا تعيش لمجرد أن تستقل، ولكنها تستقل لتعيش، وإنَّما تعيش لرسالة، الأمة التي تعيش لرسالتها هي المنتصرة حقًا، أمَّا إذا عاشت لغير رسالتها فلن تنتصر.

متى تكون الأمة الإسلامية منتصرة حقًا؟

إذا حققت ذاتها، إذا حققت وجودها، وإنَّما تحقق ذاتها بالإسلام، إنَّما تحقق وجودها بقيام دولة الإسلام، التي تقوم على عقيدة الإسلام، وعلى تشريع الإسلام، وتربية الإسلام، وتوجيه الإسلام، وحياة الإسلام.

فهل حدث هذا في بلاد المسلمين؟

أين دولة الإسلام؟ أين الدولة التي تبني الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا ومنهاج حياة؟

إنَّ بلاد المسلمين إذا قامت فيها دولة رأسمالية ديمقراطية بعد استقلالها، فهل تعدُّ بهذا قد انتصرت؟

لا والله، إنَّ الذي انتصر إنَّما هو المعسكر الغربي.

وإذا قامت في بلاد المسلمين بعد استقلالها دولة اشتراكية ماركسية فما انتصر الإسلام، وإنَّما انتصر المعسكر الاشتراكي.

إنَّما ينتصر الإسلام حين تقوم في أرض الإسلام دولة الإسلام، التي ترتفع فيها راية القرآن، حينما تُحلَّ حلال الله، وتحرم حرامه، حينما



يكون للمسلمين في بلادهم كيان، حينما يعيش المسلمون أعزاء، لا يُقتلون في مساجدهم بإطلاق النّار، حينما يعيش المسلمون موفوري الكرامة، مرفوعي الرؤوس!

أمّا إذا ظلّ المسلمون يعيشون في بلادهم غرباء، ويعيش الإسلام غريباً في دياره، مخذولاً بين أنصاره، فليست هذه هي البلاد المستقلة التي انتصر فيها الإسلام.

ماذا يُراد للمسلمين؟

يُراد للمسلمين دائماً أن يختفوا، ويُراد لإسلامهم أن يضع رأسه في الرمال كالنّعام.

يقال للمسلمين إذا كانوا أقلية: ليس لكم حقّ في أن تحكموا بإسلامكم، فإنّكم أقلية والأقلية تتبع الأكثرية بحكم الديمقراطية!

وإذا كان المسلمون في بلادهم أكثرية قيل لهم: الغوا شخصيّتكم باسم الوحدة الوطنية، اتركوا إسلامكم باسم التسامح!

هل التسامح أن نخفض رؤوسنا؟!

هل التسامح ألا نعيش بإسلامنا ولإسلامنا؟!

هل التسامح ألا نحكم بشرعتنا؟!

هل التسامح أن نُذيب الفوارق بين الأديان بعضها وبعض بهذا النّفاق

السياسي والاجتماعي؟!

لا، ليس هذا من التسامح في شيء.

في هذا القرن حدثت أحداث، إنَّه قرن الاستعمار والكفاح في مقاومة الاستعمار، القرن الذي حرَّر المسلمون بدمائهم بلادهم من الاستعمار، ولكن بقيت فيها إلى اليوم آثار الاستعمار، وقوانين الاستعمار، وأفكار الاستعمار. هذا من ملامح هذا القرن.

من كوارث هذا القرن إلغاء الخلافة:

من ملامح هذا القرن، بل من كوارث هذا القرن: ما صنعه «كمال أتاتورك» حينما تحكَّم في تركيا المسلمة، أنه ألغى الخلافة الإسلامية^(١)، آخر مظهر لتجمع المسلمين تحت راية العقيدة، تحت راية «لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله»، على ما كان به من ضعف، وعلى ما كان بالخلافة العثمانية من عيوب، فقد كانت تمثل الوحدة الإسلامية، كانت تمثل «بُعْبُعًا» يخيف بلاد الاستعمار ودول الصليبيين.

ولذلك تأمروا عليها، كانوا يسمونها «الرجل المريض»، ولا بدَّ من اقتسام تركة «الرجل المريض»، وما زالوا بهذا الكيد حتَّى وجدوا من أبناء المسلمين أو من ينتسب إلى المسلمين من يحقق قول أولئك المبشرين العتاة الذين قالوا: لا يقطع الشجرة إلَّا واحد من أبنائها! هكذا صنعوا، وتجراً ذلك الجبان الملحد العلماني اللاديني - كمال أتاتورك - أن يلغي الخلافة الإسلامية، وأصبح المسلمون لأول مرَّة في التاريخ بلا خلافة، بلا إمام يجمعهم ويقول: هبُّوا للجهاد، أو هيأ لنصرة الإسلام. نحن المسلمين الآن نحتاج إلى من يجمع النَّاس، ومن يقول للنَّاس: هيأ جاهدوا، فلا نستطيع.

(١) كان ذلك في عام ١٩٢٤م.



تآمر اليهود، وكانوا من وراء إسقاط الخلافة العثمانية.

حاول اليهود أن يشترخوا هذه الخلافة، حاولوا مع السلطان عبد الحميد أن يضعوا في جيبه ملايين الليرات الذهبية في مقابل أن يقطعهم بعض الإقطاعات في فلسطين، ولكنه أبى، فكاد اليهود كيدهم، حتى كان الذي سلمه صك إسقاط الخلافة هو الذي عرض عليه شراء أرض من فلسطين بالملايين!

سقطت الخلافة بكيد الكائدين، ومكر الماكرين، وكان هذا من الكوارث الكبرى في تاريخ الأمة.

الآن أصبح المسلمون وليس لهم راية، أصبحوا ممزقين الآن كما ترون في ظل الدولة القطرية.

يقولون: الكتلة الإسلامية، وأين هي الكتلة الإسلامية؟! وهل هي كتلة فعلاً؟! أين التضامن الإسلامي؟

كانوا يسعون إلى «الوحدة الإسلامية» أو «الجامعة الإسلامية»، ثم هبطوا، فسؤوه: «التضامن الإسلامي»، فأين هو التضامن الإسلامي، والمسلمون يحارب بعضهم بعضاً؟!

ما رأينا حرباً أشدّ ضراوة من حرب العراق وإيران، ما رأينا تلك الجيوش قاتلت في فلسطين مثل هذا القتال.

الله وصف المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ بقوله: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ولكن المسلمين الآن: أشداء على أنفسهم رحماء بغيرهم! وصف الله اليهود بقوله: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، كأن هذه الأوصاف تنطبق على المسلمين عامة، وعلى العرب خاصة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾: لو كانوا يعقلون، لعلموا أنه في ساعة الشدائد يجب أن تُنسى الخصومات، وتُنسى كل الخلافات الجانبية، وأن يقف الجميع صفًا واحدًا في مواجهة العدو الواحد، وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾ [الصف: ٤].

أين الصف الواحد؟ أين البنيان المتراص؟ لا نرى إلا تفرُّقًا وتمزُّقًا! ولا بدَّ من هذا التفرُّق والتمزُّق، ما دام لا يوجد هناك حبل واحد يُعْتَصَمُ به، ليس هناك منهج واحد يُتَّبَع، هناك مناهج، وهناك طرق شتى: هذا يسلك سبيل الاشتراكية، وهذا يسلك سبيل الرأسمالية، وهذا يسلك سبيل الديمقراطية، وهذا يسلك سبيل الدكتاتورية العسكرية، وهذا، وهذا، فكيف يلتقون؟!

قال ابن مسعود رضي الله عنه: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا - كَانَ يَعْلَمُهُمْ بوسائل الإيضاح، ووسائل الإيضاح المتوافرة في ذلك الوقت: الرمل، يرسم ويخطُّ فيه - ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» - هَذَا صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيم - ثُمَّ خَطَّ خَطوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ - مَتَعَرِّجَةٌ وَمَلْتَوِيَّةٌ - وَقَالَ: «هَذِهِ سَبِيلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ». وَقَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]^(١).

المسلمون الآن انقسموا، ما داموا قد تركوا الإسلام فقد اتجه بعضهم إلى اليمين، واتجه بعضهم إلى اليسار، واليمين درجات واليسار درجات،

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرَّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢٣٩/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.



هناك يمين اليمين ووسط اليمين ويسار اليمين، وهناك يسار اليسار ووسط اليسار ويمين اليسار، وبين هذه وتلك درجات ودرجات، وهناك الموالى لموسكو، والموالى لبكين، والموالى لبلغراد، والموالى لواشنطن، والموالى للندن، والموالى لباريس.

تركوا القبلة الواحدة، فصاروا إلى قبلات مختلفة، وتركوا المنهج الواحد ففترقت سبلهم: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

تمزق المسلمون ولم يعد لهم خلافة تجمعهم، وهذا من شر ما حدث في هذا القرن.

قيام إسرائيل:

ومن شر ما حدث في هذا القرن بعد الاستعمار، وبعد سقوط الخلافة، وتمزيق الأمة الإسلامية، حدث خطر لم يكن أحد يتوقعه، إنه: قيام إسرائيل، قيام دولة لليهود، بعد أن تمزقوا في الأرض، وقطعهم الله فيها أمماً، قام لهم كيان، وقامت لهم دولة، وأين؟

في قلب بلاد العروبة والإسلام، في أرض الثبوات والمقدسات، الأرض التي بارك الله فيها للعالمين.

حول المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، قامت لليهود دولة، ظللنا سنوات ونحن نطلق عليها - في الصحف والمجلات والإذاعات - اسم: «إسرائيل المزعومة»؛ ولكن هذه «المزعومة» ظلت تناوش وتضرب، وتلطم وتؤدب، وتعاقب هذه الجبهة وتلك، حتى أوشكنا أن نكون نحن «المزعمون»، فتركنا كلمة «المزعومة» واستحيينا من أنفسنا.

من كان يظنُّ أنَّ اليهود الذين عاشوا في ذمّة المسلمين، وتحت سلطانهم، وفي كنف أمانهم - بعد أن كانوا يُذلُّون ويُقهرُونَ في أنحاء العالم، ولا يجدون صدرًا حنونًا إلَّا في قلب بلاد الإسلام - إنَّهم يقلبون للمسلمين ظهر المَجَنِّ ويديرون عليهم الدوائر، وينقلبون عليهم.

وهكذا صنعوا، واستنسر البُغاث، وتذأبت النِّعاج، وأصبح اليهود يقتلون المسلمين، ويذبحون المسلمين، وأصبح اسمهم: القوَّة التي لا تُقهر.

هذه - أيُّها الإخوة - أهمُّ أحداث هذا القرن المنصرم.

ظهور الحركات التجديدية الإسلامية:

وأحبُّ أن أقول هنا شيئًا مهمًّا: إنَّ هذا القرن المنصرم أيضًا قد تميَّز بحركات إسلامية، قام بها مجدِّدون أصلاء في أنحاء الديار الإسلامية، فاستطاعوا أن يحيوا الأُمَّة من موات، وأن يجمعوها من شتات، وأن ينادي مناديتهم في المسلمين: أن يتهيَّؤوا من جديد لمعركة المستقبل، وأن يجعلوا الإسلام مرجعهم ومحور حركتهم، وأساس نهضتهم.

فقامت جماعات وحركات إسلامية تجدد الإسلام، تجمع المسلمين على «لا إله إلَّا الله، مُحَمَّد رسول الله»، وترفع راية التوحيد من جديد.

بروز الصحوَّة الإسلاميَّة المعاصرة:

ونحن الآن نشهد ثمار هذه الحركات في هذه الصحوَّة، الصحوَّة الإسلامية، المتمثلة في هذه الحركات وفي هذه الجماعات الإسلامية، جماعات الشباب الإسلامي التي انطلقت في كلِّ مكان من بلاد الإسلام.

زُرت الشرق والغرب فوجدت - فيما وجدت - هذه الصحوة المباركة.

صحيح أنني وجدت مآسي ومشكلات في كل بلد إسلامي حكمه الاستعمار، ولكن - بجوار هذا - وجدت الصحوة الإسلامية.

في «ماليزيا» التي كانت تسمى قديمًا «الملايو»: كان الملاويون في العادة مسلمين، فإذا بالمكايد تعمل عملها، وتدبر تدبيرها، فأدخل الإنجليز المستعمرون عليهم مهاجرين من الصينيين الذين يسمونهم: «يهود الشرق الأقصى»، وقد تكاثروا وازدادوا قوة بمساندة الإنجليز، وها هم - بعد رحيل الإنجليز - يتسلطون على رقاب أهل ماليزيا، ويستولون على اقتصادها، ويكونون عددًا ضخماً نحو الثلث، ثم يستولون على «سنغافورة» ويقتطعونها من ماليزيا، ثم يستولون على العواصم مثل «كوالالمبور»، بحيث تجد أكثر من (٨٠٪) من الثروات في يد هؤلاء، يهود الشرق الأقصى.

ولكن مع هذا هناك الصحوة الإسلامية، هناك حركة الشباب الإسلامي «أبيم». في كل مكان نجد صحوة إسلامية.

بل وجدت هذه الصحوة وراء البحار، في أوروبا، في أمريكا، وجدت هؤلاء الشباب الصوامين القوامين، الذين يصومون الاثنين والخميس، ويستغفرون بالأسحار، ويصلون الفجر في المساجد.

وجدت هؤلاء الفتيات اللاتي آلين إلا الحجاب، إلا أن يأتمرن بأمر الله، وينتهين عن نهى الله، ويتحدّين المجتمعات، بل يتحدّين الأسر أحياناً والآباء والأمهات.

هؤلاء الفتيات أصبحن بالألوف، ومئات الألوف، في كل بلد إسلامي.

كنّا نسير في الستينيات في بلد مثل «القاهرة» هذه، فلا نكاد نرى فتاة محجبة، حتّى العجوز الشمطاء التي أكل الدهر عليها وشرب، كانت تمشي بما يسمى «الجابونيز» أو نحو ذلك.

الآن سِر في الشوارع، سترى هذه الظاهرة، ادخل الجامعات والمدارس، سترى ظاهرة الفتيات المحجبات.

الحمد لله، صحوة إسلاميّة في كل مكان، علم الإسلام يرتفع، صوت الإسلام يدوي.

وقد ساعد على ظهور هذه الصحوة وقوتها: إخفاق «الحلول المستوردة» من الشرق والغرب، من اليمين ومن اليسار، فهي لم تحقّق للأمة هدفًا كانت تصبو إليه: لا نصرًا عسكريًا، ولا رخاء اقتصاديًا، ولا استقرارًا سياسيًا، ولا تماسكًا اجتماعيًا، ولا انضباطًا أخلاقيًا، بل فشلت فشلًا ذريعًا في كل هذه الميادين.

واجبنا حراسة الصحوة من كيد أعدائها:

هذه الصحوة - أيّها الإخوة - يجب أن نحافظ عليها، نحافظ عليها ونحرسها من أعدائها، من خصومها، حتّى لا يضربوها من داخلها، حتّى لا يغزوها من الداخل بواسطة المخربين، بواسطة العابثين.

يجب أن نحافظ على هذه التجمعات الإسلاميّة، ونسير بالحكمة، وندعو بالموعظة الحسنة، ونجادل بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أخشن.

المحافظة على الصحة من أبنائها أنفسهم:

ويجب أن نحافظ على هذه الصحة الإسلامية من ناحية أخرى: من ناحية أبنائها أنفسهم.

أريد من شباب الإسلام أن يُقلعوا عن التوافه، ألا يشغلوا شباب هذه الأمة بالخلافات الجانبية والمعارك الجزئية، عن المعارك المصيرية الكبرى، وألا تشغلهم الفروع عن الأصول، ولا الجزئيات عن الكلّيات، ولا الشكل عن الجوهر، ولا الأطراف عن القلب، ولا المختلف فيه عن المتفق عليه.

بل يجب عليهم أن يركّزوا انتباههم على الأمة الإسلامية ومعاركها ومآسيها وقضاياها الكبرى، وما تتعرض له من فتن، ومؤامرات تهدف إلى إبادة معنويّاتها، إن لم يكن إبادة مادّيّاتها وجسديّاتها.

إخواننا في أفغانستان يقاتلون، إخواننا في سوريا يذبّحون، بالمئات، بالآلاف، يأتي الطغاة الباطنيون النصيرية - الذين قال علماء المسلمين عنهم: إنهم أشدّ كفرًا من اليهود والنصارى - فيقتلون المسلمين السنيين، جهارًا نهارًا، عيانًا بيانًا، يؤتى بالابن ليُقتل أمام أبيه، وبالأب ليُقتل أمام بنيه، وبالمراة لتقتل أمام زوجها، وبالزوج ليذبح أمام زوجته، وهكذا، قُتل في حماة - من بعض الأسر - تسعة أشخاص من أسرة واحدة، هُدمت المساجد في سوريا، وضربت بالقنابل.

هل هناك من رفع صوتًا؟ أو من حرّك ساكنًا؟

هناك تعقيم إعلامي من بلاد العرب!

بل هناك بلاد عربية إسلاميّة لها مكانتها عند المسلمين، تسند هؤلاء صراحة، وتمدهم بالملايين بل بالملايير!

مليارات الدولارات تُدفع لهؤلاء الباطنيين إتاوة أو جزية عن يد وهم صاغرون؛ لكي يبقى نظامهم الجائر، ولكي لا يقوم للإسلام عَلم في هذه الديار.

هذا ما يحدث في بلاد العرب والمسلمين.

إخوانكم يقاتلون من سنوات في الفلبين، والعرب المسلمون يؤيدون «ماركوس» ويصادقونه، ويعقدون معه الصداقات، ويمدونه بالبترو، والمسلمون يصرخون ولا من مُصرخ، ولا من مغيث.

إخوانكم في إريتريا، إخوانكم في تشاد، إخوانكم في الصومال، إخوانكم في كل مكان.

المسلمون أصبحوا أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، ولا يملكون إلا أن يشكوا لمجلس الأمن، للأمم المتحدة، ورحم الله القائل الذي قال: في كل محكمة قضية مسلم يشكو بليته لغير المسلم^(١)

عضوا على إسلامكم بالنواجذ:

يا أيُّها الإخوة، يا شباب الإسلام:

عضوا على إسلامكم بالنواجذ، كونوا يدًا واحدة، تفقهوا في الإسلام، اعرفوا الإسلام من أصوله، من مصادره الحقيقية، تتلمذوا على علماء الإسلام الثقات، اعرفوا الكتب الإسلامية الأصلية، ارجعوا إلى المصادر، افهموا الإسلام فهمًا شموليًا.

(١) البيت للشاعر خالد الجرنوسي، في قصيدة ألقاها بدار الشبان المسلمين، في يوم كشمير، ومطلعها:

يا يوم كشمير تحية مسلم مطلولة عبرى ترقق بالدم

الإسلام ليس في المسجد فقط، الإسلام ليس عبادة فقط، الإسلام ليس عقيدة فقط، الإسلام ليس أخلاقاً فقط.

الإسلام عقيدة وتوحيد، وعبادة وصلاة، وهو كذلك أخلاق وآداب، ومعاملة وتشريع، ونظام حياة.

الإسلام رسالة تشمل الزمن كله، وتشمل العالم كله، وتشمل الإنسان كله، وتستوعب الحياة كلها، وصدق الله العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

الاستبشار بمستقبل الإسلام:

إننا نستبشر بمستقبل الإسلام، إننا نعتقد أن بعد الليل فجرًا، وأن مع العسر يسرًا، وأن هذا الإسلام سينتصر، وأن الله تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

إن الإسلام سينتصر إن شاء الله، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر»، يعني: أمر هذا الدين، «ما بلغ الليل والنهار»، أي: ليعمن الكرة الأرضية كلها، «ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر»، أي: في بادية أو حضر، «إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»^(١).

إنما النصر بالمؤمنين:

ولكن - أيها الإخوة - جرت سُنَّة الله: أنه لا ينصر الرسالات إلا بأهلها، إن الله تعالى خاطب رسوله بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي آيَّدَكَ بِنَصْرِهِ

(١) سبق تخريجه ص ٣٣٦.

وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

نريد المؤمنين المؤتلفين، فائتلفوا على الإسلام، ترابطوا على الإسلام، قفوا صفاً واحداً وراء الإسلام.

مهما قالوا: إِنَّكُمْ متعصبون، تعصبوا لإسلامكم، نحن في حاجة إلى شيء من التعصب، إذا سُمِّي الاستمساك بالحق والاعتزاز بالدين تعصباً، فنحن أول المتعصبين: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [التَّمَلُّ: ٧٩]، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزُّحُرْف: ٤٣].

إذا سُمِّي هذا التوكل وهذا الاستمساك وهذا الاعتزال تعصباً، فلنتعصب، وإلا أكلنا، وإلا ضعنا في بلاد دينها الإسلام، في بلاد أكثريتها المسلمون.

آن للمسلمين أن يثبتوا وجودهم، وأن يعرفوا حقيقتهم، وأن يميزوا صديقهم من عدوهم، وأن ينظموا أنفسهم، وأن يترابطوا وراء الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنِينَ مَرَصُوصٌ﴾ [الصَّف: ٤].

إذا لم يفعل المسلمون ذلك، فإن العاقبة وخيمة، وإن الشر ينتظرهم، والقرآن قد حذرهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

الكفار بعضهم أولياء بعض، والكفر كله ملّة واحدة، ولذلك نرى الشيوعيين، والرأسماليين، واليمينيين واليساريين، يتفقون فيما بينهم إذا كان العدو هو الإسلام، وإذا كان الهدف هو ضرب المسلمين.

فإذا لم نفعل ذلك، ولم يوالِ بعضنا بعضًا، ويتكتل بعضنا مع بعض،
ويساند بعضنا بعضًا ﴿تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

لا حياة بغير الإسلام:

أيُّها الإخوة:

هذه خواطر في يوم العيد، أوّل عيد في القرن الخامس عشر الهجري.
آن لنا أن ننفخ غبار النّوم، آن لنا أن نعرف أنفسنا، آن لنا أن
نكتشف ذاتنا، نحن مسلمون قبل كلّ شيء، نحن بالإسلام كلّ شيء،
وبغير الإسلام لا شيء.

نحن لا نريد اعتداء على أحد، وإنّما نريد أن نعيش مسلمين ونموت
مسلمين، ولا نريد لأحد أن يمنعنا من هذه الحقيقة.

لا نقبل من أحد أبدًا أن يقول لنا: عيشوا بغير الإسلام، لا نقبل هذا
من حاكم، ولا نقبل هذا من محكوم، ولا نقبل هذا من أحد في الداخل
أو في الخارج.

إنّا مسلمون، نعتزُّ برسالة الإسلام، نعيش بها، ونعيش لها، ونموت
عليها، ونعلنها على الملأ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ
وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيُّها الإخوة:

إني داعٍ فأمّنوا.

اللهمّ اكْرِمنا ولا تُهِنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزِدنا ولا تُنقصنا، وآثرنا
ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم إننا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم رد عنا كيدهم، وفلّ حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر، والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم تقبلنا في جندك الصادقين، وحزبك الغالبين، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

اللهم أعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن.

اللهم أيد إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وأيد إخواننا المجاهدين في لبنان، وأيد إخواننا المجاهدين في سوريا، وأيد إخواننا المجاهدين في إريتريا، وأيد إخواننا المجاهدين في الصومال، وأيد إخواننا المجاهدين في الفلبين، وأيد إخواننا المجاهدين في بلاد الإسلام حيثما كانوا.

اللهم أيدهم بملاً من جندك، اللهم أمدهم برؤوح من عندك، اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاهم في كفك الذي لا يضم.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].



﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وصلَّى الله وسلَّم على سيِّدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه.

وتقبَّل الله مِنَّا ومنكم، وكلُّ عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *





خطبة عيد الأضحى (١)

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

فهذا يوم العيد، عيد الأضحى، هذا يوم الحجِّ الأكبر، يوم المؤتمر العظيم، الَّذِي يَقِفُ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ مُحْرِمِينَ مُتَجَرِّدِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، مُلَبِّينَ مَهْلَلِينَ: لَبِّكَ اللَّهُمَّ لَبِّكَ، لَبِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبِّكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنُّعْمَةَ لَكَ وَالْمَلِكُ، لَا شَرِيكَ لَكَ.

يوم الحجِّ الأكبر، هذا هو العيد الثاني للمسلمين.

وللمسلمين عيدان لا عيد بعدهما، ربط الله كلاً منهما بعبادةٍ من عباداته الكبرى، وبشعيرة من شعائر الإسلام العظمى.

العيد الأوَّل يأتي بعد عبادة الصوم، تأتي فرحة الفطر، و«للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»^(١).

إنَّه يفرح كلُّ يوم عند الإفطار بما وفَّقه الله إليه من طاعة، ثمَّ يفرح الفرحة الكبرى في الدُّنْيَا حينما يُتِمُّ صِيَامَ الشَّهْرِ، فتأتي فرحة العيد.

وَأَمَّا العيد الثاني فيأتي بعد عبادة الحجِّ، بعد أن يؤدي النَّاسُ هذه

(١) أُلْقِيَتْ فِي الْمَلْعَبِ الرِّيَاضِيِّ بِالإِسْكَانْدَرِيَّةِ سَنَةِ ١٤٠٧هـ.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٤٢.



الفريضة، أو هذه الشعيرة، بعد أن يقفوا في عرفات، بعد أن خرجوا من أوطانهم وغادروا أهليهم وأحباءهم مهاجرين إلى الله تعالى.

فكأن العيد هنا وهناك، في الفطر وفي الأضحى: جائزة أو مكافأة من الله تعالى لعباده، كأنه منحة ربانية لهم، على ما أدوه من إحسان فريضة الصيام وإحسان فريضة الحج.

المعنى الرباني والمعنى الإنساني في أعياد الإسلام:

هذه هي الأعياد عندنا نحن المسلمين، يتجلّى فيها المعنى الرباني كما يتجلّى فيها المعنى الإنساني.

يتجلّى فيها المعنى الرباني بربطها بعبادات الإسلام، ويتجلّى فيها هذا المعنى أيضًا: أن العيد عيد صلاة وتكبير.

عرّف النَّاس بعض الأعياد: انطلاقًا للشهوات، وركضًا وراء الملذات، ولكن عيدنا نحن المسلمين يبدأ بالتكبير، يبدأ بالصلاة، يوم العيد يوم صلاة لله تعالى قبل كل شيء.

هذه أعيادنا نحن المسلمين، نكبّر الله ونصلّي له، لا نهتف باسم مخلوق، وإنّا نهتف باسم الله وحده، إذا هتف النَّاس باسم المخلوقين - صغروا أم كبروا - فالمسلمون في أعيادهم يقولون: الله أكبر الله أكبر.

هذا هو زينة الأعياد: «زَيَّنُوا أعيادكم بالتكبير»^(١).

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٣٧٣)، والصغير (٥٩٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٦٥٨): فيه نكارة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٠٠): فيه عمر بن راشد؛ ضعفه أحمد وابن معين والنسائي. وقال العجلي: لا بأس به. عن أبي هريرة.

في عيد الفطر قال الله تعالى في ختام آية الصيام: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وفي عيد الأضحى شرع لنا النبي ﷺ التكبير عقب الصلوات منذ فجر يوم عرفة إلى عصر آخر أيام التشريق «ثلاث وعشرين صلاة».

في ثلاث وعشرين صلاة يكبر المسلم كلما أدى الصلاة: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد.

هكذا يتجلى في أعيادنا نحن الأمة الإسلامية المعنيان الكبيران:

المعنى الرباني: فالعيد مرتبط بهذه المعاني الإيمانية.

المعنى الإنساني: ألا ينسى الإنسان أخاه، ألا يفرح وحده، ألا يكون أنانيًا.

فرض زكاة الفطر في عيد الفطر:

هنا شرع الإسلام في عيد الفطر: زكاة الفطر، صدقة الفطر فرضها رسول الله ﷺ على الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والحر والعبد من المسلمين، فرضها صاعًا من طعام^(١)، طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين^(٢)، وإغناء لذوي الحاجة عن السؤال والطواف في هذا اليوم^(٣).

(١) كما في حديث ابن عمر قال: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير على الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمرنا أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة. متفق عليه: رواه البخاري (١٥٠٣)، ومسلم (٩٨٤)، كلاهما في الزكاة.

(٢) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، والحاكم (٥٦٨/١)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الزكاة، والدارقطني في زكاة الفطر (٦١/٣)، وقال: ليس فيهم مجروح. وحسنه إسناده النووي في المجموع (١٢٦/٦)، عن ابن عباس.

(٣) كما في حديث ابن عمر: «أغنؤهم عن الطواف في هذا اليوم». رواه الدارقطني في زكاة الفطر (٢١٣٣)، والبيهقي في الزكاة (١٧٥/٤).

ليس من الإسلام أن تأكل مِلء بطنك، وتضحك مِلء سينك، وتنام مِلء جفنك، وتجمع على موائدك ما لذ وطاب من الطعام والشراب، وبجوارك أناس لا يجدون ما يمسك الرmq أو يطفئ الحرق، من يئن من الجوع أنين الملسوع، ولا يجد شيئاً يقدم إليه.

لئن جاز هذا في أي وقت - وهو غير جائز - لا يجوز في أيام الفرحة، في أيام العيد، لهذا شرع الإسلام في عيد الفطر زكاة الفطر؛ إسعافاً للفقراء وإغناء لهم.

الأضحى في عيد الأضحى:

وشرع في عيد الأضحى الأضحى، جعلها سنة من سننه، بل رآها الإمام أبو حنيفة واجباً من الواجبات على أهل القدرة واليسار.

يضحي المسلم ليوسّع على نفسه وأهله، وليوسّع على جيرانه وأحبابه، ثم ليوسّع بعد ذلك على الفقراء من حوله، فلا عاش من يأكل وحده.

لا يجوز للناس أن يعيشوا في دائرة مغلقة على أنفسهم، وإنما ينبغي أن يبحثوا عن أهل الفقر والحاجة، وخصوصاً في أيام الأعياد ومواسم الخيرات.

قرر هذا الإسلام قبل أن تعرف الدنيا ما يسمّى الاشتراكية أو الشيوعية أو غير ذلك.

إنما يريد الإسلام أن يكون الناس إخوة متحابين، ولا أخوة ولا تحاب بين إنسان عنده كل شيء وإنسان ليس عنده شيء، لا أخوة بين ظالم ومظلوم، لا أخوة بين من يضع يده على بطنه يشكو زحمة التُّخمة، ومن يضع يده على بطنه يشكو عضّة الجوع!

إنَّما الأخوة الحقيقية حينما يتراحم النَّاسُ، يتكافل النَّاسُ، يكفُل بعضهم بعضًا، يصبُّ الغني على الفقير، يأخذ القوي بيد الضعيف: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَةِ﴾ [البلد: ١١ - ١٨].

في العيد يتجلَّى المعنى الإنساني: أن يهنئ كلُّ مسلم أخاه المسلم، أن يزيل الفجوة أو الجفوة بينه وبينه، أن يقطع الخصومة ويصلح ذات البين، فإنَّ فساد ذات البين هي الحالقة، أمَّا إنَّها لا تحلق الشعر ولكن تحلق الدين^(١).

لئن جاز للنَّاس أن يتخاصموا أو يتدابروا في أيام أخرى - وهذا غير جائز في أي وقت - فلا يجوز لهم أن يتدابروا ويتقاطعوا ويتخاصموا في أيام الأعياد.

ابحث عن قريبك، عن أخيك، عن رحِمك، عن جيرانك، عمن حولك، صل من قطعك، وابذل لمن منعك، وأعط من حرملك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، فهذه مكارم الأخلاق التي بُعث النَّبي ﷺ ليتَّممها: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٢).

(١) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

(٢) رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرَّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد في حسن الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.



عيد ولا فرحة من الأعماق:

أيُّها الإخوة:

من شأن يوم العيد أن يكون يوم فرح، ويوم سرور وابتهاج، بل قالوا: إنَّما سُمِّي العيد عيدًا؛ لأنَّ السرور يعود فيه ويتكرر.

ولكننا - للأسف الشديد - نحن المسلمين تأتي علينا الأعياد عيدًا بعد عيد، نحاول أن نفرح، نحاول أن نبتهج، نحاول أن نبسم ابتسامة تخرج من أعماق قلوبنا، ولكنَّا إذا نظرنا في حال المسلمين تقطَّعت أكبادنا، ودمي فؤادنا، حرقه على ما وصل إليه حالنا.

نحاول أن نفرح، وكيف نفرح وهذا حالنا؟

قديمًا قال أبو الطيب المُتنبِّي في أحد الأعياد:

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ؟ بِمَا مَضَى أُمٌّ لِأَمْرِ فَيْكَ تَجْدِيدُ؟
أَمَّا الْأَحِبَّةُ، فَالْبَيْدَاءُ دُونَهُمْ فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدٌ^(١)!

كان همُّ المتنبِّي في هذا العيد الذي لم يفرح به: بُعد الأحبة عنه، ولو كانت مصيبتنا «بعد الأحبة» لهان الأمر.

لا زالت قضايانا معلَّقة:

إنَّ مصيبتنا كبيرة نحن المسلمين، لا زالت قضايانا معلَّقة، لا زلنا نشكو ممَّا أصاب الأمة الإسلامية.

(١) ديوان المتنبِّي بشرح العكبري (٣٩/٢)، تصحيح مصطفى السقا وآخرين، نشر دار المعرفة

للطباعة والنشر، بيروت.

الصهيونية وفلسطين:

لا زال الصهاينة يحتلّون فلسطين، لا زال المسجد الأقصى أسيرًا في أيديهم، لا زالوا يخطّطون لهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان، لا زالوا يعملون ليل نهار، يخطّطون ويدبّرون لتمزيق أمتنا العربية والإسلاميّة، وهم للأسف ينجحون يومًا بعد يوم.

كنّا نظنّ أمرهم هينًا، وكنا نعتقد أنّ وجودهم سحابة صيف، أو إقامة ضيف! وأنّهم لن يستمروا طويلًا، ولكنّهم استمروا وكثروا، لماذا؟ لا لأنّهم أصحاب حقّ ونحن أصحاب باطل، لا، ولكن لأنّهم خطّطوا وارتجلنا، وعملوا وتكاسلنا، وتجمعوا على باطلهم وتفرّقنا عن حقّنا! ثمّ إنّنا أهملنا مصدر قوتنا، سرّ قوتنا، وصانع النّصر في تاريخنا، وهو: التمسّك بالإسلام.

تمسّكوا هم باليهودية، ولم نتمسّك نحن بالإسلام، دخلنا المعارك نحن وهم، ومعهم التوراة وليس معنا القرآن، دخلوا المعارك ومعهم إيمان بالتراث والتّلمود، ونحن نهزأ من البخاري ومسلم.

لهذا كانت النتيجة: أن ظلّوا إلى اليوم في فلسطين، بل يحلمون بإسرائيل الكبرى، من الفرات إلى النيل! لا زالت قضايا معلّقة.

لبنان والحرب الأهلية:

لا زال لبنان يعاني ممّا يعاني من الصراع الداخلي، والحرب الأهلية، لا زال المسلمون الصادقون يعانون الجراح، لا زالت الصهيونية وعملاؤها تخرب في لبنان، وتبعث عملاءها يقتلون ويذبحون.

لقد بلغ بأهل المخيمات من أبناء فلسطين الذين طال عليهم الحصار شهراً بعد شهر، واشتدَّ عليهم الجوع (والجوع كافر) أن أفتاهم من أفتاهم بأن يأكلوا لحوم الموتى!

أين المسلمون؟! أين أهل النجدة؟!

أجل، لا زالت قضايا معلّقة.

الجهاد في أفغانستان والفلبين وإريتريا:

في أفغانستان يجاهد إخواننا هناك جهاد الأبطال، يبذلون الأرواح، يريقون الدماء، يقفون في وجه القوّة العاتية الكبرى بما لديهم من إمكانات صغيرة، ولكنهم استطاعوا أن يقهروا هؤلاء، وأن يستولوا على معظم أراضي أفغانستان^(١).

ولكن القضية لا زالت تحتاج إلى وقود دائم من الرجال والأموال والسلاح.

لا زال إخواننا يقاتلون في الفلبين، لا زال إخواننا يقاتلون في إريتريا، لا زالت الأقليات الإسلامية تُضطهد هنا وهناك.

المسلمون في الهند:

تصوّروا: المسلمون في الهند يُعتبرون أقلّيّة، ولكنهم أكثر من مائة مليون مسلم، ومع هذا نقرأ ونسمع ما بين آونة وأخرى مجازر بشريّة تُقام للمسلمين، يُذبّحون فيها ذبح الأغنام أو البقر.

(١) ونحن اليوم - إزاء ما يحدث بينهم من اقتتال دامٍ مرير لا مبرر له، قلب العرس إلى مأتم - لا نملك إلا أن ندعو الله أن يجمع قلوبهم، ويحقن دماءهم، ويلهمهم الرشاد، ويقيهم شرور أنفسهم والكائدين من حولهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لا؛ فَإِنَّ البقر لا تذبح، بل تعبد هناك.

ومنهم طائفة لا تذبح الأغنام، ولا يذبحون شيئاً فيه روح، لا يذبحون دجاجة، بل لا يستخدمون شيئاً ممّا يبيد الحشرات.

دخلت بعض الفنادق هناك، وكنا نشكو من البعوض ولكنهم لا يسمحون بشيء يقتل البعوض؛ لأنّه ذو روح، الشيء المستباح هناك هو دماء المسلمين، كأنّ المسلمين أناس ليس لهم أرواح! هذا ما يحدث لإخوتنا من أهل الإسلام.

مليار من المسلمين، ولكنهم كغثاء السيل:

المسلمون في كلّ مكان مضطهدون، لماذا؟

ألأنّ المسلمين قلة في العدد؟!

لا، والله، لقد زادوا على المليار، على الألف مليون، تقدّر الإحصاءات المسلمين اليوم بألف وثمانين مليوناً (١٠٨٠) أو تزيد.

ولكن ما قيمة أعداد هي كثيرة كغثاء السيل كما سمّاها النبي ﷺ؟!

في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود، عن ثوبان رضي الله عنه: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». قال قائل: يا رسول الله، ومن قلة يومئذ؟ قال: «لا، بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، ولتعرفن - في أبو داود: وليقذفن الله - في قلوبكم الوهن». قال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حبُّ الدُّنيا وكراهية الموت»^(١).

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.



الأُمَّة في مرحلة الغناء والوَهْن النفسي:

نحن الآن للأسف في مرحلة الغنائية: «غناء كغناء السيل». أُمَّة بالملايين ولكنها كالغناء، والغناء: ما يحمله السيل من القش والورق والحطب والعيدان، أشياء تجمعها الخفة والسطحية وعدم التجانس وأنه لا هدف لها، السيل ليس له هدف، النَّهر له هدف ومجرى ومَصَبٌّ، ولكن السيل لا هدف له ولا مجرى.

الأُمَّة في هذه المرحلة «غناء كغناء السيل»، ولذلك طمع فيها من لا يدفع عن نفسه، غلبها مغَلَب، تجرَّأ عليها الجبان، تعزَّز عليها الذليل.

أرأيتم أذلَّ من اليهود؟ ﴿أَحْرَصَ النَّاسُ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]. الَّذِينَ ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١]. الذين عاشوا طويلاً في رحاب المسلمين وفي كنف الإسلام، يوم طردتهم الدُّنيا من شرق وغرب، لم يجدوا صدراً حنوناً إلا صدر الإسلام في دار الإسلام.

انقلب هؤلاء علينا، واحتلُّوا ديارنا، وأخرجوا أهلها من أرضهم وديارهم.

لَمْ هَذَا كُلُّهُ؟

إنَّه العامل النفسي، الوَهْن، حُبُّ الدُّنيا وكرهية الموت.

إنَّنا إذا أردنا أن نخرج من مرحلة الغناء إلى مرحلة التأسيس والبناء، فينبغي علينا أن نبني الإنسان، بناء الإنسان هو الحلُّ الَّذِي لا حلَّ غيره.

إنَّ المسلمين يشكون في كلِّ مكان، يشكون من التخلُّف، يشكون من التشتُّت والتفرُّق، يشكون من انهيار الأخلاق، يشكون من فساد السياسة والاقتصاد، يشكون من فساد الإدارة، يشكون ويشكون.

كلّما جلست في منتدى - صغير أو كبير - وجدت النَّاس يشكون، في مصر يشكون، في الخليج العربي يشكون، خارج العالم العربي يشكون. النَّاس هنا يشكون، يشكون من الغلاء، يشكون من سوء الحال، يشكون من الديون، يشكون من اضطراب الأمن، يشكون من ضياع الأخلاق، يشكون كذا وكذا.

أول العلاج بناء الإنسان:

ولكن ما علاج هذا كلّهُ؟ وما قيمة الشكوى بلا عمل؟

النَّاس يشكون ولا يتقدمون للعمل والبناء، ينبغي أن تقترن الشكوى بالعمل، بل أن ندع الشكوى ونبدأ العمل، وأوّل العمل: بناء الإنسان. الإنسان - بإذن الله - هو الذي يحيي البلد الميت، ويخضّر الحياة اليابسة، الإنسان هو الذي يصنع الحضارة، هو الذي ينشئ النهضة، هو الذي يقوم الأعوج، ويصلح الفاسد، بدون الإنسان لا يمكن أن يقوم بناء حضاري، لا يمكن أن تتقدم أُمَّة.

وضعنا بين الأمس واليوم:

نحن العرب والمسلمين صرنا اليوم في ذيل القافلة البشرية، كنّا في مطلع القافلة، في مقدمتها، في مأخذ الزّمام منها، قرونًا طويلة، قدنا الحضارة، كنّا أمام البشرية، أقمنا حضارة ربّانية، إنسانية، أخلاقية، عالميّة، اجتمع فيها العلم والإيمان، توازنت فيها الروحية والمادية، وتكامل فيها نور الوحي ونور العقل، كما التقى فيها الإبداع المادي والرُّقي الأخلاقي.



أقمنا حضارة متوازنة، حضارة وسطًا، لأُمَّة وسط، ذات منهج وسط. كانت الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة في العالم، كانت اللغة العربية هي لغة هذه الحضارة، كانت الجامعات الإسلامية هي موئل طلاب العلم من أوروبا وغيرها، كانت الكتب الإسلامية هي مراجع الدارسين في أنحاء الدُّنيا، كانت أسماء علماء المسلمين أجمع الأسماء في عالم العلم.

بلغنا من القوّة - في وقت من الأوقات - أن سمع عمر بن عبد العزيز بأسير مسلم أُمّين في بلاد الروم، فكتب إلى ملك الروم: أمّا بعد؛ فقد بلغني أنّك أهنّت مسلمًا كتب الله له الكرامة والعزّة، فإذا بلغك كتابي هذا فخلّ سبيله، وإلا غزوتك بجنود أولها عندك وآخرها عندي^(١). ولم يسع هذا الملك إلّا أن يطلق سراح الأسير المسلم.

بلغ مجدنا أن جلس هارون الرشيد يومًا، فرأى سحابة في السماء، فقال: أيّتها السحابة، شرّقي أو غربي، وأمطري حيث شئت، فسيأتي خراجك إلى بيت مال المسلمين^(٢).

إذا أمطرت في بلاد المسلمين جاءت الزكاة لبيت مال الزكاة، وإذا أمطرت في بلاد غير المسلمين جاء الخراج للمسلمين، كنّا سادة الدُّنيا يوم كنّا متمسكين بالإسلام!

والناظر في التاريخ الإسلامي، في الامتداد والانكماش، في المدّ والجزر، في النّصر والهزيمة، في القوّة والضعف، يجد أننا ننتصر

(١) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٤٣، ١٤٤، نشر مكتبة وهبة.

(٢) انظر: صبح الأعشى (٢٨٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

ونقوى، ونعتزُّ ونسود، ويعمُّنا الرخاء والازدهار، حين نقرب من الإسلام، ونضعف ونذلُّ، ونُهزم ونصبح مضغة في أفواه الأمم، يوم نبتعد عن الإسلام.

انظر أيام الراشدين، انظر أيام عمر بن عبد العزيز، انظر أيام الرشيد والمأمون، انظر أيام نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي، كلما وجدت اقتراباً من الإسلام الحقيقي، وجدت القوة والنهضة والازدهار والعزة والنصر.

حتّى إذا تركنا الإسلام تركنا الله تعالى ووكلنا إلى أنفسنا، وإذا وكل الله امرأً إلى نفسه فهيها أن يتحقّق له نصر، أو تتحقّق له سيادة. إذا أردنا حلّ مشكلاتنا، فلا حلّ لمشكلاتنا إلّا بالعودة إلى الإسلام، كلّ الإسلام.

ليس الإسلام هو الحدود:

ليس الإسلام أيُّها الإخوة، كما يتصور بعض الناس - ومنهم بعض الدعاة إلى الإسلام - محصوراً في إقامة الحدود، في أن تقطع يد السارق، أو تجلد السّكّير أو الزاني، أو تقيم الحد على المرتد.

لا، ليس هذا هو كلّ الإسلام، بل هذه الأشياء من أواخر ما نزل في الإسلام، معظم الحدود نزلت في سورة «المائدة»، وهي من أواخر ما نزل من القرآن.

إنّما قبل أن نقيم الحدود، نريد أن نربي الناس على الإسلام، نريد أن ننشئ الإنسان المسلم، نريد أن نزيل العوائق من طريق الإسلام، العوائق التي تحول بين الناس وبين الرجوع إلى الله تعالى.

نريد إعلامًا إسلاميًا، نريد تعليمًا إسلاميًا، نريد ثقافة إسلاميّة، نريد فنونًا إسلاميّة، نريد أسرة إسلاميّة، نريد تقاليد إسلاميّة، ثمّ نريد - بعد ذلك - قوانين إسلاميّة.

إنّ تطبيق الشريعة الإسلاميّة - الذي أصبح مطلبًا جماهيريًا في ديار الإسلام - لا يعني مجرد تغيير القوانين المستوردة بقوانين إسلاميّة، القوانين وحدها لا تصنع المجتمعات، ولا تحيي ضمير الإنسان، وخاصّة قانون العقوبات.

إنّما الذي يصنع الإنسان هو التربية المستمرة، هو التوجيه الدائم، يقوم عليه البيت، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، والإذاعة، والتلفاز، وكلّ أجهزة التوجيه والتثقيف والترفيه والإعلام والتعليم.

نريد الإنسان المؤمن:

إنّ حلّ مشكلاتنا إنّما يكمن في بناء الإنسان المؤمن، إذا بنيت هذا الإنسان المؤمن، فهو المفتاح الذي به يُفتح كلّ مُغلق، وبه يُعالج كلّ داء، وبه تنحلّ كلّ مشكلة.

هيهات أن يجد النّاس حلًّا لما يعانون، ما دام أولئك الذين نراهم في كلّ مكان عن يمين وشمال، من موتى الضمائر الذين لا يبالون ما أكلوا، من حلال كان أم من حرام، الذين لا يبالون أن يبنوا قصورًا ولو من جماجم البشر، وأن يزخرفوها بدماء خلق الله.

هؤلاء لا تصلح بهم دنيا، ولا ينهض بهم دين.

هؤلاء الذين يتاجرون في السموم، في المخدرات، من أجل أن يكسبوا أموالًا، ولو على حساب إخوانهم وأهلهم وجيرانهم، يريد كلّ منهم امتلاك ثروة طائلة، ولو قتل الألوّف والملايين من النّاس.

تجّار المخدّرات، تجّار الأغذية الفاسدة، تجّار الجنس، تجّار العملة، تجّار السوق السوداء، الذين يقبلون الرشوة، الذين يفسدون الحياة، كلُّ هؤلاء إنّما حدث منهم ما حدث لفقدان الإيمان، هذه الجمرة المتقدمة في الصدور قد انطفأت، الشعور برقابة الله تعالى لم يعد قائماً.

نريد الإنسان الذي يشعر برقابة الله عليه قبل رقابة الناس، الذي يقول ما قالته تلك الفتاة الصغيرة: إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإنَّ ربَّ أمير المؤمنين يرانا^(١).

الذي يقول ما قاله ذلك الراعي العبد المملوك لابن عمر بن الخطاب حينما جاع في طريقه إلى الحجّ، فوجد راعياً يرعى غنماً، فذهب إليه وقال له: يا هذا بعنا شاة من غنمك. فقال: يا صاحبي، إنّها ليست غنمي، أنا مملوك ولا أملك منها شيئاً - وهو لا يعرف ابن عمر بن الخطاب -، فأراد ابن عمر أن يختبره فقال له: خذ ثمنها وقل لسيدك: أكلها الذئب. فقال: يا هذا فأين الله؟! أي: إذا قلت هذا لسيدي الأصغر، فماذا أقول لسيدي الأكبر؟! إذا استطعت أن أكذب على المخلوق، فكيف لي أن أكذب على الخالق^(٢)؟!

عبد مملوك قال هذا لابن عمر؛ فسأل ابن عمر عن سيده، واشتراه منه وأعتقه، وقال له: أعتقتك هذه الكلمة في الدُّنيا من الرّق، وأرجو أن تعتقك في الآخرة من النّار.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٥٢/٧٠).

(٢) رواه الطبراني (٢٦٣/١٢). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٨٦٦): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن الحارث الحاطبي، وهو ثقة.

متى تكتمل فرحتنا بالعيد؟

يا أيُّها الإخوة، إنّ يوم العيد يوم فرحة وسرور، وكان بودّنا أن نفرح بعيدنا، ولكن آلام المسلمين تُدمي القلب، ولا تجعل الفرحة تغمر أفئدتنا كما ينبغي.

نحن نفرح حقًّا يوم تعلق كلمة الإسلام في دنيا النَّاس، يوم تحكّم شريعة الخالق دنيا الخلق، يوم تشرق أنوار السماء على ظلمات الأرض، يوم تكون كلمة الله هي العليا وكلمة أعدائه هي السفلى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴿[الرُّوم: ٤، ٥]﴾.

وقبل ذلك ستظلُّ الأعياد باهتة لا معنى لها؛ لأنَّ الأُمَّة لم تعد لها هويتها الحقيقية، سنظلُّ نردد قول الشاعر «محمود غنيم» رَحِمَهُ اللَّهُ في أحد الأعياد في قصيدة له:

قَالُوا: عَجَبْنَا، مَا لِشَعْرِكَ بَاكِيًا فِي الْعِيدِ؟ مَا هَذَا بِشَأْنٍ مُعِيدٍ!
مَا حِيلَةُ الْعُصْفُورِ قَصُّوا رِيشَهُ وَرَمَوْهُ فِي قَفْصٍ، وَقَالُوا: غَرْدِ^(١)؟!

نحن هذا العصفور المهيبض الجناح، المنتوف الريش، لا نستطيع أن نغرّد في الأعياد، حتّى نرى أُمَّتنا كما أراد الله لها: تتبوأ مكانتها تحت الشمس.

صحوة الشباب المسلم هي الأمل:

ولكن الذي يُعزِّينا، ويملاً قلوبنا بالثقة، وأفئدتنا بالأمل والرجاء، هو هذه «الصحوة الإسلامية» التي نراها في كلِّ مكان، صحوة أبناء الإسلام وخصوصًا من الشباب والشابات، هؤلاء الذين نهضوا بعد

(١) انظر: الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم (١٠٣/١)، نشر دار الغد العربي، ١٩٩٣م.

ركود، وتحركوا بعد جمود، واستيقظوا بعد رقود، وعرفوا أنّ الإسلام حقّ، فاستمسكوا بعراه، بالعروة الوثقى لا انفصام لها، تمسّكوا بالإسلام: عقيدة وشريعة، وأخلاقاً وحضارة، ورابطة وأخوة، ومنهاجاً شاملاً للحياة، تمسّكوا بالإسلام: عملاً به، وعملاً له، ودعوة إليه وجهاداً في سبيله.

هذا الشباب - كما قلت وأقول دائماً - هو أثنى ما في البلاد الإسلامية، وأنفس ما فيها.

إذا كان في البلاد الإسلامية: ذهب أسود يتمثل في النفط، أو ذهب أبيض يتمثل في القطن، أو ذهب أصفر، أو غير ذلك، فأغلى من الذهب وأنفس من الجواهر هو: هذا الشباب، هؤلاء الربّانيون، الصوّام القوّام، الذين رأيتهم في الشرق والغرب: توايين متطهرين، راكعين ساجدين، أمّرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، حافظين لحدود الله.

انظر إلى المساجد، من يعمرها؟

كان الذين يرتادون المساجد قديماً: الشيوخ الكبار، الذين أحيلوا على المعاش، الذين أكل الدهر عليهم وشرب، فأرادوا أن يختموا الحياة برجة إلى الله، كنتَ قلماً تجد شاباً!

رواد المساجد الآن معظمهم من «الشباب».

انظر مواسم الحج ومواسم العمرة: كان النَّاس قديماً يختمون حياتهم بالحجّ، إذا اقترب الإنسان من القبر قال: الحج هو تمام الأمر وختام العمر! الآن معظم الذين يزحمون مواسم الحج والعمرة من «الشباب».

«الشباب» الآن هو الذي يقاتل في أفغانستان، هو الذي يقاتل في الفلبين، هو الذي يعمل لإعلاء كلمة الإسلام، الذين ينادون بالشرعية الإسلامية هم «الشباب».

«الشباب» هم عماد الأمة، هم ذخيرة مستقبلها، هم الذين يصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].
إنَّ الصَّحوة الإسلامية هي أملنا، هي رجاؤنا، هي غدنا إن شاء الله.

الفقه المنشود لشباب الصحوة:

كلُّ ما نرجو من أبناء هذه الصحوة أن يحسنوا فقه الإسلام وفقه الواقع، أن يعرفوا أحكام الله في شرعه، وسُنن الله في خلقه، ألا يتعجلوا، ألا يقطعوا الثمرة قبل أوانها، ألا يستخدموا العنف في غير حاجة إليه.

العنف مرفوض:

لماذا يفكر بعض الشباب في العنف؟

إنَّما يستعمل العنف «اليأس» الذي لا يجد استجابة ولا تجاوبًا من النَّاس، ولكننا بحمد الله نجد الإسلام ينتشر وينتشر، والدعوة إليه تمتد وتمتد، والمقبلين عليه يزدون ويزيدون، يومًا بعد يوم.

المستقبل لنا، الشعوب معنا، الجماهير معنا، فلماذا نتحاور بالسلاح، ولا نتحاور بالكلمات؟!

إنَّ الذي يستخدم منطق القوَّة، هو الذي يعجز عن قوة المنطق. والدعاة إلى الإسلام معهم المنطق الذي لا يُغلب، والحجة التي لا تُدحض، والثور الذي لا يُطفأ.

نحن معنا الحقُّ الَّذي قامت به السماوات والأرض، معنا الله، معنا ملائكته، معنا المؤمنون، معنا الشعوب.

الشعوب بفطرتها مع الإسلام، فلماذا نستعجل؟
والله إِنَّ المستقبل مستقبل الإسلام، لو أَحَسَّنَا الصبر، وَأَحَسَّنَا العمل، وصبرنا على طول الطريق، فس نجد هذه الأُمَّة معنا.

المستقبل للإسلام في مصر:

إذا كان هذا صادقاً في كلِّ الشعوب الإسلاميَّة، فهو أَصْدَق ما يكون في بلدنا هذا، في مصر، مصر مسلمة بفطرتها، بتاريخها، لا يحركها شيء كما يحركها الإسلام، لا ينفذ إلى قلوبها شيء كما تنفذ إليها كلمة الإيمان، لا تقاد بشيء كما يقودها المصحف.

حينما نادى المنادون بشعارات القومية والاشتراكية والماركسية وغيرها، هل وجدوا استجابة؟ هل وجدوا من يجيبهم؟ هل انتصروا في معركة؟
- لا.

ولكن يوم رفع شعار «الله أكبر» ماذا صنعت هذه الأُمَّة؟ ماذا صنع هذا الشعب؟ صنعوا العجائب!
- «الله أكبر» هي التي تقود هذه الأُمَّة.

فيا شباب الإسلام، يا شباب الصحوة، يا أبناء الدعوة:

افقهوا هذه جيداً، تعاملوا مع هذه الأُمَّة برفق: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ارفقوا، ف«إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»^(١)، «وما دخل الرفق في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»^(٢).

عليكم بالاعتدال، بالوسطية؛ فهي إحدى خصائص الإسلام الكبرى.

ابتعدوا عن الإفراط وعن التفريط، عن الغلو وعن التقصير، والزموا المنهج الوسط، الذي سمّاه الله تعالى: الصراط المستقيم، وعلمنا أن ندعو إليه دائماً في كل يوم في صلواتنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦، ٧].

إنَّ مصر تظلُّ في الطليعة من ديار الإسلام، ويجب أن تظلَّ في الطليعة، ففيها الحركة الإسلامية الأم، وفيها «الأزهر» العتيد، وفيها التدين الأصيل، وإننا لواثقون أنها ستقود بإذن الله مسيرة الإسلام الصحيح، الإسلام العملي، الإسلام الواقعي، الإسلام الوسطي، وإننا لمنتظرون هذا اليوم الذي تسود فيه أحكام الله، وتعلو فيه شريعة الله، وتجتمع الأمة على كلمة الله.

لا ندعو إلى عصبية ولا طائفية:

إننا حين ندعو إلى الإسلام، لا ندعو إلى عصبية، ولا إلى طائفية، بل ندعو إلى المثل العليا، إلى القيم الرفيعة، التي جاءت بها النبوات جميعاً، جاء بها موسى وعيسى والنبيون من قبل، ولن يحكم الإنسان المسيحي شريعة منبثقة من دين، خير له من أن يحكمه قانون لا مكان للدين فيه.

إنَّ الإسلام هو دين الإنسانية كلّها، فحين ندعو إليه، ندعو إلى خير

(١) سبق تخريجه ص ٢٠٤.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٠٤.

وطننا، وخير أمتنا العربية، وخير أمتنا الإسلامية، وخير الإنسانية كلها،
وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

يا أبناء الصحوحة الإسلامية:

هذا يومكم، يوم العيد، وهذا غدكم المأمول، أنتم - إن شاء الله -
طلائع النصر، طلائع البعث، أنتم المرجون للغد، المأمولون للمستقبل،
فكونوا عند حسن الظن بكم والثقة فيكم، أهلاً للعمل والدعوة والجهاد
في سبيل الإسلام، حتّى يُعلي الله كلمته، وينجز وعده: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ
اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ
الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ [الرُّوم: ٦، ٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

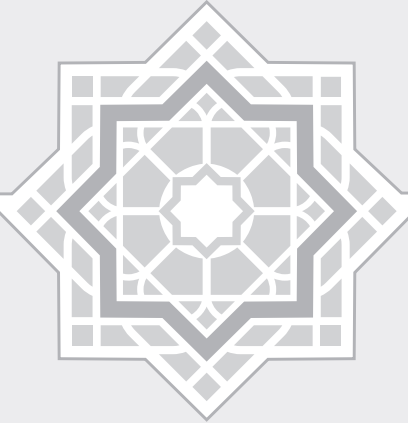
وصلِّ اللهم على سيّدنا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، وسلّم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وتقبّل الله منّا ومنكم، وكلُّ
عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.







فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١١١، ٩٦
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٣٩١
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٧	٣٩١
سورة البقرة		
﴿وَمَا رَزَقْنَهُمْ يُفْقُونَ﴾	٣	٨١
﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾	٣٧	١٧٣، ١٦٦
﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾	٦١	٣٨١
﴿قَالُوا أَنْتَخَذْنَا هُزُؤًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾	٦٧	٢٨
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	٧٤	١٩٧
﴿أَحْرَصَ النَّاسُ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾	٩٦	٣٨١
﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾	١٤٠	٢٢٨، ١٧٥
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	١٤٣	٢٩٥، ٩٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	١٥٥ ، ١٥٦	٢٣٤
﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ ... فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾	١٧٨	٢٢٨ ، ١٢٠
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٩	١٢٠
﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	١٨٣	٢٢٨
﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	١٨٥	٣٧٤
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾	١٨٧	١٨٧
﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾	١٩٥	٣٠٤
﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾	٢٠٠	٢٠٨
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾	٢٠١	١٠٩ ، ٧٥ ، ٧٢ ، ٢٢٢ ، ٢٠٨
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	٢١٤	٢٣٣ ، ٢٣٢
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْآقَرِينَ﴾	٢١٥	٨٤
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾	٢١٦	٢٢٨
﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾	٢١٩	٨١
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	١٦٧ ، ١٥٤
﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾	٢٢٨	٢٧٣
﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَشَاوَرٍ﴾	٢٣٣	١٨٧
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً﴾	٢٦٨	٨٧
﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾	٢٧٢	٣٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾	٢٨٢	١٧٥
﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾	٢٨٣	١٧٥
سورة آل عمران		
﴿رَبَّنَا لَا تُغِخْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾	٨	٢٠٨، ٢٢٢
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	٩٨
﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٨٥	١١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	١٠٢	٣٦٩، ٣٣٢
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾	١٠٥	٣٢١
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٢٩٥
﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾	١٣٣	٢٢٩
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ﴾	١٣٤	٢٣٠، ٢٢٩
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾	١٣٥	٢٣٠، ٢٢٩
﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾	١٣٦	٢٣٠، ٢٢٤
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا﴾	١٤٧	٢٥، ٤١، ٥٧، ٧٥، ٩٣، ١١٠، ١٣٢، ١٥٢، ١٧١، ١٨٩، ٢٠٥، ٢٢٢، ٢٣٨، ٢٥٩، ٢٨٠، ٣٠١، ٣٢٢، ٣٤٠، ٣٧٠، ٣٩٢
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾	١٥١	١٠٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾	١٥٩	٣١٥
﴿إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآتٍ﴾	١٩٠	١٩١، ٤٨
﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾	١٩١	١٩١، ٦٤
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾	١٩٢	٦٤
﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾	١٩٣	٢٠٨
﴿رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	١٩٤	٢٠٨
﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ﴾	١٩٥	٢٧٢
سورة النساء		
﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ﴾	١٧	١٦٥
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	٢٩	٣٠٤، ١٢٤
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	٣٤	٢٧١، ٢٦٩، ٢١٢
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾	٣٦	١٢٨، ٨٩
﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾	٣٧	٨٩
﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	٣٨	٨٩
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا﴾	٤٠	١٦١
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾	٦٥	٢٢٨
﴿قُلْ مَنْعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾	٧٧	٢٢٥
﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾	٧٨	٢٢٥
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	٨٢	١٩٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَإِنْ أَعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْنِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامُ﴾	٩٠	١١٣
﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾	٩٢	١١٤، ١٢١
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾	٩٣	١١٥، ١١٦
﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا﴾	١٤٠	١٧٩
سورة المائدة		
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	٣	١١
﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾	٥	٢٦٦
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَاؤُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا﴾	٨	١٧٥
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾	٢٧	١١٣
﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ﴾	٢٨	١١٣، ١١٤
﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾	٢٩	١١٣
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٣٠	١١٣
﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا﴾	٣٢	١١٤، ٣١٧
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	١٤٣
﴿أَذِلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	٥٤	٢٢
﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ﴾	٨٢	٢٦٧، ٣٢٠
﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾	٨٣	١٩٤
﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾	٨٤	١٩٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾	٨٢	١٠٣
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ تَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾	١٥١	٢٨٧
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾	١٥٢	١٧٥
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾	١٥٣	٣٦٠، ٣٦١
﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	١٦٤	٣١٩
سورة الأعراف		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾	١٠، ١١	٢٨٧
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾	١٠	٢٨٧
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٢٣	١٦٦، ١٧٣، ٢٢٩
﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾	٣١	٣٠٩
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	١٠٣، ١٧٦
﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٥٩	٩٧
﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾	٩٩	٧٣
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾	١٤٦	١٩٦
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ﴾	١٥٧	٣٠٩
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾	١٧٩	٧٠، ١٩٦
﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾	١٨٥	١٩١
﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾	١٩٩	٣٣، ٨١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنفال		
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾	٢	١٩٤
﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾	٣٠	٣٣٥
﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾	٣٨	١٥٥
﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾	٦٢	٣٦٨
﴿ وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾	٦٣	٣٦٨
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ ﴾	٧٣	٣٦٩ ، ٣٦٨
سورة التوبة		
﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾	٢١	٢٢٥
﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾	٢٨	٢٨٣
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾	٣١	٩٩
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾	٣٣	٣٦٧ ، ٣٣٥
﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾	٤١	٣٨
﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾	٧١	٢٧٢
﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾	٧٢	٢٢٥
﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾	١١١	٣٨
﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾	١١٨	١٥٨ ، ١٥٧
﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا ﴾	١٢٤	١٩٤
﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ﴾	١٢٥	١٩٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يونس		
﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾	١٨	٩٨
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	٢٢٦
﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾	٣١	٢٨٨ ، ٩٧
﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾	٥٨	٣٤٢
﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	٨٥	٣٠٠
﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	٨٦	٣٠٠
﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾	١٠١	١٩١
سورة هود		
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾	٦	٢٨٦
﴿إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	١٨	١٩٨
﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ﴾	٨٢	٢٩٢
﴿مُسْوَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾	٨٣	٢٩٢
﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	٨٨	٩٦
﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ﴾	١٠٨	٢٢٥
﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	١٢٣	٩٦
سورة يوسف		
﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي﴾	٢٣	٢٣٤
﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾	٣٣	٢٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يَصْدَحِي السَّجَنُ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	٣٩	١٠٧
﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾	٧٨	٣٢٠ ، ٣١٩
﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَا لَنَا مِنْ شَيْءٍ نَعْلَمُ وَنَلْمُ إِلَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا بِلَاغٌ إِلَى إِلَهِ رَبِّنَا نَتْلُو مِنْهُ الْبَيِّنَاتِ الْبَيِّنَاتِ الْبَيِّنَاتِ﴾	٧٩	٣٢٠ ، ٣١٩
﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾	٨٧	١٢٣ ، ٧٤
﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾	١٠٣	٣٢١
سورة الرعد		
﴿فَسَأَلَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾	١٧	١٩٣
﴿وَالْمَلَكُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾	٢٣	٢٢٧
﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾	٢٤	٢٣٣ ، ٢٢٧
سورة إبراهيم		
﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُبُّكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	٧	٢٨٠
﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾	٤٠	٢٠٩
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾	٤١	٢٠٩
﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾	٤٩	٦٩
﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾	٥٠	٦٩
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٢٥١
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾	٢١	٢٨٧
﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾	٤٦	٢٢٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾	٥٠، ٤٩	٧٣
﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾	٥٦	١٢٣
سورة النحل		
﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٨	٢٨٥
﴿الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾	٣٢	٢٣٠
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	٣٦	٩٧
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٦١	١٧٦، ١٠٣
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾	٧٢	١٤٩
﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾	٧٧	٦٢
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾	٨٩	٣٦٧، ٢٧٦، ١٩٢
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى﴾	٩٠	٢٢٢
﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾	١٢٥	٣٩١، ٢٤٠
سورة الإسراء		
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾	١	١٠١
﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾	١٩	٢٢٧
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	٢٣	٢١٨، ١٢٨
﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾	٢٤	٢١٨
﴿وَعَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾	٢٦	٨٣، ٧٩
﴿وَمَا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ أَبْغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾	٢٨، ٢٧	٧٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾	٢٧	٧٩
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴾	٢٩	٧٩
﴿ إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾	٣١	٢٨٧
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾	٣٢	١٣٤
﴿ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	١٣٤
﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا ﴾	٣٣	١٢٠
﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾	٣٧	١٥
﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا ﴾	٤٥	١٩٥
﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾	٤٦	١٩٥
﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾	٦٥	١٣
﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٨٢	١٩٤
﴿ قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ﴾	٨٨	١٩٢
﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا ﴾	١٠٧ - ١٠٩	١٩٥
سورة الكهف		
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾	١	١٠١
﴿ رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾	١٠	٢٠٨
﴿ إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ﴾	١٣	٣٨٩
﴿ وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾	٢٨	١٩٦
﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾	٢٩	٦٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة مريم		
﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾	٥٥	٢١٥
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا	٥٨	١٩٦
﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يُلْقَوْنَ غِيًّا﴾	٥٩	١٩٦
﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾	٦٣	٢٢٨
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٦٤	٢٦٢
﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾	٦٥	٢٣٣
﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾	٧١	٦١
﴿ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾	٧٢	٦١
سورة طه		
﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾	٥٥	١٥
﴿وَلِيَّ لُغْفَارٍ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾	٨٢	١٦٠
﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾	١١٥	١٦٦
﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ثُمَّ اجْنَبْهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾	١٢٢ ، ١٢١	١٧٣ ، ١٦٥
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعُقْبَةُ لِلتَّقَوَى﴾	١٣٢	٢١٧
سورة الأنبياء		
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾	١٨	٢٧٧
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	٢٥	٩٧
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَكُ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾	٧٣	٢١٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	٨٧	٢٢٩
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعْبًا وَرَهْبًا﴾	٩٠	٧٣
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	٣٩٢ ، ٢٥٥
سورة الحج		
﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾	٣٠	١٧٤
﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾	٣١	١٧٤ ، ١٠٤
سورة المؤمنون		
﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾	٢	٢٩
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾	٣	١٨٠ ، ٢٩
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾	٥	١٤٧
﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾	٦	١٤٧
﴿أَخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾	١٠٨	٦٤
سورة النور		
﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾	٧	١٩٨
﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾	٣٠	١٣٥
﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾	٣١	٢٢ ، ١٣٥ ، ١٥٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ١٦٧ ، ٣٢٩ ، ٣١٦ ، ٢٧٥
﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾	٣٢	٢٩٣ ، ١٥٠ ، ١٤١
﴿وَلْيَسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	٣٣	١٣٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾	٣٦	٧٧
﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾	٣٧	٧٧
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾	٥١	٢٥١، ٢٢٨
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾	١	١٠١
﴿يَرْبِّ إِنَّا قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾	٣٠	٢٠١
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾	٥٤	٢٦٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾	٦٠	١٣
﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾	٦٢	٦٦
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾	٦٣	٤، ١٢، ١٤، ١٦، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٤٢، ٤٣، ٥٩، ٩٤، ١٨١، ٢٢٣
﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾	٦٤	٤، ١٢، ٤٢، ٤٣، ٤٨، ٥٤، ٥٩، ٦٠، ٩٤، ٢٢٣
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾	٦٥	٤، ١٢، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٧٥، ٩٤، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٦
﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾	٦٦	٤، ١٢، ٥٩، ٦٠، ٧٥، ٩٤، ٢٢٣، ٢٢٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾	٦٧	٤١٢، ٧٧، ٨٧، ٩١، ٩٥، ١٢٧، ٢٢٣
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾	٦٨	٤١٢، ٩٥، ٩٦، ١٠٥، ١١١، ١١٢، ١٣٤، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٩، ١٧٢، ٢٢٣
﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾	٦٩	٤١٢، ١٣٤، ١٥٣، ١٥٤، ٢٢٣
﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾	٧٠	٤١٢، ١٣٤، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٧٣، ٢٢٣
﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾	٧١	٤١٢، ١٥٤، ١٧٣، ٢٢٣
﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾	٧٢	٤١٢، ١٧٤، ١٧٦، ١٨١، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٤، ٢٢٣
﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾	٧٣	٤١٢، ١٩٠، ٢٢٣
﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾	٧٤	٤١٢، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٨
﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَلِلْقَوْمِ فِيهَا نَجَاتٌ وَسَلَامٌ﴾	٧٥	٤١٢، ٩٤، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٣، ٢٣٧
﴿خَلَدِيكَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾	٧٦	٤١٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الشعراء		
﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾	١٦٥	١٤٦
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٤	٦٧
سورة النمل		
﴿إِذَا دَخَلُوا قريةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾	٣٤	٣٤٦
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾	٧٩	٣٦٨
سورة القصص		
﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾	٢٥	٢٢
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾	٣٨	٩٨
﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصُرُونَ﴾	٤١	٢٢٠
﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾	٥٥	١٨٢، ١٨١، ٢٨، ٢٧
﴿بِهِ، وَبِدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٨١	١٨
سورة العنكبوت		
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾	٤٥	٩٣، ٧٦، ٥٨، ٣٠١، ٢٨١، ٢٥٩، ٣٤٠، ٣٢٢
﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾	٤٦	٢٤١
﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾	٥١	١٩٣
سورة الروم		
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾	٤ - ٦	٣٨٧، ٣٣٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٦	٣٩٢
﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾	٧	٣٩٢
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾	٢١	٢٩٠، ١٨٧، ١٤٩
سورة لقمان		
﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَلَهُ، فِي عَامَيْنِ﴾	١٤	١٢٩، ١٢٨
﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾	١٥	١٣١
﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ﴾	١٧	٢٣٢
﴿وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	١٨	١٦، ١٥
﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصَوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾	١٩	١٦، ١٥
﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾	٣٤	٣٣٩
سورة السجدة		
﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾	٨، ٧	١٩
﴿نَتَجَا فِي جُنبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	١٦	٧٣، ٤٤
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾	٢٤	٢١٩
سورة الأحزاب		
﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	١١	٢٣٢
﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾	٢٣	٢٥٥
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾	٣٦	٢٥١، ٢٢٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾	٥٦	٢٥، ٤١، ٥٨، ٧٦، ١١٠، ١٣٢، ١٥٢، ١٧١، ١٨٩، ٢٠٦، ٢٢٢، ٢٣٨، ٢٥٩، ٢٨١، ٣٠١، ٣٤٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ﴾	٥٩	٢٤٣
سورة سبأ		
﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	٢٤	٢٤٠
﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٢٥	٢٤١
﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	٣٩	٤٠، ٨٧
سورة فاطر		
﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾	٢	٢٨٥
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	١٠	١٠٣
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾	٣٢	٢٠٣، ٢٠٤
سورة يس		
﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾	٥٨	٢٢٤
سورة الصافات		
﴿اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٥، ٩٦	١٠٣
﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾	١٠٢ - ١٠٩	٢٧٩
سورة ص		
﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	٢٩	١٩٦
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾	٨٢، ٨٣	١٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزمر		
﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾	٣	٩٧
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ﴾	٩	١٦٦ ، ٧٣ ، ٤٣
﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ﴾	١٨	٣٦ ، ٢٢
﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَانِي ﴾	٢٣	١٩٢
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾	٢٩	١٠٨
﴿ وَلَٰئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾	٣٨	٩٧
﴿ قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ اسْرِفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾	٥٣	١٧٣ ، ١٦٣
﴿ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾	٧٣	٢٣٠
سورة خافر		
﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴾	٣	٢٣٦ ، ٧٣ ، ٢٣
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾	٦٠	٩٦
سورة فصلت		
﴿ وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِيلِينَ ﴾	١٠	٢٨٧
﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾	١١	٢٨٧
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	٣٦٩ ، ٢٩٩
﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	٣٤	٣١ ، ٣٠
﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾	٤٤	١٩٤
سورة الشورى		
﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ﴾	٢٧	٢٨٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الزخرف		
﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	٤٣	٢٩٩، ٣٦٨
﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ ﴾	٥٤	٩٨
سورة الدخان		
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾	٤، ٣	٢٣٧
﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ * طَعَامُ الْآثِمِ ﴾	٤٣ - ٤٧	٦٩
سورة الأحقاف		
﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾	١٥	١٢٩
﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِبَاقَاتٍ مِّنْ أَعْمَالِهِمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	١٩	٢٠٥
﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ﴾	٢٩	١٩٣
﴿ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا ﴾	٣٠	١٩٣
سورة محمد		
﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾	١٦	١٩٥
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾	٢٤	١٩٦
﴿ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَصْعَانَكُمْ ﴾	٣٧	٨١
سورة الفتح		
﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾	٢٩	٣٥٩
سورة ق		
﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾	١٧، ١٨	١٨٤
﴿ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾	٣٧	١٩٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الذاريات		
﴿إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾	١٥ - ١٨	٤٥
﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَإِلَاسْتَحَارَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	١٧ ، ١٨	٦٠
﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٢٠	١٩١
﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢١	١٩١
﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾	٢٢	٢٨٦
﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنتُمْ نَاطِقُونَ﴾	٢٣	٢٨٦
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٨٦ ، ٧٠
﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعَمُونَ﴾	٥٧	٢٨٦
﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	٥٨	٢٨٦
سورة النجم		
﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾	١٠	١٠١
﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾	٣٦ - ٣٨	٣١٩
سورة القمر		
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ﴾	١٧	١٩٣
سورة الرحمن		
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾	٦٠	٢٨٠
سورة الواقعة		
﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾	٢٥ ، ٢٦	٢٢٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ فِي سُمُورٍ وَحَمِيرٍ ﴿	٤١ - ٤٤	٦٩
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتَاطُ الْضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ﴾ لَا كُفُونَ مِن سَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿	٥١ - ٥٦	٦٩
سورة الحديد		
﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾	٧	٧٨
﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾	٢٠	٧٣
﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٢١	٢٢٧
سورة الحشر		
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقْ شُحَّ نَفْسِهِ﴾	٩	٨٢، ٨٥
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	١٠	٢٥، ٥٧، ٧٥، ١٠٩، ١٣٢، ١٥٢، ١٧١، ١٨٩، ٢٠٦، ٢٥٩، ٣٢٢، ٣٤٠، ٣٧١، ٣٩٢
﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾	١٤	٣٥٩، ٣٦٠
﴿لَوْ أَنزَلْنَاهَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾	٢١	١٩٧
سورة الممتحنة		
﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِّن دِينِكُمْ﴾	٨	٢٦٥، ٢٦٦
﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِّن دِينِكُمْ﴾	٨	٢٦٥، ٢٦٦
سورة الصف		
﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾	٣	١٩٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُنِينَ مَرَّصُونَ﴾	٤	٣٦٨، ٣٦٠
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾	٩	٣٦٧، ٣٣٥
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨	١٠٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾	٩	٧٨
سورة الطلاق		
﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾	٧	١٥١
سورة التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	٦	٢١٦، ٦٠، ٥٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾	٨	١٥٩، ٦٧
سورة المملك		
﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١	٢٣
﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾	٢	٢٣
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	٢٢٨
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾	١٥	٢٨٦
سورة الحاقة		
﴿خُذُوهُ فَعْلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾	٣٠ - ٣٢	٦٩
سورة المعارج		
﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	٢٤، ٢٥	٣٤٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾	٢٩	١٤٧
﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾	٣٠	١٤٧
﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾	٣٣	١٧٦
سورة الجن		
﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾	٢، ١	١٩٣
سورة المزمل		
﴿وَمَا نَقَمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا﴾	٢٠	٤٠
سورة القيامة		
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾	٢٣، ٢٢	٢٢٦
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾	٢	٢٣٤
﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٨	٨٢
﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾	٩	٨٢
﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾	١٠	٨٢
﴿وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	١٢	٢٢٧
سورة النازعات		
﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾	٢٤	٩٨
سورة الانفطار		
﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾	٦ - ٨	٣٠٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المطففين		
﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	١٤	١٦٤
﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾	١٥	٢٢٦، ٦٥
﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنْظَرُونَ ﴾	٢٢، ٢٣	٢٢٦
سورة البلد		
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾	٤	٢٣٤
﴿ فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ﴾ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴾ ﴿ فَكُ رَقَبَةً ﴾	١١ - ١٨	٣٧٦
سورة الضحى		
﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	١١	٨٢
سورة الزلزلة		
﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾	٧	١٩٩، ١٦١
﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾	٨	١٩٩
سورة القارعة		
﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴾ ﴿ نَارُ حَامِيَةٍ ﴾	١٠، ١١	١٨٣، ٦١
سورة العصر		
﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	١ - ٣	١٩٩
﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾	٣	٢٣٤







فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



الحديث	رقم الصفحة
أ	
آمُرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ	١٨٧
أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟	١٢٠
اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ	٦٧
اتْلُوا الْقُرْآنَ وَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا	٢٠٠
أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ نَدًّا؟ قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ	١٠١
أَحِبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَدُومَهَا وَإِنْ قَلَّ	٤٩
أَحِبُّ الصَّلَاةَ إِلَى اللَّهِ صَلَاةَ دَاوُدَ، وَأَحِبُّ الصِّيَامَ إِلَى اللَّهِ صِيَامَ دَاوُدَ	٥٠
إِذَا أَتَاكُمْ مِنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فزَوِّجُوهُ، إِنْ لَا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ	١٥٠
إِذَا جَمَعَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلَائِقَ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ أَهْلُ الْفَضْلِ؟	٣٠
إِذَا زَنِى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ كَانِ عَلَيْهِ كَالظِّلَّةِ	١٣٦
إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنْتَ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ	١٠٦، ٩٦
إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا	١٤٥
إِذَا ظَهَرَ الزِّنَى وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحْلَوْا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ	١٤٣
إِذَا فَعَلْتَ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا الْبَلَاءُ	١٣١، ١٣٠، ١٢٨

رقم الصفحة	الحديث
٢٢١	إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول
٢١٣	أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلبًا شاكراً، ولسانًا ذاكراً
١٤٧	استحيوا؛ فإن الله لا يستحيي من الحق، لا تأتوا النساء في أدبارهنَّ
٥٢	استعينوا بطعام السَّحَر على صيام النَّهار
١٤٤	اضْمَنُوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدَّثتم
٣٧٤	أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم
٨٣	أفضل دينار يُنفقه الرجل: دينار يُنفقه على عياله، ودينار يُنفقه على فرسه
٨٤	أفضل الصدقة: الصدقة على ذي الرِّحم الكاشح
٥٠	أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل
٤٨	أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً
٤٨	أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد نزلت عليَّ الليلة آية
١٩٩	أفلح الرُّويجل، أفلح الرُّويجل
٥٠، ٥	أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر
٤٣	أقرب ما يكون العبد من ربه تعالى وهو ساجد، فأكثروا الدعاء
١٩٧	اقروءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه
١٧٤، ١٢٨	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً. قلنا: بلى، يا رسول الله. قال: الإِشراك بالله
١٢٤	الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، وَالَّذِي يَطْعَنُ نَفْسَهُ يَطْعَنُ نَفْسَهُ
٨٢	ألك مال؟ قال: نعم. قال: أيُّ المالِ عندك؟ قال: من كلِّ المالِ آتاني الله
٨٠	اللهمَّ أسألك خَشْيَتَكَ في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الإخلاص
٢٠٩	اللهمَّ أضلِح لي ديني الَّذي هو عصمة أمري، وأضلِح لي دنياي
٥١	اللهمَّ بارِكْ لأمتي في بكورها



رقم الصفحة	الحديث
٣٣	أما إِنَّ مَلَكًا بينكما يذبُّ عنك، كلَّما يشتمك هذا. قال له: بل أنت وأنت أحقُّ به
١٢٨	أُمُّكَ. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أُمُّكَ. قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أبوك
٥٠	أَنَّ اللَّهَ ﷻ ينزل إلى عبادِهِ ويتجلى عليهم في الثلث الأخير من الليل
١٦٦	إِنَّ اللَّهَ تعالى لما لعن إبليس سألَهُ النظرةَ فأنظره إلى يوم القيامة
١٧٣	إِنَّ اللَّهَ تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النَّهار
١٢٩	إِنَّ اللَّهَ تعالى يوصيكم بأُمَّهَاتِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ تعالى يوصيكم بأُمَّهَاتِكُمْ
١٢٨	إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عليكم عقوق الأمَّهات، ووَاد البنات
٢١٧	إِنَّ اللَّهَ سائلٌ كلَّ راع عما استرعاه، حفظ أم ضيَّع
٣٩١، ٢٠٤	إِنَّ اللَّهَ يحبُّ الرِّفق في الأمر كله
١٦٥	إِنَّ اللَّهَ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغْرِغْ
٢٩٦، ١٤٧	أَنْ تجعلَ لله نِدًّا وهو خَلَقَكَ. قلتُ له: إِنَّ ذلك لعظيم! قال: قلتُ: ثُمَّ أَيُّ؟
٢٠٤	إِنَّ الرِّفق لا يكون في شيء إلَّا زانه، ولا يُنزَع من شيء إلَّا شانه
١٩٩	انصرف الرجل وهو فقيه
٣٧٦	إِنَّمَا بُعِثت لأتمم مكارم الأخلاق
١٧٧	إِنَّمَا مثل المجلس الصالح، والمجلس السوء
٢٧٢	إِنَّمَا النِّساء شقائق الرجال
١٥٧	إِنِّي والجنَّ والإنس في نَبأ عظيم، أخلُقُ ويُعبد غيري
١١٧	أَوَّل ما يُقضى بين النَّاس يوم القيامة في الدماء
٣١١	إياكم ومحقرات الذنوب؛ فَإِنَّمَا مثل محقرات الذنوب
٣١١، ١٦٥	إَيَّاكُمْ ومُحَقَّرَاتِ الذُّنوب؛ فَإِنَّهِنَّ يجتمعن على الرَّجلِ حتَّى يُهْلِكَنَّهُ
٥٥	أيها النَّاس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام

رقم الصفحة	الحديث
ب	
١٣١	بُرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ
٨٤	برئ من الشَّحِّ من أدَّى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في النائبة
٩٩	بلى؛ إنَّهم حرَّموا عليهم الحلال، وأحلُّوا لهم الحرام فاتَّبِعُوهم
١٨	بينما رجلٌ ممَّن كان قبلكم يتبختر، يمشي في بُرْدِيهِ، قد أعجبته نفسه
٢١	بينما نحن جلوس مع النَّبي ﷺ في المسجد، دخل رجل على جمل
ت	
١٦٦	التائب من الذنب كمن لا ذنب له
١٠٦، ١٣	تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ. وزاد في رواية: وَعَبْدُ الْقَطِيفَةِ
٢١٤	تُنكح المرأة لأربع: لِمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا
ث	
٢٣١	ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والدِّيُّوث، ورَجُلَةُ النساء
١٤٨	ثلاثة لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يوم القيامة، ولا يُزَكِّيهِمُ، ولا ينظر إليهم
٢١٤	ثلاثة من الفواقِر. أي: من المصائب التي تكسر فقار الظهر
ج	
٣٩	جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستتكم
ح	
٢٥٠، ١٤٤	حتى لو دخلوا جُحر ضبَّ تبعتموهم
١٥٦	الحبُّ عَرَفَةٌ
٢٢٧	حُقَّتْ الجنة بالمكاره، وحُقَّتْ النَّارُ بالشهوات



الحديث	رقم الصفحة
خ	
خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي أفًا قطُّ	٣٥
الخمير لعن معها عشرة	٣١٢
خير نساء ركن الإبل. أي: من نساء العرب صالح نساء قريش	٢١٢
خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي	١٨٥
د	
دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها	٢٦٨ ، ١٢٦
دع ما يريبك إلى ما لا يريبك	٢١١
الدعاء منُّ العبادة	٩٥
الدعاء هو العبادة	٩٥
دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها، قذفوه فيها	٢٢٠
الدنيا متاعٌ، وخير متاعها المرأة الصالحة	٢١٢
ذ	
ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه	٥١
ر	
رجل أم قومًا وهم له كارهون	٣١٧
رَحِمَ اللهُ رجلاً قام من الليل فصلَّى، وأيقظ امرأته	٥٦
ز	
زَيَّنُوا أعيادكم بالكبير	٣٧٣
س	
سباب المسلم فسوق، وقتاله كُفْرٌ	١١٨

رقم الصفحة	الحديث
٥	سَدُّوا وَقَارِبُوا، وَاَعْلَمُوا أَنْ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ
١٠٥	السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ
ش	
١٨٦	شَاوَرُ أُمِّ سَلَمَةَ فِي الْحَدِيثِ وَأَخَذَ بِرَأْيِهَا
ص	
٨٤	الْصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ
٢٣١	صَنَفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا
٣٤٣	الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ
٢٧٨	صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ
ع	
٤٤	عَجِبَ رَبُّنَا تَعَالَى مِنْ رَجُلَيْنِ: رَجُلٌ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ
١٧٤	عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ
٥٤	عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ
غ	
٣٨١	غُثَاءُ كَغُثَاءِ السَّيْلِ
ف	
٢٨٩	فَاذْهَبِي حَتَّى تَلْدِي، اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطَمِيهِ.
١٢٦	فَإِنَّ امْرَأَةً دَخَلَتْ النَّارَ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا
٦٤	فَإِنَّهَا فَضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جِزَاءً
٥٢	فَحَلُّوا عُقْدَ الشَّيْطَانِ وَلَوْ بِرَكَعَتَيْنِ



رقم الصفحة	الحديث
١٣٦	فحينما يزني ينخلع عنه هذا السربال، ويكون عليه كالظُلَّة
٣٧٤	فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير
٣٧٤	فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرفث
٣٧٤	فرضها صاعاً من طعام، طُهرة للصائم من اللغو والرفث، وطُعمة للمساكين
٣٧٦	فساد ذات البين هي الحالقة
٢٦٨	فشكر الله له فغفر له. فقال الصحابة: يا رسول الله، إنَّ لنا في البهائم أجراً؟
١٧٨	فلعن في الخمر عشرة
٢١١، ١٧٠	فمن اتَّقَى الشُّبهات استبرأ لدينه وعِرضه
٥٥	في الجنة عُرفة يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها
٥٧، ٩٢، ١٠٩، ٣٠٠	فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي، يسأل الله شيئاً إلاَّ أعطاه إياه
ق	
١٦٣	قال الله: يا ابن آدم، إنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك
٢٣١	القتات (النَّمَام) لا يدخل الجنة
١٢٣	قصَّة المرأة الغامديَّة
٦٨، ٦٣	قولوا: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من عذاب جهنَّم، وأعوذ بك من عذاب القبر
ك	
٢٠٢	كان خُلِّقه القرآن
٢٢	كان في بيته في مَهْنَة أهله، يُرَقَّع ثوبه، ويخْصِف نعله
١٢٤	كان فيمن كان قبلكم رجلٌ به جرح، فجَزَع، فأخذ سكيناً فحَزَّ بها يده
١٦٧	كان الكُفْل من بني إسرائيل، وكان لا يتورَّعُ من ذنبِ عمله، فأَتته امرأةٌ

رقم الصفحة	الحديث
١٦	كان النَّبِيُّ ﷺ إذا مشى تكفأً تكفؤًا كأنَّما ينحطُّ من صَبَب
٨٨	كان النَّبِيُّ ﷺ يستعيز بالله تعالى من ضَلَع الدِّينِ وغلبة الرجال
٢٠٩	كان يستعيز بالله من جهد البلاء، ودَرَكَ الشَّقَاءِ
٢٠٩	كان يستعيز بالله من الشَّقَاقِ والتَّفَاقِ وسوء الأخلاق
١٦٥	كلُّ ابنِ آدمَ خطَّاءٌ، وخير الخطَّائين التَّوَّابون
٢٨٤	كلُّ أمرٍ ذي بال لا يبدأ بِبِسْمِ اللَّهِ فهو أبتَر
١١٧	كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره، إلَّا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا
٢١٧	كلُّكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته
١١٧	كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه
٢٤	كلُّ مولود يولد على الفطرة، حتَّى يُعَرَّبَ عنه لسانه، فأبواه يهودانه
١٨٦	كنتُ لك كأبي زرع لأم زرع. وفي رواية: إلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا، وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُكَ
٧٤	كيف تجدك؟ قال: أرجو الله يا رسولَ الله، وإِنِّي أخاف ذنوبي
ل	
١١٨	لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بعضكم رقابَ بعض
١٤١	لا تزال أُمَّتِي بخيرٍ ما لم يَفْشُ فيهم ولدُ الزَّنى، فإذا فشا فيهم ولدُ الزَّنى
٩١	لا تُسْرِفْ في الماء. فقال: وهل في الماء من إسراف؟! قال: نعم
٢٤	لا تصاحب إلَّا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلَّا تقي
١٠١	لا تُظَرُّوني كما أظرتِ النَّصارى ابنَ مريم، فإنَّما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله
٣٢	لا تغضب
١١٤	لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلَّا كان على ابنِ آدمَ الأوَّلُ كِفَلٌ منها؛ لأنَّه أوَّلُ من سنَّ القتل
١٠١	لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلانٌ، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثمَّ ما شاء فلان



رقم الصفحة	الحديث
٦٥	لا تنسوا العَظِيمَتَيْنِ: الجَنَّةَ والنَّارَ
٨١	لا صدقة إِلَّا عن ظهر غنى
٢٠٤	لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين، حتَّى يدع ما لا بأس به حذرًا ممَّا به بأس
٢٧٠	لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثمَّ يجامعها في آخر اليوم
٢٨٣	لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان
١١٨	لا يحلُّ دم امرئ يشهد أن لا إله إِلَّا الله وأنِّي رسول الله
٢٣١	لا يدخل الجنة قاطع
٢٣١	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من كِبَر
٢٣١	لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا
١٦٠، ١٣٦	لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق
١٢٥	لا يشهد أحدكم قتيلاً، لعلَّه أن يكون مظلوماً، فتصيبه السخطة
٣٥	لا يغضب للدنيا، فإذا أغضبه الحقُّ لم يعرفه أحد
٢٣٧	لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئتَ، اللهم ارحمني إن شئتَ
١١٦	لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ
١٤٦	لعن الله المُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَالمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ
١٤٦	لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من غيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ
٣١٣، ١٧٨	لعن في الخمر عشرة
١٧٨	لعن في الربا آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه
١٧٨	لعن النائحة والمستمعة
١٨٤	لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريماً
٣١٦	لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد أمر به



رقم الصفحة	الحديث
٣٧٢، ٣٤٢	للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه
١٦٨	لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في أرض دويّة مهلكة
١٧٨	لما عرج بي ربي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس
١١٧	لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً
١١٦	لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار
٧١	لولا القصاص لضربتك بهذا السواك
٢٧٠	لولا مخافة القود - أي: القصاص - يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك
٣٣٥، ٣٣٦، ٣٦٧	ليبلغن هذا الأمر، أي: أمر هذا الدين ما بلغ الليل والنهار
م	
٨٣	ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم
٨٠	ما أحسن القصد في الغنى، وأحسن القصد في الفقر، وأحسن القصد في العبادة
٢٦١	ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام
٢١٢	ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيراً له من زوجة صالحة
١١٦	ما أطيبك وأطيب ريحك! ما أعظمك وأعظم حرمتك!
١٦	ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه
٦٥	ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها
٨١	ما عال من اقتصد
٣١٨	ما كانت هذه لتقاتل
٢٧٨	ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام
٢٣١	ما من والٍ يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم



رقم الصفحة	الحديث
٨٧	ما نقص مالاً من صدقة
٨٧	ما نقصت صدقة من مال
٢١٤	المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء
٨٨	من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدَّى الله عنه
٥٦	من استيقظ من الليل، وأيقظ أهله فصلًا ركعتين، كُتِبَا من الذاكرين الله
٣٤٣	من أفطر يومًا من رمضان من غير رخصة ولا مرض
٣١٥	من أكل بصلًا أو ثومًا، فليعتزلنا - أو قال: فليعتزل مسجدنا -، وليقعد في بيته
١٢٤	من تردى من جبل، فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مُخَلَّدًا فيها
١٨	من تعظم في نفسه أو اختال في مشيته، لقي الله تعالى وهو عليه غضبان
١٢٥	من جرّد ظهر مسلم، يعني: ليضربه بغير حق، لقي الله وهو عليه غضبان
٣٩	من جهّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَفَ غازيًا في أهله بخيرٍ فقد غزا
١٨٣	من حَسَنَ إسلام المرء تركه ما لا يَعْنِيهِ
١٠٠	من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك
١٦١	من دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله
٦٨	من سأل الله الجنة ثلاث مرّات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة
٢١٣	من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح
٣٤٥	من صام رمضان، ثمّ أتبعه سنّا من شوال كان كصيام الدهر
٥١	من صَلَّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل
٨٠	مِنْ فَقْهِ الرجلِ رَفْقُهُ فِي مَعِيشَتِهِ
١٢٢	من قتل معاهدًا لم يَرِحْ رائحة الجنة. أي: لم يَشَمَّ رائحتها
١٠٠	من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت

رقم الصفحة	الحديث
١٧٩	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُدار عليها الخمر
١٦٩	من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضٍ أو من شيءٍ، فليتحلللَّهُ منه
١٨٢، ٢٥٣، ٣٣١	من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحًا لله
٣٩	من مات ولم يغزُ ولم يحدث به نفسه، مات على شعبة من النفاق
١٤٦	من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط
١٤٤	من يضمن لي ما بين لحييه، اللسان، والفم، فلا يتكلم بحرام
١١٧	المؤمن: من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم
ن	
٦٣	نار بني آدم التي يوقدون جزءً من سبعين جزءًا من نار جهنم
١٥٦	الندم توبة
٣٠٨، ٨٨	نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال
هـ	
٣٦٠	هذا سبيل الله - هذا صراط الله المستقيم - ثم خطَّ خطوطًا عن يمينه
١٣٠	هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي. قال: فأبْلِ الله في برِّها
١٣٠	هل لك من أم؟ قال: نعم. قال: فالزَمْها؛ فإنَّ الجنةَ عند رِجلِها
١٤٧	هي اللُّوطِيَّة الصُّغرى
و	
١٥٨	وأتبع السيئة الحسنة تمحها
٦٨	وأسألك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ، وأعوذ بك من النار
١٠٧	واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ



رقم الصفحة	الحديث
١٨٣	والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأن
١٦١	والدالُّ على الخير كفاعله
٦٥	والذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً
١٥٥	والذي نفسي بيده لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون
٦٥	والذي نفسي بيده، ما بعد الدُّنيا من دار إلا الجنة أو النار
٣٣٧	والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه
١٦٢	وإنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ باعًا
٨٣	وإنَّكَ لَن تَنفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجِزْتَ عَلَيْهَا
١٠٥	وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا
١٤٥	ورجل دَعَتْهُ امرأةٌ ذات منصب وجمال، فقال: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ
٢٧٠	ولا تجدون أولئكَ خياركم
١٧٨	ولعن النائحة والمستمعة
٢٦	وما تواضع أحدٌ لله إِلَّا رفعه الله
٣٩١	وما دخل الرفق في شيء إِلَّا زانه، ولا نُزِعَ من شيء إِلَّا شانه
١٠٦	وما يدريك أن الله أكرمهُ؟ والله ما أدري - وأنا رسول الله - ما يفعل بي
١١٨	وَيْلَكُمْ - أو وَيَحَكَمْ - لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض
ي	
٨٦	يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك
١٥٩	يا أَيُّهَا النَّاسُ، توبوا إلى الله واستغفروه؛ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ
١٠٢	يا أَيُّهَا النَّاسُ، قولوا بقولكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ
٤٨	يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربِّي



رقم الصفحة	الحديث
٢٩٣، ١٤١	يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر
٦٧	يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا مَعْشَرَ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ
١٣٩	يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهنَّ
١٢٥	يأتي المقتول مُتَعَلِّقًا رَأْسُهُ بِأَحَدِ يَدَيْهِ، مُتَلَبِّيًا قَاتِلَهُ بِالْيَدِ الْآخَرِ
٢٨٣	يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان
١٥١	يسرّوا ولا تعسّروا
٥٢	يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ
١٦٩	يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلِّ ذَنْبٍ إِلَّا الدِّينَ
٣٨١، ٣٨٠	يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها

* * *



فهرس الموضوعات

- ❖ من الدستور الإلهي للبشرية..... ٤
- ❖ من مشكاة النبوة الخاتمة..... ٥
- مقدمة: د. يوسف القرضاوي..... ٧
- مقدمة: د. خالد السعد..... ٩
- ❖ ١ - صفات عباد الرحمن التواضع..... ١١
- خصائص وصفات عباد الرحمن..... ١٤
- النهي عن المشي المرح والاختيال والفخر..... ١٥
- يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا..... ١٦
- علام يتكبر الإنسان؟..... ١٨
- المختال حقير عند الناس..... ٢١
- تواضع رسول الله ﷺ..... ٢١
- ومن هذه التوصيات توصية أقولها لكم الآن وهي..... ٢٣
- ❖ ٢ - صفات عباد الرحمن الجلم..... ٢٦
- حال عباد الرحمن مع الناس..... ٢٦
- عباد الرحمن يعمرن أوقاتهم بالخير..... ٢٩

- ٣٠..... عباد الرحمن من أهل مرتبة الفضل
- ٣٢..... الإنسان المؤمن يحلم ولا يغضب
- ٣٤..... عباد الرحمن لا يشغلون أنفسهم بالتوافه
- ٣٧..... معركة المسلمين في أفغانستان مع الشيوعية
- ٣٨..... أفغانستان تمثل خطّ الدفاع للمسلمين جميعاً
- ٣٨..... يجب علينا أن نمدّ يد العون مجاهدي أفغانستان
- ٣٩..... الجهاد بهذه الثلاث
- ٣٩..... لأنّ هؤلاء من يقاتلون؟!!

❖ ٣ - صفات عباد الرحمن قيام الليل

- ٤٤..... عجب ربنا تعالى من رجلين
- ٤٥..... عباد الرحمن قوام مستغفرون بالأسحار
- ٤٧..... الليل للناس فيه أحوال ومنازل
- ٤٨..... وصف قيام رسول الله ﷺ
- ٤٩..... أصحاب الأشواق العالية لا يقتصرون على الفرائض
- ٥١..... على الناس أن يقوموا في الصباح الباكر
- ٥٢..... المعين على قيام الليل
- ٥٤..... قيام الليل دأب الصالحين
- ٥٤..... ألا يضيّع حظّه من الليل
- ٥٦..... نعم الزوجان يعين كلّ منهما صاحبه على تقوى الله

❖ ٤ - صفات عباد الرحمن الخوف من النار

- ٥٩..... وصف الله هؤلاء العباد
- ٦٠..... ما الذي دفعهم إلى هذا؟



- ٦١..... مواقف ما بعد الموت
- ٦١..... نصب أعين عباد الرحمن
- ٦٢..... مشكلة الناس أنَّ الآخرة بعيدة عن تفكيرهم
- ٦٣..... نار جهنم فضّلت على نار الدنيا بتسعة وستين جزءاً
- ٦٦..... فاختر أيّ الدارين؟
- ٦٧..... بماذا يُنقذ الإنسان نفسه من النار؟
- ٦٨..... سؤال الله الجنة والاستعاذة به النار
- ٦٩..... وصف عذاب النار
- ٧٠..... وصف قوم جعلهم الله حطب جهنم
- ٧٠..... لماذا كان هؤلاء أضلّ من الأنعام؟
- ٧١..... الدنيا ليست دار الخلود
- ٧٣..... لا بدّ من التوازن بين الرجاء والخوف
- ٧٣..... وكما وصف بعض الأنبياء المصطفين الأخيار
- ٧٧..... ❖ ٥ - صفات عباد الرحمن الاعتدال في الإنفاق
- ٧٨..... المال في نظر الإسلام نعمة
- ٧٨..... والله تعالى تعليمات في شكل المال
- ٧٩..... والأمة قد تُصاب في أغنيائها من وجهين
- ٨٠..... ما عَالَ من اقتصد
- ٨١..... من صفات المتقين أنَّهم يُنفقون
- ٨٣..... للجيران حقوق والأقربون أولى بالمعروف
- ٨٥..... نماذج من إنفاق السلف
- ٨٧..... الإنفاق في المعصية إسراف



- ٨٩..... المال نعمة يجب المحافظة عليها
- ٩٠..... ضبط الاستهلاك وترشيد الإنفاق
- ❖ ٦ - صفات عباد الرحمن التوحيد..... ٩٤
- ٩٦..... والتوحيد نوعان توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.
- ٩٨..... الشرك هو الذي أفسد الحياة والمجتمعات
- ١٠٠..... الشرك نوعان
- ١٠٢..... التوحيد مصدر الأمان والمشرک مرعوب
- ١٠٣..... التوحيد يسمو بالإنسان والشرك يحط به
- ١٠٤..... شيء عجيب!
- ١٠٨..... مثل واضح للمؤمن وللمشرك
- ❖ ٧ - صفات عباد الرحمن اجتناب القتل واحترام الحياة..... ١١١
- ١١٥..... جزاء قتل المؤمن عمداً
- ١١٧..... ذنبان لا يغفرهما الله
- ١١٩..... الزاني والزانية سواسية في العقاب
- ١٢١..... الإسلام يحترم الدماء ويحرم سفكها
- ١٢٢..... الإسلام يحترم حياة الجنين
- ١٢٣..... على المسلم أن يصبر وألاً يعتدي على نفسه
- ١٢٤..... عقوبة من تعدى على نفسه
- ١٢٦..... الويل لجلادين لا يبالون بحرمان الخلق
- ١٢٨..... برُّ الوالدين في نظر الإسلام
- ١٢٨..... حقُّ الأم في البرِّ أكبر من حقِّ الأب
- ١٣٠..... عقوق الوالدين يسبب البلاء



❖ ٨ - صفات عباد الرحمن اجتناب الزنى ١٣٣

- الحلال والحرام لمصلحة النَّاس ١٣٥
- الأمراض الخطيرة سلَّطها الله على النَّاس جزاء خروجهم عن الفطرة ١٣٨
- لكلِّ غريزة جُبِلَ عليها الإنسان حكمة ١٤٠
- الحكمة من تحريم الإسلام للزَّنى ١٤١
- خصال ضمن النبي ﷺ لصاحبها بالجنة ١٤٤
- الإسلام حرَّم الشذوذ كما حرَّم الزَّنى ١٤٥
- عندما يكون الزَّنى أشدَّ حرمة ١٤٧
- الإسلام إذا حرَّم شيئاً وضع البديل له ١٤٩
- يَسْرُوا الزواج ولا تُعْسَرُوهُ ١٥١

❖ ٩ - صفات عباد الرحمن التوبة النَّصوح ١٥٣

- التوبة تجبُ الذنوب كلّها ١٥٥
- أركان التوبة ١٥٦
- لماذا عَقِبَ التوبة بالإيمان؟ ١٦٠
- للمُفَسِّرِينَ فيها وجهان ١٦٢
- من أقبل على الله تائبًا تلقَّاه من بعيد ١٦٢
- بادر بالتوبة ولا تسوِّف ١٦٤
- بعض التائبين أفضل ممَّن نشؤوا في الطاعة ١٦٦
- إنَّ الله يفرح بعباده إذا تابوا ١٦٨
- شرط مهم للتوبة ١٦٨
- عملة يوم القيامة الحسنات والسيِّئات ١٦٩



❖ ١٠ - صفات عباد الرحمن ترك شهادة الزور والإعراض عن اللغو ١٧٢

عباد الرحمن إذا شهدوا شهدوا بالحق ١٧٥

ضرر كتمان الشهادة ١٧٥

تفسير كلمة الزور ١٧٧

فلسفة الإسلام أنه إذا حرّم شيئاً حرّم كلّ ما يؤدي إليه ١٧٨

المؤمن يُنزّه نفسه عن مجالس السوء ١٧٩

عباد الرحمن يُنزهون أنفسهم عن اللغو ١٨٠

خيركم خيركم لأهله ١٨٥

الرسول ﷺ كان يمازح أزواجه ويشاورهن ١٨٦

المرأة إنسان يجب أن يُرعى حقّه ١٨٨

❖ ١١ - صفات عباد الرحمن التجاوب مع آيات الله ١٩٠

ولكن ما هي آيات الله؟ ١٩٠

القرآن تبيان لكل شيء ١٩٢

القرآن هو المعجزة الكبرى ١٩٢

القرآن يزيد المؤمنين إيماناً ١٩٤

حُجّب تمنع الفهم للقرآن ١٩٥

القرآن شفيع لأصحابه يوم القيامة ١٩٧

أحوال السلف مع القرآن ١٩٩

مراعاة سنّة التدرج ٢٠٣

❖ ١٢ - صفات عباد الرحمن سؤال الله صلاح الأزواج والذرية والإمامة

في الخير ٢٠٧

ما معنى هذا الوصف؟ ٢٠٧



- ٢٠٨..... طموحات المؤمنين في أدعيتهم
- ٢١٠..... قرة عين الإنسان المرأة الصالحة
- ٢١٢..... خير متاع الدنيا المرأة الصالحة
- ٢١٤..... المرأة السوء مصدر النكد في حياة الناس
- ٢١٦..... قُوا أنفسكم وأهليكم نارًا.....
- ٢١٧..... الابن العاق من مكدرات الحياة.....
- ٢١٩..... والإمامة نوعان إمامة في الخير، وإمامة في الشر.....
- ٢٢١..... فضل التبكير إلى الجمعة.....

❖ ١٣ _ جزاء عباد الرحمن..... ٢٢٣

- ٢٢٤..... جزاء عباد الرحمن أعلى الجنة.....
- ٢٢٤..... التحية والسلام من رب العالمين ومن الملائكة.....
- ٢٢٥..... النعيم المقيم والرضوان الدائم.....
- ٢٢٦..... رؤية عباد الرحمن ربهم.....
- ٢٢٦..... ذلك جزاؤهم بما صبروا.....
- ٢٢٧..... الطريق إلى الجنة يبدأ بالإيمان.....
- ٢٢٨..... التقوى ثاني المراحل في الطريق إلى الجنة.....
- ٢٣٠..... المرحلة الثالثة في الطريق إلى الجنة طهارة النفس وحسن الخلق.....
- ٢٣٢..... المرحلة الرابعة الصبر على عقبات الطريق.....
- ٢٣٥..... حاسب نفسك هل أنت من عباد الرحمن حقًا؟.....

❖ ١٤ _ معركة الحجاب في فرنسا..... ٢٣٩

- ٢٣٩..... الحوار فريضة إسلامية.....

- ٢٤٠..... حوارٌ بالتي هي أحسن.....
- ٢٤٠..... نماذج قرآنيّة من أساليب الحوار.....
- ٢٤١..... حوار أهل الكتاب.....
- ٢٤٢..... الحجاب على رأس موضوعات الحوار.....
- ٢٤٢..... الحجاب مفروض في مُحكم القرآن.....
- ٢٤٣..... موقف المتعصبين من مديري المدارس في فرنسا.....
- ٢٤٣..... هل الحجاب رمز ديني كالصليب؟.....
- ٢٤٤..... التسامح الإسلامي بلغ القمة.....
- ٢٤٥..... أين أنتم من الحضارة الإسلاميّة؟.....
- ٢٤٦..... بلاد المسلمين التي تمنع الحجاب.....
- ٢٤٧..... البلاد الإسلاميّة أنواع.....
- ٢٤٨..... الأصل في العلمانيّة الحياد مع الدّين.....
- ٢٤٨..... العلمانية المعادية للدين.....
- ٢٤٩..... هل الحجاب أمر جديد على الحياة الإسلاميّة؟.....
- ٢٥٠..... عودة المسلمات إلى الحجاب حركة نسائية تحريرية.....
- ٢٥١..... دعوى أنّ مفكرين مسلمين أنكروا الحجاب.....
- ٢٥٢..... الحكّام الذين أنكروا وجوب الحجاب.....
- ٢٥٢..... موقف مخجل للمسؤولين المسلمين.....
- ٢٥٣..... إنّها عقدة من رواسب الحروب الصليبيّة.....
- ٢٥٤..... لماذا الخوف من الإسلام؟.....
- ٢٥٦..... جنون إسرائيل بعد الضربات الفدائيّة.....



- ❖ ١٥ _ منع كتاب «الحلال والحرام» في فرنسا ٢٦٠
- تساؤلات من أنحاء العالم حول منع الكتاب ٢٦٠
- الكتاب كتاب للتعليم لا للمواجهة ٢٦١
- الكتاب متهم من المتشددین بالتساهل والتيسير ٢٦١
- الكتاب ليس ابن اليوم ٢٦٢
- ترجمة الكتاب إلى لغات العالم المختلفة ٢٦٢
- أصل تكليفي بتصنيف هذا الكتاب ٢٦٣
- أسباب المنع عند الداخلية الفرنسية وتفنيدها ٢٦٥
- هل في الكتاب لهجة معادية للغرب؟ ٢٦٥
- هنا انقسم غير المسلمين إلى هذين النوعين ٢٦٦
- منزلة أهل الكتاب في الإسلام ٢٦٦
- بل الإسلام يوصي بالرحمة بكل ذي روح ٢٦٧
- هل في الكتاب خطر على القيم والقوانين الأساسية لفرنسا؟ ٢٦٨
- حدود طاعة المرأة للرجل ٢٧١
- استياء المسلمين والأحرار في فرنسا ٢٧٤
- بل هو خطأ سياسي وثقافي وحضاري ٢٧٥
- العبرة من هذا الدرس ٢٧٦
- فضل عشر ذي الحجة ٢٧٨

- ❖ ١٦ _ مؤتمر الشُّكَّان بالقاهرة ٢٨٢

- ليته لم ينعقد بمصر ٢٨٢
- وثيقة المؤتمر المثيرة ٢٨٣

- لم يذكر فيها اسم الله قط..... ٢٨٤
- لا تلازم بين زيادة السكان والفقر..... ٢٨٤
- الله هو الرزاق..... ٢٨٦
- بين الجاهليّة القديمة والجاهليّة الحديثة..... ٢٨٧
- تنظيم الأسرة لنسلها لمبررات شرعية مقبول..... ٢٨٨
- وسائل مرفوضة لغايات غير محمودة..... ٢٨٩
- يريدون إباحة الإجهاض بلا قيود..... ٢٨٩
- احترام الإسلام لحياة الجنين..... ٢٨٩
- تعدد أشكال الأسرة في الوثيقة..... ٢٩٠
- الأسرة ذات الجنس الواحد!..... ٢٩١
- الوثيقة تدعو إلى تأخير الزواج..... ٢٩٢
- عزل الأسرة عن العلاقات الجنسية لأولادها..... ٢٩٣
- وصاية فكرية وأخلاقيّة علينا من العالم الجديد..... ٢٩٤
- ليسوا نصارى ولا مؤمنين بدين..... ٢٩٤
- الخوف من تنامي العالم الإسلامي..... ٢٩٥
- توزيع الثروة بين العالم المتقدم والبلاد النامية..... ٢٩٧
- تطويق العالم الثالث بالديون المرهقة..... ٢٩٨
- ❖ ١٧ - التدخين آفة ضارّة وهو حرام..... ٣٠٢
- التدخين آفة من آفات العصر..... ٣٠٢
- اختلاف العلماء قديمًا في حكم التدخين..... ٣٠٣
- في عصرنا يجب أن نفتي بالتحريم..... ٣٠٣
- التدخين ضدّ الضروريات الخمس..... ٣٠٣



- التدخين ضرر على النفس والحياة والصحة ٣٠٣
- التدخين ضارٌّ بالعقل ٣٠٦
- التدخين ضارٌّ بالدين ٣٠٦
- التدخين ضارٌّ بالنَّسل ٣٠٧
- التدخين ضارٌّ بالمال ٣٠٧
- التدخين ليس من الطيبات ٣٠٩
- استعباد إرادة الإنسان ٣٠٩
- استعباد الإرادة هذه آفة ٣١٠
- هدايا المدخنين غير جائزة ٣١١
- لا أئُها الإخوة ٣١٢
- بيع التبغ (الدخان) وزراعته غير جائزة شرعاً ٣١٢
- استيراد الدخان لا يجوز ٣١٣
- منع التدخين في الأماكن العامّة ٣١٤
- دعوة المدخنين إلى وقفة مع النَّفس ٣١٤
- الإرادة هي التي فعلت هذا ٣١٤
- من حقّ الشعب أن يختار من يريد ٣١٧
- ما ذنب هذا الإنسان؟ ٣١٨
- لا تزر وزرة وزر أخرى ٣١٩
- كلمة عن نتائج الانتخابات الإسرائيلية ٣٢٠

❖ ١٨ - جولة حول العالم صورتان متناقضتان ٣٢٣

- والذي خرجت به صورتان متناقضتان ٣٢٣
- صورة معتمة لبعض المسلمين ٣٢٣

- ٣٢٦..... صورة مضيئة لأبناء الإسلام.
- ٣٢٧..... ازدياد البنوك الإسلامية.
- ٣٢٨..... شباب الصحوة الإسلامية.
- ٣٣٠..... مؤتمرات إسلامية في أمريكا.
- ٣٣٠..... حياة إسلامية لعدة أيام.
- ٣٣١..... صحوة في أستراليا.
- ٣٣٢..... صورة من الصور المضيئة.
- ٣٣٢..... تيارات التنصير تعمل عملها.
- ٣٣٤..... صنفان من المسلمين متقابلان.
- ٣٣٥..... واجب أبناء الصحوة.

❖ ١٩ - خطبة عيد الفطر ٣٤١

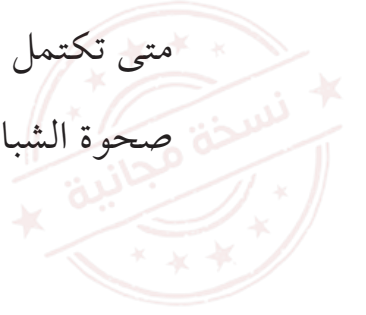
- ٣٤١..... يوم التكبير والمقصود منه.
- ٣٤٢..... فرحة العيد، ولماذا نفرح؟
- ٣٤٤..... من كان يعبد رمضان فإن رمضان قد مات.
- ٣٤٥..... صيام ستة من شوال وحكمته.
- ٣٤٥..... أول عيد في قرن هجري جديد.
- ٣٤٥..... قرون حافلة بالمحَن والأُمجاد.
- ٣٤٥..... انتصارات الإسلام وإنجازاته.
- ٣٤٧..... محن ينتصر فيها الإسلام.
- ٣٤٧..... انتصار الإسلام على المرتدين.
- ٣٤٨..... انتصار الإسلام على التتار.



- ٣٤٩..... انتصار الإسلام على الصليبيين
- ٣٥٠..... استعمار البلاد الإسلامية
- ٣٥٠..... الاستعمار في العصر الحديث
- ٣٥٠..... الاستعمار يحمل روحاً صليبية
- ٣٥١..... الاستعمار يلغي الشريعة ويفرض العلمانية
- ٣٥٢..... الإسلام غير النصرانية
- ٣٥٣..... الاستعمار صنع قادة على عينه
- ٣٥٣..... القوة الذاتية في الإسلام تبرز المجاهدين المحررين
- ٣٥٤..... المجاهدون يزرعون والعلمانيون يحصدون
- ٣٥٤..... في تركيا وإندونيسيا والجزائر
- ٣٥٦..... الاستقلال والهدف منه
- ٣٥٦..... متى تكون الأمة الإسلامية منتصرة حقاً؟
- ٣٥٧..... ماذا يُراد للمسلمين؟
- ٣٥٨..... من كوارث هذا القرن إلغاء الخلافة
- ٣٦١..... قيام إسرائيل
- ٣٦٢..... ظهور الحركات التجديدية الإسلامية
- ٣٦٢..... بروز الصحوة الإسلامية المعاصرة
- ٣٦٤..... واجبنا حراسة الصحوة من كيد أعدائها
- ٣٦٥..... المحافظة على الصحوة من أبنائها أنفسهم
- ٣٦٦..... عضواً على إسلامكم بالنواجذ
- ٣٦٧..... الاستبشار بمستقبل الإسلام



- ٣٦٧.....إنَّما النَّصرُ بالمؤمنين
- ٣٦٩.....لا حياة بغير الإسلام
- ٣٧٢.....❖ ٢٠ - خطبة عيد الأضحى
- ٣٧٣.....المعنى الرباني والمعنى الإنساني في أعياد الإسلام
- ٣٧٤.....فرض زكاة الفطر في عيد الفطر
- ٣٧٥.....الأضحية في عيد الأضحى
- ٣٧٧.....عيد ولا فرحة من الأعماق
- ٣٧٧.....لا زالت قضايانا معلقة
- ٣٧٨.....الصهيونية وفلسطين
- ٣٧٨.....لبنان والحرب الأهلية
- ٣٧٩.....الجهاد في أفغانستان والفلبين وإريتريا
- ٣٧٩.....المسلمون في الهند
- ٣٨٠.....مليار من المسلمين، ولكنهم كغذاء السيل
- ٣٨١.....الأُمَّة في مرحلة الغناء والوَهْن النفسي
- ٣٨٢.....أول العلاج بناء الإنسان
- ٣٨٢.....وضعنا بين الأمس واليوم
- ٣٨٤.....ليس الإسلام هو الحدود
- ٣٨٥.....نريد الإنسان المؤمن
- ٣٨٧.....متى تكتمل فرحتنا بالعيد؟
- ٣٨٧.....صحوة الشباب المسلم هي الأمل





- الفقه المنشود لشباب الصحوة..... ٣٨٩
- العنف مرفوض..... ٣٨٩
- المستقبل للإسلام في مصر..... ٣٩٠
- لا ندعو إلى عصبية ولا طائفية..... ٣٩١
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة..... ٣٩٥
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... ٤٢١
- فهرس الموضوعات..... ٤٣٥

* * *





فهرس كتب المجلد

١٦٤ - خطب الشيخ القرضاوي (١) ٥

١٦٥ - خطب الشيخ القرضاوي (٢) ٤٣١

* * *

